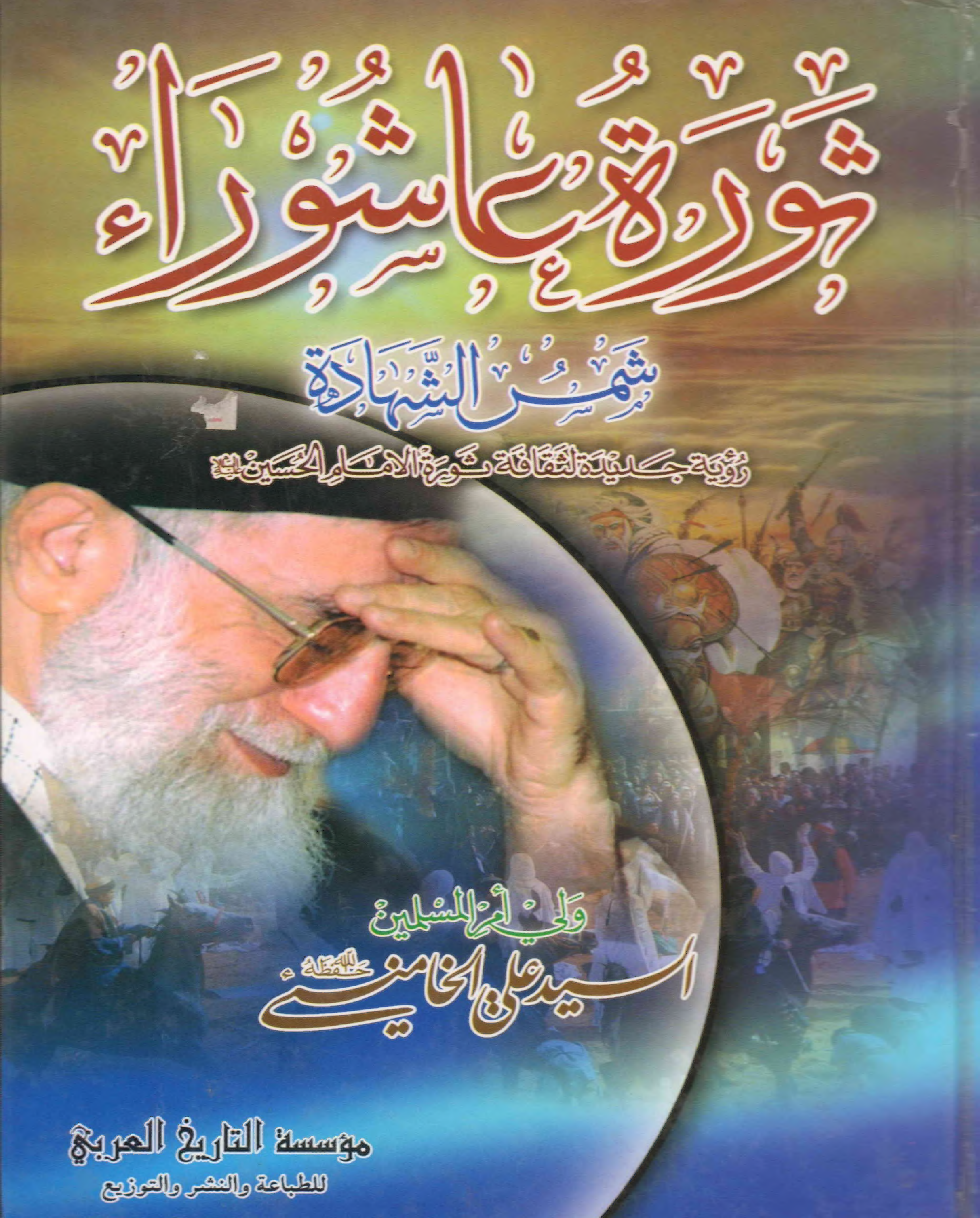
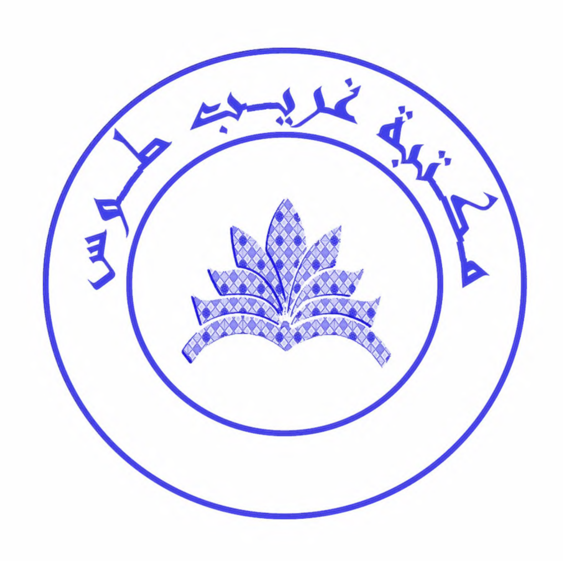


ثورة عاشوراء
شمس الشهادة
رؤية جديدة لثقافة ثورة الامام الحسين عليه السلام
ولي أمر المسلمين
السيد علي الخامنئي حفظه الله
مؤسسة التاريخ العربي
للطباعة والنشر والتوزيع



ثـورة عاشوراء

شمس الشهادة

ثورة عاشوراء

شمس الشهادة

رؤية جديدة لثقافة ثورة الإمام الحسين (ع)

ولي أمر المسلمين

السيد على الخامنائي حفظه المولى

مراجعة وتعليق وتدقيق

السيد علي عاشور

الناشر

مؤسسة التاريخ العربي

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

مؤسسة التاريخ العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

THE ARABIC HISTORY
Publishing & Distributing

العنوان الجديد

بيروت - طريق المطار - خلف غولدن بلازا - هاتف ٠١/٥٤٠٠٠٠ - ٠١/٤٥٥٥٥٩ - فاكس ٨٥٠٧١٧ - ص.ب. ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Air port street - Golden plazza - Tel: 01/540000 - 01/455559 - Fax: 850717 - p.o.box 7957/11

المقدمة

تمني القائد

أُريد حالياً التوسع بالحديث في الموضوع الذي طرحته قبل سنوات، ولاحظت ـ والشكر للّه ـ أن الفضلاء أفاضوا في دراسته وبحثه والكتابة فيه وإلقاء الكلمات حوله.

ومن الطبيعي أنّ الاسترسال في شرح واقعة كربلاء لا يستوعبه الوقت المخصص لخطبة صلاة الجمعة؛ فهو بحث مطوّل. وسأتناوله تفصيلياً وبكل خصائصه في غير اجتماع صلاة الجمعة إذا رزقني اللّه عمراً ووفقني لذلك. ولكن لا بأس هنا بإلقاء نظرة إجمالية عليه. وإذا وفقني اللّه فسأعمل على إخراجه في كتاب في قالب خطابي ليكون بين أيديكم[١].

سيكون حديثي مقتضباً بالنسبة لأصل القضية، سأثير رؤوس المواضيع أمام أفكاركم لتخوضوا فيها بأنفسكم وليتقصى جذورها المفكرون والباحثون، وليفكروا في السبل الكفيلة بالحيلولة دون تكرارها.

إذا لم نقف أنا وأنتم بوجهها اليوم، فلا تعجبوا إذا رأيتم مجتمعنا الإسلامي وصل إلى تلك الحالة، ربما بعد خمسين سنة أو بعد خمس سنوات أو بعد عشر سنوات، إلّا إذا كانت هناك أبصار حادّة تسبر أغوار الأُمور، وعين أمينة تدل على الطريق،

---

(١) نشكر الله تعالى أن أنجز هذا الكتاب وهو بين أيديكم.

وأصحاب فكر يوجهون الأُمور، وإرادة صلبة تساند هذا المسار، ليتكون عند ذاك ساتر متين وقلعة حصينة لا يستطيع أحد اختراقها، وإلّا فستتكرر الحالة ذاتها فيما إذا أهملنا، وعندها ستذهب كل هذه الدماء هدراً[١].

هذا الموضوع وإن أفاضت فيه الكثير من الكلمات والخطب، وألقينا فيه بحوثاً ودراسات، إلا أن جوانب وآفاق هذه الحادثة العظيمة الخالدة مهما بُحثت تبقى تشع منها أبعاد جديدة وتشرق منها مزيد من الأنوار فتسطع على حياتنا[٢].

شمس الشهادة ومظلومية الجهاد

رغم كثرة الكلام حول الفوائد القيّمة لشهر محرم ويوم عاشوراء وآثار هذه الظاهرة العظيمة، لكن كلّما مرّ زمان عليها كلّما تجلّت الصورة الخالدة لهذه الشمس النّيرة أكثر ـ والتي يمكن أن نُطلق عليها شمس الشهادة، شمس مظلومية وغربة الجهاد والتي توقّدت بواسطة الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه ـ، وعُرفت بركات عاشوراء أكثر[٣].

لقد قيل الكثير عن نهضة هذا العظيم، لكنّ الإنسان كلّما فكّر وتدبّر في هذا الموضوع، كلّما اتّسع مجال التفكير والبحث والتحقيق والمطالعة عنده، فقد بقي الكثير ممّا لم يقال عن هذه الحادثة العظيمة والعجيبة الّتي لا نظير لها، فعلينا أن نتدبّر ونتفكّر فيه ثمّ نقوله للآخرين[٤].

---

(١) من كلمة ألقاها في ١ محرم ١٤١٧ هـ

(٢) من كلمة ألقاها في ١١ محرم ١٤١٩ هـ ق ـ طهران.

(٣) من كلمة ألقاها في: ٢٤ ذي الحجة ١٤١٥ هـ

(٤) من كلمة ألقاها في : ١٠ محرم الحرام ١٤١٦ هـ

شخصية الإمام الحسين عليه السلام

حاجة الأمم لقدرات العظماء

إنّ من جملة عشرات بل مئات الخصائص التي تنفرد بها الأمة الاسلامية بفضل القرآن والإسلام وأهل البيت عليهم السلام، هي أنّ لهذه الأمة قدوات كبيرة ومشرقة نصب عينيها.

وللقدوات أهميتها في حياة الشعوب؛ فإذا ما وجد لدى أمة شخصية فيها نفحة عظمة، فإن تلك الأمة لا تنفك عن تمجيد تلك الشخصية والتغني بها وتخليد اسمها، من أجل توجيه المسار العام لحركة تلك الأمة في الاتجاه المتوخى لها.

وقد لا يكون هناك في الواقع أي وجود حقيقي لمثل هذه الشخصية، وإنما يستقى من شخصية خيالية مطروحة في القصص والأشعار والأساطير الشعبية؛ وهذا كله نابع من حاجة الأمة لرؤية قدوات كبار أمام عينيها من أبنائها.

وهذه الظاهرة موجودة في الإسلام على نحو وافر ومنقطع النظير، ومن جملة أكابر تلك القدوات هي شخصية أبي عبد الله عليه السلام إمام المسلمين وسبط الرسول صلى الله عليه وآله، والشهيد الكبير في تاريخ الإنسانية[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في ٣ شعبان ١٤١٩ هـ ق ـ طهران.

إسم الحسين عليه السلام

إنّ إسم الحسين بن علي عليه السلام لإسم عجيب، فلو ألقيتم نظرة عاطفية لوجدتم أنّ ميزة إسم ذلك الإمام بين المسلمين العارفين هي جذب القلوب إليه كما يعمل المغناطيس والكهرباء.

بالطبع هناك من المسلمين من لا يتمتّع بهذه الحالة، وفي الحقيقة هو محروم من معرفة الإمام الحسين عليه السلام ، ومن جهة ثانية هناك الكثير من غير شيعة آل البيت عليهم السلام تذرف دموعهم وتتقلّب قلوبهم بذكر إسم الحسين عليه السلام ، فقد جعل الباري تعالى في إسم الإمام الحسين عليه السلام تأثيراً بحيث لو ذكر اسمه لسيطرت حالة من المعنوية على أفئدة وأرواح أبناء الشيعة، وهذا هو المعنى العاطفي لذلك الوجود وتلك الذات المقدّسة، مثلما كانت هكذا عند أهل البصيرة منذ البداية، فقد كانت لهذا الوجود العزيز خصوصية منفردة وكان موضع حبّ وعشق في بيت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأميرالمؤمنين عليه السلام كما يفهم من الروايات والسير والأخبار والتأريخ، واليوم هو كذلك[١].

نور الحسين بن علي عليهما السلام

إنّ التشبّه بالأكابر والانتساب إلى الأولياء من عمل أذكياء العالم. كل امرء يبحث عن أسوة له. لكن التوفيق لا يحالف الجميع في انتهاج منهج الصواب عند البحث عن الأُسوة.

(١) من كلمة ألقاها بمناسبة ولادة أبي الأحرار الحسين بن علي عليه السلام في: ٣ شعبان ١٤١٦ هـ

لو سألت بعض الأشخاص في هذا العالم عن الشخصية التي أثارت انتباهه واجتذبته إليها، تجده يقتفي أثر أُناس وضيعين وتافهين أمضوا أعمارهم في عبودية هوى النفس ولا يتقنون سوى ما يغتر به المغفّلون وهو لا يتعدى إلهاء بعض السذّج

والغافلين فتصبح أمثال هذه الشخصيات قدوات للناس العاديين في هذا العالم.

البعض يقتدي بشخصيات سياسية وتاريخية وما شابه ذلك ويتخذها أسوة له. لكن أذكى الناس من يتخذ أولياء اللّه أسوة وقدوة له؛ لأنّ من أبرز الخصائص التي يتسم بها أولياء اللّه إنهم على درجة من الشجاعة والقوة والاقتدار بحيث يصبحون أسياداً على نفوسهم لا عبيد أذلاء لها.

يُنسب إلى أحد الفلاسفة والحكماء القدماء أنه قال للإسكندر المقدوني: أنت عبد عبدي.

فتعجب الإسكندر من قوله وغضب عليه. قال له: لا تغضب؛ فأنت عبد شهوتك وغضبك؛ إذا طلبت شيئاً أو غضبت، اضطربت ولم تصبر، وهذه عبودية للشهوة والغضب، أما أنا فسخرتهما حتى صارا عبدين لي.

قد تكون هذه القصة حقيقية، وقد لا تكون كذلك. إلّا أنّها صحيحة بالنسبة لأولياء اللّه والأنبياء عليهم السلام، ومعالم طريق الهداية الإلهية للبشرية، ومن الأمثلة عليها يوسف، وابراهيم، وموسى عليهم السلام.

وهناك أمثلة متعددة لذلك في حياة أولياء اللّه، وأذكى الناس هو من يتخذ هؤلاء الأكابر وهذه الشخصيات الشجاعة المقتدرة أسوة، ويكسبون لأنفسهم عن هذا الطريق أسباب الاقتدار والعظمة باطنياً ومعنوياً.

وتوجد بين هؤلاء الأولياء والأكابر شخصيات مميزة.

ولا شكّ أنّ أبا عبداللّه الحسين عليه الصلاة والسلام من أبرز هذه الشخصيات.

حقاً يجب القول أنّ نور الحسين بن علي عليه السلام يسطع كالشمس لا علينا نحن الناس الترابيين الصغار فحسب بل وعلى كل عوالم الوجود وأرواح الأولياء والأكابر، والملائكة المقربين عليهم السلام، وعلى جميع عوالم الوجود المتداخلة في بعضها، المعروفة أو المجهولة بالنسبة لنا.

ومَن مشى في هدي نور هذه الشمس فقد جاء بعمل كبير سامٍ[1].

(١) من كلمة ألقاها في ٣ شعبان ١٤١٧ هـ

أهم الأبعاد في شخصية الإمام الحسين عليه السلام

١ - الإخلاص:

إنّ لشخصية أبي عبد الله عليه السلام أبعاداً شتى يستلزم كل واحد منها بياناً وتوضيحاً شاملاً،من جملتها «الإخلاص»، والإخلاص معناه الالتزام بالواجب الالهي وعدم إدخال المصالح الذاتية والفئوية والدوافع المادية فيه.

٢ - الثقة بالله تعالى:

والبعد الآخر هو الثقة بالله، إذ أن ظواهر الأمور كانت تقضي بأنّ تلك الشعلة ستخفت في صحراء كربلاء، ولكن كيف يرى ذلك الفرزدق الشاعر في حين لم يكن يراه الحسين عليه السلام ؟! ويراه الناصحون القادمون من الكوفة، ولا يراه الحسين بن علي عليه السلام الذي كان عين الله ؟!

لقد كانت ظواهر الأمور توحي بهذا المآل، إلّا أنّ الثقة بالله كانت توجب عليه اليقين ـ رغم كل هذه الظواهر ـ بأن الغلبة ستكون لكلامه الصادق ولموقفه الحق. وجوهر القضية هو أن تتحقق نيّة المرء وغايته. والإنسان المخلص لا تهمه ذاته فيما إذا تحققت الغاية التي يرمي إليها.

رأيت ذات مرّة أحد أكابر أهل السلوك والمعرفة كتب، في رسالة: إننا إذا افترضنا ـعلى سبيل المحال ـأنّ كل الأعمال التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يطمح الى تحقيقها قد

تحقّقت، ولكن باسم شخص آخر، فهل كان ذلك يغيظ رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ وهل كان يقف منها موقفاً سلبياً مادامت باسم شخص آخر، أو أنه يقف منها موقفاً إيجابياً بدون الالتفات الى الإسم الذي تتحقق على يده ؟

إذن فالغاية هي المهمة، والإنسان المخلص لا يأبه كثيراً بالشخص وبالذات وبالأنا، باعتباره انساناً مخلصاً وله ثقة باللّه، وموقناً بأن الباري تعالى سيحقق هذا الهدف؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَ إِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ فالكثيرمن الجنود الغالبين يخرون صرعى في ميادين الجهاد، إلّا أنه تعالى قال في الوقت ذاته: **﴿إن جندنا لهم الغالبون﴾**[1].

٣ - صواب الموقف:

أما البعد الثالث فهو إدراك الموقف، وعدم الوقوع في الخطأ في اتخاذه، فقد كان الإمام الحسين متصدياً لزمام المسؤولية والإمامة مدة عشر سنوات، مارس خلالها نشاطات أُخرى ليست من طراز الفعل الاستشهادي في كربلاء، ولكن بمجرد أن سنحت له الفرصة للإتيان بعمل كبير استغل تلك الفرصة ووثب وتمسك بها، ولم يدعها تفلت من بين يديه[2].

عمل وجهاد الإمام الحسين عليه السلام

تلاحظون أنّ الإمام الحسين عليه السلام مع كونه سبط النبي صلى الله عليه وآله، وابن علي بن أبي طالب عليه السلام، وابن فاطمة الزهراء عليها السلام ، وهذه الأشياء عظيمة بحد ذاتها وترفع الإنسان

---

(١) سورة الصافات:١٧٣ .

(٢) من كلمة ألقاها في٣ شعبان ١٤١٩ هـ ق ـ طهران.

كثيراً، إضافة إلى أنه قد نشأ في تلك الدار وتربى في ذلك الحجر وترعرع في تلك الأجواء المعنوية والنعيم الروحي، لكنه لم يكتف بذلك. حينما رحل رسول الله صلى الله عليه وآله، كان الإمام الحسين عليه السلام صبياً في الثامنة أو التاسعة من عمره، وعند استشهاد أميرالمؤمنين عليه السلام كان شاباً في السابعة أو الثامنة والثلاثين.

وفي عهد أميرالمؤمنين الذي كان عهد ابتلاء وجهد وعمل كان هذا الجوهر المستعد يتلقى التربية بالأعمال العظيمة ويتأهل على يد أبيه على الدوام حتى عاد قوياً ومزهراً ومشرقاً.

إذا كانت همة المرء كهمتنا، تراه يقول: وهذا القدر يكفيني وهو حسبي وبه ألقى ربي، وهذه ليست همة حسينية.

وفي حياة أخيه المباركة حيث كان الإمام الحسين عليه السلام مأموماً وأخوه الإمام الحسن عليه السلام إماماً، استمر في حركته الجبارة، وهو يسير قُدماً ويؤدي واجباته إلى جانب أخيه وفي ظل طاعته المطلقة لإمام زمانه. تأملوا حياته لحظة فلحظة.

ثم أنّه واجه اسشهاد أخيه. واستمرت حياته المباركة بعد هذا الحدث، لاحظوا ماذا كان يفعل الحسين عليه السلام خلال هذه الفترة التي سبقت واقعة الطف[1].

ثقافة الجهاد

إنّ إحدى الظواهر البارزة في الثقافة الإسلامية ـ ولها مصاديق بارزة وكثيرة في تاريخ صدر الإسلام وأقل منها على مَر الفترة ـ هي ثقافة القتال والجهاد. والجهاد طبعاً لا ينحصر في نطاق القتال في ميادين الحرب؛ فكل ما ينطوي على جد واجتهاد

---

(١) من كلمة ألقاها في ٣ شعبان ١٤١٧ هـ

ومجابهة مع العدو يسمى جهاداً.

التفتوا جيداً؛ فلعل البعض يؤدي عملاً ويتحمل فيه مشقّة كبيرة، ويدّعي الجهاد. كلا؛ فأحد شروط الجهاد أن يكون في مجابهة العدو. ولكن قد يكون تارة في ميدان الحرب فيسمى بالجهاد الحربي، وقد يكون تارة في ميدان السياسة فيكون جهاداً سياسياً، وقد يكون في الميدان الثقافي فيسمى جهاداً ثقافياً، وقد يكون في مجال البناء فيسمى بجهاد البناء، كما أنّ له ميادين ومجالات أُخرى طبعاً.

والشرط الأول فيه أن يبذل جهداً ومثابرة، وشرطه الثاني أن يكون في مواجهة العدو.

هذه ظاهرة بارزة في الثقافة الإسلامية ولها أمثلة في شتّى الميادين.

واليوم أيضاً بدأ هذا الجهاد منذ أنّ انطلق نداء مجابهة النظام البهلوي المقيت، من حنجرة الإمام الخميني رضوان اللّه عليه وأنصاره آنذاك، أي في عام ١٣٤١ (هـ ش)، وقد كان حتى قبل هذا التاريخ ولكن بصورة متناثرة ونادرة وقليلة الأهمية.

منذ أن بدأت هذه المجابهة اتخذت طابعاً أكثر أهمية إلى أن تكللت بانتصار هذا الجهاد الذي تجسد بانتصار الثورة. ومنذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا كان في هذا البلد جهاد دائم.

وبما أن لنا أعداءً، وأعداؤنا أقوياء في الجانب المادي، وبما أنّ الأعداء قد أحاطوا بنا من كل جانب، وهم بصدد العدوان علينا، وقضية العدوان على إيران لا يمزحون فيها؛ لأنهم يستهدفون ضربها بأي نحو ممكن، إذن فكل من يقف في إيران الإسلامية بوجه هذا العدو ـ الذي سدد من كل جانب سهامه السامة إلى جسد هذه الثورة وهذا البلد الإسلامي ـ فهو مجاهد في سبيل اللّه. ونحمد اللّه على أنّ شعلة الجهاد كانت ولا زالت وستبقى مضيئة.

الجهاد الفكري

وبطبيعة الحال إن أحد أنواع هذا الجهاد هو الجهاد الفكري. أي بما أنّ العدو قد يباغتنا ويوقعنا في الأخطاء والمنزلقات، فكل من يبذل جهده على طريق توعية الناس، ويحول دون حصول أي انحراف أو سوء فهم، فعمله هذا جهاد؛ إذ هو في سبيل مجابهة العدو، ولعلّه من الجهاد المهم.

بلدنا اليوم مركز الجهاد، وليس لدينا ما يستوجب القلق في هذا المجال. الحمد للّه أنّ الشخصيات المسؤولة في البلد كلها شخصيات صالحة ومؤمنة ومجاهدة وواعية ومخلصة. عليكم أن تلتفتوا لهذه الجوانب، فرئيس الجمهورية، رجل قضى عمره في الجهاد ولازال حتى الآن يجاهد ليلاً ونهاراً، وكذلك الحال بالنسبة لمسؤولي المواقع الأُخرى كمجلس الشورى الإسلامي، والسلطة القضائية، والقوات المسلحة، وكذا سائر أبناء الشعب، كلهم في حالة جهاد دائم.

هذه الدولة هي دولة الجهاد في سبيل اللّه، ومن هنا فإنّ ثقل جهدي في المراقبة لأرى المواضع التي تخبو فيها شعلة الجهاد فاسارع بعون اللّه ولا أدعها تنطفئ، وأرى مواضع الخطأ والزلل فاتصدى لها، وهذه هي مسؤوليتي الأساسية.

إنني لا يساورني أي قلق حول حالة الجهاد الحالية في البلد، وهذا ما يجب أن تعلموه. إلّا أن في القرآن شيئاً يرغمنا على التفكير فيه، وهو أنه أمرنا أن ننظر إلى الماضي ونأخذ العبر من التاريخ[1].

(١) من كلمة ألقاها في ١ محرم ١٤١٧ هـ

الثقافة في الرؤية المادية

لقد انتخب الغرب ثقافة تخصّه ـ صحيحة أو خاطئة ـ لكنّه لم يقنع بذلك بل يريد فرضها على سائر الشعوب، فلو شارك أحد في إجتماع عالمي رسمي ولم يكن يلبس رباط العنق ـ على سبيل المثال ـ فهذا أمر منبوذ برأيهم فيقولون له لماذا لا تلبس هذا يا فلان ؟! طبعاً هو يسألهم أيضاً لماذا أنتم تلبسون هذا ؟

إنّ لكلّ شعب ثقافة وآداب وعادات وعقائد خاصّة به، طبعاً إنّنا لا نناقش الصحيح من غير الصحيح، فإن أردنا فعل ذلك، فبديهي أنّ الثقافة النابعة من الإسلام والوحي الإلهي وسيرة أهل البيت عليهم السلام، أي ثقافة الشعوب الإسلامية هي الصحيحة.

إذن على كلّ شعب أن يعتمد على نفسه وينتخب ثقافته وعقيدته وعاداته بنفسه بغضّ النظر عن كونها صحيحة أو غير صحيحة، ولا يحقّ لأيّة قوّة فرض شيء عليه.

طبعاً هناك أُمور قبيحة وسيّئة عند جميع الشعوب، فالظلم والتعدّي على حقوق الآخرين قبيح عند كلّ ذي عقل سليم. ولكنّ القوى الّتي تنتظر من الشعوب والدول أن تقلّدها، هي ـ وللأسف ـ لا تراعي هذه الأمور، فتراهم يقتلون ويعتدون على ثروات الشعوب ولا يطيقون الأقوال الصحيحة والمنطقيّة للشعوب[1].

طبعاً فإنّ الثقافة ـ بمعنى العقيدة والأخلاق ـ ليست لها هذه المنزلة في الرؤية المادية لقضايا العالم؛ أي أنّ العقيدة والأخلاق لا تحظى بهذه الأهمية التي تحظى بها عندنا بالنسبة لأولئك الذين ينظرون إلى قضايا العالم وشؤون البشرية وأمور الحياة نظرة مادية صرفة. ولهذا فإنّ الغرب المادي يتخذ موقفاً على صعيد العقائد والأخلاق غير الموقف الذي يتخذه في مجال السلطة والمال والذي تتجسد من خلاله المصالح

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢١ شوّال ١٤١٥هـ

المادية والملموسة؛ فحيثما يشعر الغرب بأنّ ثمّة مجالاً للوصول إلى السلطة وكسب الثروة والأرباح أو المنافسة فإنّه ينزل إلى الميدان بكل ما لديه من قوة دون أي تساهل أو تسامح أو مداراة، وهذا ما لا يفعله في مجال العقيدة والأخلاق ـ أو على أقل تقدير في مقام الإدعاء ـ حيث يدّعي التسامح وعدم التعصب؛ أي أنه لا يقيم لها وزناً؛ فلكل شخص أن يختار عقيدته أو أخلاقه بالشكل الذي يريد، وإن كنّا نرى أحياناً أنّ الغربيين يبدون الكثير من العصبية في المجال الثقافي؛ أي عندما يكون الأمر متعلقاً بمصالحهم السياسية أو التوسعية أو السلطوية بشكل أو بآخر، فإنهم حتى على الصعيد الثقافي يدخلون الميدان بعنف وعصبية دون إبداء شيء من المرونة أو التسامح. ولكن القاعدة العامة عندهم هي عدم إظهار الحساسية أو إتخاذ موقف ما عندما يتعلق الأمر بقضايا العقيدة والدين والثقافة.

وهذه هي العلمانية؛ أي الفكر المحايد وغير المبدئي في مجال العقيدة والأخلاق وما إلى ذلك. هذه هي الرؤية المادية الغربية. وبالطبع فإنّ الغربيين ليسوا هكذا جميعاً، بل إنّ في الغرب أيضاً فكراً معنوياً وإلهياً وعرفانياً يعلن عن نفسه في بعض الأحيان، ولاسيما في أيامنا هذه، ولكن هذا هو مبنى الفكر المادي السائد في الغرب بصفة عامة.

الثقافة في الرؤية الإسلامية

إنّ الأمر يختلف تماماً عندما يتعلق الحديث بالإسلام، حيث إن النظرة إلى القضايا العقائدية والأخلاقية في الإسلام ليست نظرة غير مبالية أو غير مكترثة ولا مسؤولة؛ فالإسلام يعطي شطراً من نشر العدالة لقضية العقائد والأخلاق، أي أنّ الذي يتجاهل الحيلولة دون انحراف شخص ما، مع تمكنه من ذلك، يكون قد أجحف بحقه، كما أنّ الذي يستطيع هداية شخص ما أو توعيته وإرشاده على الصعيد الأخلاقي ثم يتوانى

عن ذلك، يكون قد ظلم ذلك الشخص وأجحف في حقه.

وهناك عدة روايات حول تفسير قوله تعالى: ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَ مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَ لَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِى الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ**﴾[١]، حيث يقول الإمام عليه السلام: أي الذي يخلّص إنساناً من الحرق أو القتل[٢].

ولكنه يقول في رواية أخرى: أي الذي يهدي إنساناً. ثم يعقب قائلاً: وذلك تأويلها الأعظم.

فهداية إنسان واحد كأنها هداية للإنسانية جمعاء، وذلك لأن الجوهر الإنساني واحد في هذا الإنسان كما في كافة البشرية؛ فعندما تقومون بمدّ يد العون للجوهر الإنساني متمثلاً في شخص واحد وتفيضون عليه من قبس الهداية ـ سواء على صعيد الدين أو في مجال الأخلاق ـ تكونون قد منحتم العون والمساعدة للجوهر البشري

---

(١) سورة المائدة : ٣٢.

(٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه قال النّبي صلى الله عليه وآله من استن بسنة حق كان له أجرها وأجر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة، ومن استن بسنة باطل كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة، ولهذا القول من النّبي صلى الله عليه وآله شاهد من كتاب الله وهو قول الله عزوجل في قصة قابيل قاتل أخيه ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنّه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾. وللأخبار في هذه المواضع تأويل في الباطن ليس لظاهره ومن هداها لأن الهداية هي حياة الأبد، ومن سماه الله حيا لم يمت أبداً إنما ينقله من دار محنة إلىٰ دار محنة . الإحتجاج : ١ / ٥٩٢ / احتجاجه عليه السلام على الزنديق .

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله : ﴿ ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾ قال : من أنقذها من حرق أو غرق أو هدم أو سبع أو كلفه حتىٰ يستغني، أو أخرجه من فقر إلىٰ غنى وأفضل من ذلك من أخرجها من ضلال إلىٰ هدى، واما قوله : ﴿ فكانما أحيا الناس جميعاً ﴾ قال : يكون مكانه كمن أحيا الناس جميعاً. تفسير القمي : ١ / ١٧٥ / سورة المائدة / ط الأعلمي .

بأجمعه، ولهذا فإنّ الدرجة والقيمة واحدة في الحالتين[1].

الثقافة سند للجهاد

إنّ السند الخلفي لجهاد شعوبنا الإسلامية مع الإستكبار العالمي يتمثّل بثقافتنا وهي عبارة عن أخلاقنا الإسلامية وتوكّلنا على الله وإيماننا بالإسلام وحُبّنا له، المرأة التي تقدّم أربعة من أبنائها شهداء تقول لقد قدّمت هؤلاء هدية للإسلام وأنا مسرورة بشهادتهم، أنا شخصياً رأيت بعض العوائل عن كثب وذهبت الى منازلهم وتكلمت مع الآباء والأمهات، أنا لا أروي نقلاً عن أحد؛ لقد رأيت هذه المناظر بنفسي عن قرب، هناك عائلة فيها ولدان وقد استشهد كلاهما، وأُخرى فيها ثلاثة استشهدوا جميعاً، هل هذا مزاح؟ أفيمكن تحمّل هكذا مصيبة؟ لقد كان المفروض أن يجنّ الأب والأم من الحزن والغمّ ولكننا رأينا خلاف ذلك، رأينا أنّ الأم ـ والتي غالباً ما تكون أكثر عاطفية ـ تقول بكلّ حزم "**سيدنا لقد قدّمنا أولادنا في سبيل الإسلام ونحن راضون**".

ولقد أدرك العدو أنّ تأثير الإسلام والإيمان بالله يظهر عندما يقول الأب والأم وأبنهما الشاب «إنّك لم تتجاوز السادسة أو السابعة عشرة من عمرك، ولقد ذهب أخوك الى الجبهة واستشهد فابقَ أنت هنا ادرس والعب وامرح» ولكن ذلك الشاب يقول «لا، يجب أن أؤدي دوري في الدفاع عن الإسلام» لقد لاحظنا هذه المعنويات كثيراً من خلال قراءة الوصايا التي كان يكتبها الشهداء، ولقد سمعتُ مثل هذه المفاهيم شخصياً من عوائل الشهداء.

---

(١) من كلمة ألقاها بمناسبة ذكرى تأسيس المجلس الأعلى للثورة الثقافية في : ٢١ رمضان ١٤٢١ هـ طهران.

ذات يوم أصدر الإمام (ره) بياناً شرح فيه حاجة الجبهة الى الشباب وكنت خرجت يومها الى الشارع لقضاء بعض الأعمال فرأيت الشوارع ممتلئة بالشباب تماماً مثل الأيام الأولى للثورة، وكانت الناس تتحرك أفواجاً تلبية لما أمر به الإمام (قدس سره).

ولقد تكرّرت هذه الحالة ونظائرها لمرات عديدة طوال الحرب كلّما نودي باسم الإسلام وكلّما تكلّم الإمام (رض) والذي كان ينطق بلسان الإسلام وكانت الناس تطيعه باعتبار تمثيله للإسلام. كلما كان ذلك رأيت الشعب يتميز غيظاً وتحمّساً لتنفيذ أوامره. فيهجر الشباب المدن والجامعات والأسواق وساحات كرة القدم وكلّ المشاغل الأخرى ويذهبون الى الجبهة، حتى يجعلوا أنفسهم عرضة للموت.

إنّ هذه قضية جدّية، ولم يكن العدو غافلاً عن ذلك بل كان يتابع ويحلّل. أدرك العدو أنّ لهذه الأمة سنداً وما دام هذا السند قائماً فلن يكون بالإمكان إخضاع هذه الأمة بالمحاصرة العسكرية والإقتصادية وأمثالها.

يجب تحطيم ذلك السند، ويجب أن تمحى ثقافة هذه الأمة وقرآنها وجهادها وإيمانها وإيثارها واعتقادها بدينها واعتقادها بقيادتها بالقرآن والشهادة والجهاد، ولهذا شرعوا بهذا العمل (الغزو الثقافي) وكانت البيئة ملائمة بعد الحرب، وذلك لأن جبهات القتال كانت تجلب اهتمام الشباب فلم يكونوا يصغون لأراجيف الأعداء ولكن عندما خمد لهيب الحرب تهيّأ الظرف لهم فشرعوا بعملهم على جبهة منفتحة، واستعملوا مختلف الوسائل في هذا المجال.

عندما أُدقّق النظر في سعة الأساليب والوسائل التي استعملوها أُدْرِك مقدار الأهمية التي يولونها لهذا العمل، وأحد أعمالهم هذه هو تحقير وإهمال التراث الأدبي والفني والثقافي والثوري في البلاد.

إنّ أحد المنجزات المهمة للثورة هي أنّها ربّت عدّة كوادر ثقافية وأدبية وفنية

مقتدرة، نحن لدينا الكثير من هذه الكوادر ـ والحمد لله ـ لقد ظهر شعراء وكتّاب كثيرون، وبرز مؤلفون ماهرون [١].

العمل الثقافي والسياسي للإمام الحسين عليه السلام

وفي المجال الثقافي أيضاً دأب على مكافحة التحريف ونشر الأحكام الإلهية وتربية التلاميذ والشخصيات الكبيرة، وعلى الصعيد السياسي أيضاً كان يمارس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم تلا كلّ ذلك جهاده العظيم الذي يتعلق بدوره في الجانب السياسي. فهو مشغول بترويض نفسه على الأصعدة الثلاثة والترقي فيها [٢].

(١) من كلمة ألقاها في ١٣ صفر ١٤١٣ هـ.

(٢) من كلمة ألقاها في ٣ شعبان ١٤١٧ هـ

الإستقامة عند الإمام الحسين عليه السلام

الاستقامة تعني بالنسبة للإمام الحسين عليه السلام العزم على عدم الانصياع ليزيد وحكمه الجائر. ومن هنا انطلقت بوادر التصدّي وعدم الاستسلام لحكومة فاسدة حرفت نهج الدين بالكامل. بهذه النيّة سار الإمام عليه السلام من المدينة، لكنه حينما لمس بمكة وجود الناصر قرن مسيرته تلك بالعزم على الثورة. وإلّا فالجوهر الأصلي لموقفه المعارض هو الوقوف بوجه حكومة لا يتأتّى قبولها أو تحملها وفقاً للموازين الحسينية.

فالإمام الحسين عليه السلام وقف أوّل الأمر بوجه هذه الحكومة في وقت لم تكن المشاكل قد برزت بعد، ثم إنّه صار يواجه المشاكل الواحدة تلو الأخرى. فكانت مسألة الاضطرار للخروج من مكة، ثم اندلاع المعركة في كربلاء وما تلاها من الضغوط التي تعرّض لها في تلك الواقعة.

الأعذار الشرعيّة التي واجهت الحسين عليه السلام

أحد الأمور المهمة التي تعترض سبيل المرء في المواقف الكبرى هي الأعذار الشرعية. فالفروض أو التكاليف توجب على الإنسان أن يؤدّيها، ولكن حينما يستلزم مثل هذا العمل وقوع إشكال كبير ـ كأن يقتل فيه على سبيل المثال أشخاص كثيرون ـ هنا يشعر المرء أنّه لم يعد مكلّفاً.

أنتم على معرفة بالأعذار الشرعية التي تلاحقت بوجه الإمام الحسين عليه السلام

وكانت كفيلة بصرف أي إنسان سطحي الرؤية عن هذا السبيل؛ فهو قد واجه أولاً نكول أهل الكوفة ومقتل مسلم بن عقيل. وهنا كان بإمكان الإمام الحسين عليه السلام القول بأنَّ العذر بات شرعياً وقد سقط التكليف، فأنا كنت عازماً على عدم البيعة، ولكن تبيّن لي أنّ موقفاً كهذا لا يمكن الاستمرار عليه في مثل هذه الأوضاع والظروف، والناس لا طاقة لهم على التحمّل.

إذن فالتكليف ساقط وأنا أُبايع مكرهاً.

كان بميسور الإمام الحسين عليه السلام عند مواجهة ذلك الموقف أن يتصرف على شاكلة الإنسان الذي يحلّ المواقف الكبرى بمثل هذا المنطق ويقول إنّ هؤلاء النسوة والصبية لا قبل لهم بتحمل هذه الصحراء المحرقة، وعلى هذا فالتكليف مرفوع، فيميل نحو الخنوع ويقبل بما لم يكن قبله حتى ذلك الحين، أو حتى بعد اندلاع القتال في اليوم العاشر واستشهاد ثلة من أصحابه فهناك تفاقمت عليه المشاكل وبات بإمكانه التذرع بأنَّ القتال لم يعد ممكناً، ولا بالمقدور الاستمرار، ولا محيص من التراجع.

أو حينما تكشّف للإمام الحسين عليه السلام بأنّه سيستشهد، ومن بعد استشهاده ستبقى حُرَم الله وحُرَم النبي صلى الله عليه وآله وأميرالمؤمنين عليه السلام بيد الرجال الأجانب.

وهنا يعرض له موضوع الشرف والعرض. وكان له باعتباره إنساناً ذا غيرة القول بارتفاع التكليف؛ لأنني إذا واصلت هذا الطريق وقُتِلت فإنَّ النساء من آل الرسول وبنات أميرالمؤمنين عليه السلام وأطهر نساء الإسلام سيقعن سبايا بيد الأعداء من الرجال الذين لا أصل لهم ولا فصل ولا يفقهون شيئاً من معاني الشرف والغيرة إذن فالتكليف مرفوع.

فهذا الموقف من واقعة كربلاء ينبغي النظر إليه انطلاقاً من هذه الرؤية، وهو أنّ الإمام الحسين عليه السلام لو أراد النظر إلى بعض الحوادث الشديدة الألم والمرارة

كحادثة استشهاد علي الأصغر وسبي النساء وعطش الصبية ومقتل الشبان وغيرها من الحوادث الأُخرى المروّعة في كربلاء، بمنظار المتشرّع العادي ويتغاضى عن عظمة دوره ورسالته، كان باستطاعته التراجع عند أية خطوة يشاء، ثم يقول أن لا تكليف عليه، ولا مناص الآن من مبايعة يزيد، «وإنّ الضرورات تبيح المحظورات»[1].

إلّا أنّه عليه السلام لم يتصرف على هذه الشاكلة. هذه هي استقامة الإمام الحسين عليه السلام وهذا هو معنى الاستقامة.

الاستقامة لا تعني في أي موضع كان تحمّل المشاكل؛ لأنّ تحمّل المشاكل بالنسبة للإنسان الفذ أيسر من تحمل هذه الأُمور التي تبدو في المقاييس الشرعيّة والعرفيّة والعقليّة الساذجة خلافاً للمصلحة، لأنّ تحمّلها أصعب من تحمّل المشاكل العصيبة.

قد يقال للمرء تارة: لا تسلك هذا الطريق لأنك ربّما تتعرض للتعذيب. فالإنسان القوي يقول: إني سالك هذا الطريق ولا ضير في تعرّضي للتعذيب.

أو قد يقال لآخر: لا تسلك هذا المسلك لعلك تقتل، ترى الإنسان الفذ يقول: إنّي سالكه ولا أُبالي بالقتل.

ولكن تارة أُخرى قد لا يقتصر الحديث على مجرد القتل والتعذيب والحرمان، بل يقال: لا تذهب هذا المذهب، فقد يُقتل على أثر موقفك هذا عدد من الناس. وهنا يُعرض على بساط البحث موضوع أرواح الآخرين. فيقال له: لا تَسِر، فمن المحتمل أن يواجه الكثير من النساء والرجال والأطفال مصاعب جمّة وعنتاً كبيراً من جرّاء مسيرك هذا.

وهنا ترتعد فرائص من يهمهم القتل، أمّا الذي لا ترتعد فرائصه، فهو أوّلاً: في

---

(١) انظر شرح إحقاق الحق : ٣٧٠.

أعلى درجة من البصيرة وعلى بيّنة من ضخامة العمل الذي يؤدّيه.

وثانياً: له من قوة النفس ما لا يتسرب معها إليه الوهن.

وهاتان الميزتان تجلّتا عند الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء. لذلك كانت واقعة كربلاء كشمس سطعت في دياجي التاريخ، وهي ما انفكت ساطعة وستبقى كذلك أبد الدهر[١].

(١) من كلمة ألقاها في ١٦ محرم ١٤١٧هـ

المعارف في شخصيّة الحسين عليه السلام

ومن ناحية المعارف أيضاً، فقد كانت تلك الشخصية وكان ذلك الإسم الشريف مشيراً إلى ذلك المسمّى العظيم الشأن هكذا، فإنّ أهمّ وأسمى المعارف كامنة في أقوال هذا الإمام، فلو نظرتم في دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة، ستجدون أنّه كزبور أهل البيت (عليهم السلام) وهو مليء بالنغمات البليغة والعشق والإخلاص للمعارف، وعندما ينظر الإنسان إلى بعض أدعية الإمام السجّاد عليه السلام ويقارنها بأدعية الإمام الحسين عليه السلام ، يرى وكأنّ أدعية الإبن شرح وتوضيح وبيان لدعاء الأب، أي أنّ دعاء الأب هو الأصل ودعاء الإبن فرعه، فدعاء عرفة العجيب والشريف وخطب الإمام يوم عاشوراء وفي غير عاشوراء تحتوي على معنى وروح عجيبة، وهي بحر زاخر من المعارف السامية والرفيعة والحقائق الملكوتية التي قلّ نظيرها في آثار أهل البيت (عليهم السلام) .

الحقائق التأريخية في شخصية الحسين عليه السلام

ومن الناحية التأريخية أيضاً، فإنّ هذا الإسم وهذه الخصوصية والشخصية هو مقطع تأريخي وكتاب مستقلّ ، طبعاً ليس تأريخاً مبسّطاً وسرداً للأحداث، بل تفسير وبيان للتأريخ ودروس في الحقائق التأريخية.

إنّنا بالإضافة إلى استلهامنا الدروس من هذه الواقعة، فإنّنا نستخلص العبر منها، فالدروس تقول لنا ماذا يجب فعله، لكنّ العبر تقول أيّة حادثة وقعت وأيّها قد تقع..

والعبرة في قضية الإمام الحسين عليه السلام هي عندما يتأمّل الإنسان في تأريخ

المجتمع الإسلامي، ذلك المجتمع الذي كان يرأسه شخص غير عادي كرسول الله صلى الله عليه وآله، هذا النبي الذي كان يتمتّع بقدرة تفوق إدراك البشر، والمرتبط بالوحي الأزلي والحكمة الفريدة اللامتناهية، والمجتمع الذي حكمه بعد ذلك علي بن أبي طالب عليه السلام ، حيث أصبحت المدينة والكوفة مركزَي هذه الحكومة العظيمة، فما الذي حدث بعد ذلك؟ وأيّة جرثومة دخلت بدن هذا المجتمع حتّى قتل الحسين بن علي عليه السلام في ذلك المجتمع وبين هؤلاء الناس وبتلك الصورة بعد مضي نصف قرن على وفاة النبي صلى الله عليه وآله وعشرين سنة على شهادة أميرالمؤمنين عليه السلام، فما الذي حدث، وكيف ؟! وما حدث ليس بحقّ ابن مجهول، بل بحقّ من كان يحتضنه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في الصغر، ويُصعده معه على المنبر ويخطب في الناس، بحقّ من قال في حقّه رسول الله صلى الله عليه وآله: «**حسين منّي وأنا من حسين**»، كذا كانت العلاقة وثيقة بين الأب والإبن، ذلك الإبن الذي كان ركناً من أركان حكومة أميرالمؤمنين عليه السلام في الحرب والصلح والسياسة، وكان كالشمس الساطعة.

إلّا أنّ أمر ذلك المجتمع قد آل إلى أن يحاصر ابن النبي صلى الله عليه وآله وذلك الإنسان البارز العزيز صاحب العمل والتقوى والشخصية المفخرة، صاحب ذلك الدرس في المدينة والكثير الأصحاب والأنصار والمحبّين، وشيعته كثيرون في مختلف مناطق العالم الإسلامي، ثم يُقتل عطشاناً بتلك الصورة الفجيعة لا لوحده فقط، بل مع جميع رجاله حتّى الطفل البالغ من العمر ستة أشهر، وتُساق نساؤه وأطفاله أُسارى يطاف بهم من مدينة إلى مدينة. فما القضية؟! وما الذي حدث؟! هذه هي العبرة.

قارنوا بين مجتمعنا وذلك المجتمع لتجدوا الفارق بينهما، فقد كان على رأس مجتمعنا الإمام العظيم الشأن والذي كان أعظم من الناس جميعاً في زماننا دون أدنى شكّ، ولكن أين إمامنا من النبي صلى الله عليه وآله؟ فمثل هذه القدرة العظيمة التي نشرها النبي صلى الله عليه وآله في ذلك المجتمع بحيث كانت يد النبي صلى الله عليه وآله تقود المجتمع بعد عشرات

السنين من وفاته. فلا تتصوّروا أنّ الفتوحات الإسلامية كانت مقطوعة عن نَفَس النبي صلى الله عليه وآله، بل كانت يد النبي صلى الله عليه وآله هي التي تقود المجتمع الإسلامي، وبناءاً على ذلك كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حاضراً في فتوحات ذلك المجتمع وفي مجتمعنا ولازال حتّى آل الأمر إلى ما نحن عليه الآن.

وإنّني أوصي الشباب والمحصّلين والطلبة وغيرهم أن يجهدوا في القرآن ويدقّقوا فيه، ليعرفوا ماذا حدث؟ **﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[1] إنّ القرآن يعلّمنا الاعتبار من سيرة الماضين[2].

---

(١) سورة البقرة: ١٣٤.

(٢) من كلمة ألقاها بمناسبة ولادة أبي الأحرار الحسين بن علي عليه السلام في: ٣ شعبان ١٤١٦ هـ

عبادة الإمام الحسين عليه السلام

كانت العبادة والتضرع والتوسل والاعتكاف في حرم الرسول، والرياضة المعنوية والروحية أحد أطراف القضية، وطرف آخر سعيه الحثيث في نشر العلم والمعرفة ومجابهة التحريف. كان التحريف آنذاك أكبر تحدٍّ معنوي يهدد الإسلام، ويجري كالسيل الجارف من الفساد والماء الآسن فيركد في أذهان أبناء المجتمع الإسلامي.

وهو عصر ساد فيه التأكيد على الولايات والبلدان والشعوب الإسلامية بلعن أعظم شخصية في تاريخ الإسلام! وملاحقة مَن يُتهم بموالاة أميرالمؤمنين ويقول بإمامته؛ حيث ساد آنذاك «القتل بالظنّ والأخذ بالتهمة» في مثل هذه الظروف وقف الإمام عليه السلام كالطود الشامخ وخرق حجب التحريف.

أقواله وكلامهُ الذي يخاطب فيه العلماء ـ والذي يحتفظ التاريخ بشيء منه ـ ينم عمّا كان يأتي به من فعل عظيم في هذا المضمار.

وتضمنت القضية طرفاً آخر وهو النهي عن المنكر والأمر بالمعروف في أرفع أشكاله، والذي جاء في كتابه إلى معاوية، وهذا الكتاب حسبما أتذكر نقله المؤرخون من أبناء العامة ولا أظن الشيعة قد نقلوه ـ أي إني لم أعثر عليه من طرق الشيعة ـ وحتى إن كانوا قد ذكروه فإنّما قد نقلوه عنهم.

واستمر أُسلوب الكتاب المذكور والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى خروجه من المدينة أبان حكومة يزيد، وهذا يدخل أيضاً في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حيث قال: «**أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر**».

تلاحظون هذا الإنسان يأتي بتلك الحركة العظيمة في مجال تهذيب نفسه وترويضها[١].

عجز الحسين عليه السلام عن شكر الله

من الطبيعي أنّ إحصاء النعم الإلهية لا يُتاحُ لأي كان. وحتى في دعاء عرفة ـ الذي أمل انكم قد وفّقتم لقراءته، وسيحالفكم الحظ في كل سنة إن شاء اللّه في أيام عرفة لقراءته والتدبّر في معانيه ـ تلاحظون أنّ الإمام الحسين بن علي عليه السلام يقول في أوائله: **«أنا أشهد يا إلهي بحقيقة إيماني وعقد عزمات يقيني وخالص صريح توحيدي وباطن مكنون ضميري... أن لو حاولت واجتهدت.. أن أؤدي شكر واحدة من أنعمك ما استطعت ذلك إلا بمنّك..»**[٢].

فالحسين بن علي عليه السلام ـ هذا الجندي المضحّي الذي لا مثيل له في تاريخ الإسلام والقيم المعنوية ـ يذكر مجموعة من النعم الإلهية مفصّلاً جزئياتها في ما يقارب صفحة واحدة، ليقول إنّني غير قادر وبكل ما أوتيت من قوّة على أن أشكر نعمة واحدة من نعمك.

وإذا وفقت لشكر نعمة، فهذا التوفيق على الشكر يعد بحد ذاته نعمة من اللّه.

فليس كل أحد يُكتب له التوفيق ولا كل أحد يرى جمال الحقيقة والمعنوية ليثني عليه، ولا كل أحد يُدرك عظمة الفضل الإلهي، ووجود النعمة الإلهية. فالغفلة والأنانية والغرور لا تتيح لنا أن ننتبه إلى أننا في محضر زاخر بالألطاف الإلهية، أو أن نلتفت إلى ماهية هذه الألطاف والنعم.

---

(١) من كلمة ألقاها في ٣ شعبان ١٤١٧ هـ

(٢) البلد الأمين: ٢٥١، العدد القوية: ٣٧٤.

فإذا ما كتب التوفيق لأحد لكي يتغلب في دوافعه ونواياه الذاتية والمادية على الغرور والهوى وقصور النظر، وتمكّن من مشاهدة الجمال المعنوي، ووقف أمامه موقف إجلال وتعظيم وخشع له قلبه، فهذا بحد ذاته نعمة إلهية كبرى تستلزم الشكر، والإنسان غير قادر مطلقاً على شكر النعم الإلهية حق قدرها[1].

(١) من كلمة ألقاها في ٢٠ ذي الحجة ١٤١٨ هـ ق ـ طهران.

البعد المعنوي والعرفاني في شخصية الإمام الحسين عليه السلام

لشخصية الإمام الحسين عليه السلام الألمعية والباهرة، بعدان: بُعد الجهاد والشهادة والاعصار الذي أحدثه على مدى التاريخ، وسيبقى هذا الاعصار ـ على ما يتسم به من بركات ـ مدوياً على مدى الدهر كما بينا.

أمّا البُعد الآخر فهو بُعد معنوي وعرفاني، ويتجلى هذا البُعد في دعاء عرفة بشكل واضح وعجيب.

وقلّما يوجد لدينا دعاء يحمل هذه اللوعة والحرقة والانسياق المنتظم في التوسل إلى اللّه والابتهال إليه بالفناء فيه، إنه حقّاً دعاء عظيم.

ثمة دعاء آخر ليوم عرفة ورد في الصحيفة السجادية عن نجل هذا الإمام العظيم عليهما السلام، كنت في وقت أُقارن بين هذين الدعائين. فكنت أقرأ أولاً دعاء الإمام الحسين، وأقرأ من بعده الدعاء الوارد في الصحيفة السجادية، وقد تبادر إلى ذهني مرات عديدة أنّ دعاء الإمام السجاد عليه السلام يبدو وكأنه شرح لدعاء يوم عرفة. فالأول ـ أي دعاء الحسين عليه السلام في يوم عرفة ـ هو المتن والثاني شرح له، وذاك أصل وهذا فرع، دعاء عرفة دعاء مذهل حقاً.

وفي خطابه عليه السلام الذي ألقاه على مسامع أكابر شخصيات عصره وأكابر المسلمين التابعين في منى تجدون نفس تلك النغمة والنفس الحسيني المشهود في دعاء عرفة.

واقعة عاشوراء واقعة عرفانية

ويبدو أن خطابه ذلك كان في تلك السنة الأخيرة، أو ربّما في سنة أُخرى غيرها، لا استحضر ذلك حالياً في ذهني لكنه مسطور في كتب التاريخ والحديث.

إذا نظرنا إلى واقعة عاشوراء وأحداث كربلاء، فمع أنها ساحة قتال وسيف وقتل، لكنكم ترون الحسين عليه السلام يتكلم ويتعامل بلسان الحبّ والرضا والعرفان مع اللّه تعالى آخرَ المعركة حيث وضع خدّه المبارك على تراب كربلاء اللاهبة، تراه يقول: «**إلهي رضاً بقضائك وتسليماً لأمرك لا معبودٌ سواك**»[١].

وكذا حين خروجه من مكّة يقول: «**من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء اللّه نفسه، فليرحل معنا**»[٢].

كل قضية كربلاء ترون فيها وجه العرفان والتضرع والابتهال. اقترن خروجه ذاك بالتوسل والمناجاة وأمنية لقاء اللّه، وبدأ بذلك الإندفاع المعنوي المشهور في دعاء عرفة، إلى أن انتهى به المطاف في اللحظة الأخيرة، إلى حفرة المنحر حيث قال: «**ورضاً بقضائك**».

ومعنى هذا أنّ واقعة عاشوراء تعد بحدّ ذاتها واقعة عرفانية. ومع أنّها امتزجت بالقتال والقتل والشهادة والملحمة ـ وملحمة عاشوراء صفحة رائعة بشكل يفوق التصور ـ ولكن إن نظرتم إلى عمق نسيج هذه الواقعة الملحمية لرأيتم معالم العرفان، والمعنوية، والتضرع، وجوهرية دعاء عرفة. إذن فهذا هو البعد الآخر في شخصية الإمام الحسين عليه السلام، وهو ما ينبغي أن يكون موضع اهتمام إلى جانب البعد الأول

---

(١) موسوعة الإمام علي عليه السلام للري شهري: ٢٤٨.

(٢) أعيان الشيعة: ٥٩٣/١.

المتمثل بالجهاد والشهادة.

القضية التي أروم الإشارة إليها هي أنه يمكن القول قطعاً أنّ هذا الاندفاع المعنوي، والعرفان، والابتهال إلى اللّه والفناء فيه، وعدم رؤية الذات أمام إرادته المقدّسة، هو الذي أضفى على واقعة كربلاء هذا الجلال والعظمة والخلود.

جهادٌ فعرفان

أو بعبارة أُخرى إنّ البُعد الأول؛ أي بُعد الجهاد والشهادة، جاء كحصيلة ونتاج للبعد الثاني. أي نفس تلك الروح العرفانية والمعنوية التي يفتقد إليها الكثير من المؤمنين ممن يجاهدون وينالون الشهادة بكل ما لها من كرامة، نفس تلك الروح العرفانية والمعنوية تجدها في شهادة أُخرى نابعة من روح الإيمان، ومنبثقة من قلب يتحرّق شوقاً، وصادرة عن روح متلهفة للقاء اللّه، ومستغرقة في ذات اللّه. هذا اللون الآخر من المجاهدة له طعم ونكهة أُخرى، ويضفي أثراً آخر على التكوين[١].

سلوك الحسين عليه السلام المعنوي والعبودي

إن سلوك الإمام الحسين عليه السلام منذ خروجه من المدينة وحتى يوم استشهاده في كربلاء كان منطوياً على المعنويات والعزة والشموخ وفي نفس الوقت مغموراً بالعبودية والتسليم المطلق لأمر الله، وهكذا كان دائماً وفي كل المراحل. ففي ذلك اليوم الذي جاءته مئات وربما آلاف الرسائل تحمل نداء القائلين بأنهم شيعته وأنصاره وأنهم في الكوفة والعراق بانتظار وصوله، فإنه لم يصب بالغرور. وعندما

---

(١) من كلمة ألقاها في ٣ شعبان ١٤١٨هـ ـ طهران.

قال: «**خطَّ الموت على ولد آدم مخطَّ القلادة على جيد الفتاة**»[١] فإنه كان يتحدث عن الموت ولم يهدد الأعداء وينذرهم بالويل والثبور، كما أنه لم يقم بترغيب أصحابه ولم يقم بتقسيم مناصب الكوفة بينهم.

لقد كانت حركته عليه السلام حركة إسلامية مفعمة بالعلم والمعرفة والعبودية والتواضع في ذلك اليوم الذي مد فيه الجميع إليه أيديهم وأظهروا له الود والإخلاص.

وحتى في كربلاء عندما حاصره ثلاثون ألفاً من الأراذل والأوباش مع أصحابه الذين لم يبلغوا المائة وهددوه ومن معه من أعزائه بالموت كما هددوا نساءه وحرمه بالأسر، فإن هذا الرجل الإلهي والعبد الرباني العزيز في الإسلام لم تبدُ عليه ذرة من الاضطراب.

يقول ذلك الراوي الذي ينقل أحداث يوم عاشوراء التي تناقلتها الألسن والكتب «**فوالله ما رأيت مكثوراً أربط جأشاً من الحسين**»[٢].

فالإنسان يلتقي الكثيرين في ميادين الحرب المختلفة وفي الساحات الاجتماعية والعرصات السياسية وسواها من المجالات الأخرى التي تضم ذوي الابتلاءات المختلفة؛ ولكن الراوي يحكي عن عدم مشاهدته لأحد مثل الحسين بن علي عليه السلام في موقفه هذا، حيث نزلت عليه شتى المصائب غير أنه واجهها بوجه مستبشر قاطع، مما يدل على قوة العزيمة ورسوخ الإرادة والتوكل على الله. فهذه هي العزة الإلهية، وهذا هو الموقف الذي خطّه الإمام الحسين عليه السلام في سجل التاريخ، فأدرك الناس أنه ينبغي عليهم النضال في سبيل مثل هكذا حكومة وهكذا مجتمع لا تسيطر عليه الدناءة والجهالة والخضوع الإنساني والعنصرية.

---

(١) أبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ٢٧.

(٢) المجالس الفاخرة: ٢٤٤.

فعلى البشر كافة أن يجاهدوا من أجل تحقيق مثل هذا المجتمع، وهو أمر ممكن وسيتحقق.

لقد كان الناس قابعين في ضباب اليأس ذات يوم، ثم جاءت الثورة الإسلامية واستقرت دعائم النظام الإسلامي ليتضح أن كل شيء ممكن.

إنّ النظام الإسلامي لم يبلغ الذروة، لكنه تغلّب على الكثير من العقبات الكبرى في سبيل الوصول إلى تلك المرحلة.

إن وجود الحكومة الطاغوتية والنظام الدكتاتوري وحكومة أولئك الذين يستأسدون على الشعب بينما هم نعامة أمام القوى العظمى والذين يتعالون على شعوبهم كما الفراعنة بينما هم أذلاء وخاضعون للأجانب، يمثل عقبة كؤوداً في طريق الشعوب، ولاسيما إذا كانت تلك الحكومة تحظى بدعم كافة القوى الدولية، ولقد أظهرت الشعوب المسلمة وفي طليعتها الشعب الإيراني المسلم أن مثل هذا العمل يعدّ ممكناً وبوسعه القيام به، فأزال تلك العقبة واستمرّ في هذا الطريق.

وبلطف من الله وفضله فإنه تمّ اتخاذ الكثير من الخطوات في هذا الطريق، ولكننا مازلنا في منتصف الطريق أيها الأخوة والأعزاء! فلو حافظنا على رسالة الإمام الحسين عليه السلام حيّةً ونابضة، ولو أدركنا العظمة الكامنة في اسم الإمام الحسين عليه السلام، ولو تطلعنا لهذه النهضة واعتبرناها حدثاً إنسانياً عظيماً على مدى التاريخ، لأعاننا كل ذلك على مواصلة الطريق والتقدم إلى الإمام وعلى ألاّ نحيد عن درب الإمام الحسين عليه السلام وعلى تحقيق ما رسمناه من أهدافٍ بلطف من الله. لقد جعل الله تعالى اسم الإمام الحسين عليه السلام مجلّلاً بالعظمة وحافظ على واقعة كربلاء حيّة في التاريخ. وإن ما قلته لا يعني أننا نعمل على جعل اسم الإمام الحسين عظيماً، كلاّ، فهذا الحدث أعظم من أن تغطي عليه كافة أحداث الزمان أو أن تمحو رسمه من صفحات

التاريخ[١].

وصايا الشهداء العرفانيّة

نحن شهدنا في فترة الحرب نفحات من تلك النسمة المقدسة، ولم يكن ما سمعتموه من تأكيدات سماحة الإمام الخميني على قراءة وصايا الشهداء وصايا صرفة لا يبتغي شيئاً وراءها ـ حسب ظني ـ فهو نفسه كان قد قرأ تلك الوصايا، وأثرت في قلبه المبارك تلك الجمرات المتلظّية، فرغب في أن لا يُحرم الآخرين من هذه الفائدة.

كما إنني والحمد للّه كنت طوال فترة الحرب وما بعدها وحتى يومنا هذا أستأنس بقراءة هذه الوصايا؛ ولاحظت كيف أنّ بعضها نابعة من أعماق روح العرفان.

سرعة العرفان عند المجاهد

فالمرحلة التي يبلغها العارف والسالك على مدى ثلاثين أو أربعين سنة؛ يتعبد ويرتاض، ويواصل الدراسة على يد الاساتذة، ويكثر من البكاء والتضرع ويكابد المشاق لأجلها، يستطيع أن ينالها شاب في مدّة عشرة أيام أو خمسة عشر يوماً، أو عشرين يوماً في الجبهة. أي منذ اللحظة التي يتوجه فيها ذلك الشاب إلى الجبهة بأي دافع كان مع وجود الدافع الديني الممتزج بحماس الشباب ثم يتحول ذلك الاندفاع لديه بالتدريج إلى عزم على التضحية والجود بكل وجوده، ويسطر ذكرياته أو وصيّته، وهو من تلك اللحظات وحتى لحظة استشهاده يزداد تحمساً وشوقاً، ويصبح سيره أسرع وقربه أدنى، إلى أن تأتي الأيام الأخيرة وتحل الساعات واللحظات الأخيرة، فإن

---

(١) من كلمة ألقاها في الجمعة ٩ محرم ١٤٢١ هـ ـ طهران.

يكن قد بقي منه شيء حينذاك، فهو كجمرة تتلظى، تلسع قلوب من يقرأون تلك الوصايا.

يلاحظ المرء بكل وضوح في ذكريات من استشهدوا نفحة فوّاحة من نفس تلك الروح الحسينية. إذن فلحادثة كربلاء سند معنوي متين.

هذا الاعصار الخالد على مدى التاريخ ـ وكانت قصور الظلم تخشاه على الدوام وتتقهقر أمامه ـ متى ما أطل عبر مختلف الحقب التاريخية، يأتي بفعل شبيه بفعل ذلك اليوم، كما هو الحال في ثورتنا.

وهذه الواقعة الكبرى التي كان أثرها ملموساً في كل برهة زمنية على مدى التاريخ، قضت على الكثير من سلالات الجور، وأكسبت الكثير من الناس الضعفاء العزّة والمنعة، ونفحت العزم في قلوب الكثير من الشعوب المقهورة، وجهّزت الكثير من الناس بسلاح الصمود في سبيل اللّه.

أثر ثورة الإمام الحسين على الأخلاق

إنّ ما من شأنه تقليل الأضرار في هذا المجال هي تلك القضايا المعنوية والأخلاقية والدعاء والذكر والتوجّه إلى اللّه وتهذيب النفس وبناء الذات وتطهيرها من الرذائل، وهذا السلوك على قدر كبير من الأهمية. نعم ما أكثر الأشخاص الذين يكثرون من الدعاء والذكر وما شابه هذه الأعمال، لكنهم لم ينجحوا في استئصال الرذائل والأنانية والكبر والبخل والحرص والحسد والحقد وسوء الظن والكيد لهذا وذاك من نفوسهم، أو إلغاء تأثيرها على سلوكهم.

وعلى العكس من ذلك تلك الجنّة الأخلاقية التي أرادها الإسلام للناس؛ فالإسلام أراد للناس أن يتراحموا في ما بينهم، وأن يهتم كل منهم بمصير الآخر، ويحرص على

مصالحه، وأن يشارك الآخرين في معاناتهم ويسعى في تصحيح أخطائهم، وأن يدعو أحدهم للآخر، وأن يتعاملوا بالمودة والرأفة ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَ تَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[1].

المحبّة بين الأُخوة، وبين الأصدقاء، وبين الأخوات، وبين أفراد الأُمة الإسلامية، والارتباط العاطفي، وحب الخير للآخرين، صفات فاضلة ونبيلة، ويجب على المرء أن يعمل للاستزادة منها.

إن أقبح ما في الإنسان من صفات هو أن يجعل ذاته ومصالحه المادية محوراً، ويكون مستعداً لتدمير وإيذاء أُناس كثيرين في سبيل اشباع رغباته الخاصّة. هذه الصفات ينبغي معالجتها واجتثاث جذورها من قلوبنا. وهذه المعاني موجودة في تلك الأدعية.

على الرغم مما نُقل إلينا من أدعية مأثورة عن جميع الأئمة (عليهم السلام) ـ على ما أتصوّر ـ إلا أنّ المثير في الأمور هو ان أكثرها وأشهرها هو المنقول عن ثلاثة أئمة كانوا قد قضوا أعمارهم في صراعات كبرى ومريرة. أولهم أميرالمؤمنين عليه السلام الذي نقل عنه دعاء كميل، وأدعية أُخرى فيها معان ومفاهيم كبيرة. ومن بعده الأدعية المروية عن الإمام الحسين عليه السلام؛ كدعاء عرفة الذي يزخر حقّاً بمُثُل تثير الدهشة. ثم من بعدها الإمام السجاد عليه السلام، ابن واقعة عاشوراء وحامل رسالتها، والمجاهد في قصر الجور؛ قصر يزيد.

هؤلاء هم الأئمة الثلاثة الذين كان لهم الدور الأبرز في ميادين الصراع، والأدعية المأثورة عنهم هي الأعمق، والعبر المستقاة من أدعيتهم هي الأكثر.

تأمّلوا هذه السجايا الأخلاقية الواردة في الصحيفة السجادية.

---

(١) سورة البلد:١٥.

أوصيكم أيّها الأعزاء فرداً فرداً، أن تأنسوا جهد المستطاع بمضامين الصحيفة السجادية فهو كتاب عظيم. وإذا وصفت بأنها زبور آل محمّد ﷺ، فهي هكذا حقاً، فهي زاخرة بالسجع المعنوي، هي دعاء ودروس؛ دروس في الأخلاق، وفي علم النفس، وفي الشؤون الاجتماعية. تأملوا هذه الجملة الواردة فيها: «**اللّهم إني أعوذ بك من هيجان الحرص وسورة الغضب، والحاح الشهوة**».[١]

إنّه يبيّن لنا ـ بلسان الدعاء ـ كل واحدة من السجايا المعنوية والأخلاقية، والجذور الفاسدة التي تعتمل في نفوسنا.

يجب أن تسألوا اللّه تعالى حين الدعاء والمناجاة، الخلاص والنجاة من هذه المشاكل الداخلية والنفسية. والمجتمع الذي تنشأ مجموعة كبيرة من أفراده على هذه الخصائص التربوية لا تؤثر فيه أي من تلك الأساليب المعادية.

إنّ مجتمعنا والحمد للّه مجتمع شاب؛ أي أنّ نسبة الشباب أكبر، وستبقى هذه الظاهرة بارزة فيه حتى سنوات طويلة، ريثما يصل الدور إلى أجيال تقليل النسل، بعد سنوات عديدة. والحالة التي عليها مجتمعنا الحاضر وحتى سنوات مديدة، هي أنه مجتمع شاب. والشباب من مظاهر النعم الإلهية على الإنسان. لأن الشاب يتّسم بالنقاء والاخلاص.

إلا أنّ العدو يركز في خططه على جيل الشباب بسبب بعض نقاط الضعف التي يتصفون بها. ولكن نقاط القوّة لدى الشباب أكثر بكثير من نقاط الضعف.

لو أنّ الدعاء والتوسل المقرون بالمعرفة أتُّخِذَ في هذا المجتمع منهجاً وسلوكاً ـ

---

(١) الصحيفة السجادية: ٥٧.

بأن يكون التوسل عن معرفة وليس بلا معرفة ولا إدراك، أي بالمعنى الصحيح للتوسل الذي أوصانا به القرآن، والروايات المنقولة عن الأئمة، ونهج البلاغة ويمكن أن تكون الصحيفة السجادية خير معين لنا في هذا الصدد.

توجهوا إلى هذا المعنى وإلى هذا المقام المعنوي، تعارفوا مع الأدعية، وعرّفوا هذا النهج للشبّان الآخرين، ولأبنائكم. وأن يكون ذلك. في قالب كلمات الإمام السجادعليه السلام التي وردت في الصحيفة السجادية، وأمثال ذلك، ونهج البلاغة يتضمن طبعاً نفس هذه الروح المعنوية ، يكون هذا المجتمع حينذاك مجتمعاً يخشاه كل عدو مستكبر، ويفقد الأمل بإمكانية احتوائه أو هضمه.

وعليه أن يعلم أنه طالما كانت روح الإسلام، ومعنوية الإسلام، والتعبّد بالإسلام، والاعتقاد بالإسلام موجوداً في المجتمع، يستحيل على أي عنصر أن يزيغ بهذا الشعب وهذا المجتمع عن صراط الثورة الإسلامية المستقيم .

أثر عاشوراء في ثورة إيران

وفي عصرنا أيضاً استطاعت هذه الواقعة، ومن خلال دراية إمامنا الخميني الكبير، أن تهب في مجتمعنا فجأة ـ قبل انتصار الثورة ـ كهبّة الاعصار الأول. وإنّما يُعزى هذا إلى الدعاء، وذكر اللّه، والابتهال إليه، والارتباط به. وقد كان الإمام (رحمه اللّه) من أهل هذا النهج، كان من أهل الذكر والخشوع والدعاء. وسر تألّقه يكمن في هذا المجال، وتأثيره في النفوس ينبغي أن يكون في الأغلب منشأه هذا.

أعزائي ما يجب على كل واحد من أعضاء الحرس الثوري، ومن غيرهم من المجاهدين، وكل من يرى في عنقه مسؤولية أزاء أمانة الإسلام وأمانة الثورة، في حياة الإنسان الحاضرة والمستقبلية، ويرى لقيم الإسلام دوراً وأهمية، أن يعلم أنّ القضية لم تقف عند الحد الذي انتهت عنده الحرب، وأن المساعي لم تبلغ نهايتها بعد مرور عقد أو عقدين على انتصار الثورة.

وسبب ذلك واضح وهو أنّ العداء لهذه الحركة ـ حركة الصلاح والفلاح ـ لم يتوقف، ولم تنته العناصر المعارضة.

ذوو التدبير من الأعداء لا خصومة لهم مع شخص. ومعنى هذا أنّ الجبهة المعادية قد تعلمت أنه متى ما عجزت عن مجابهة حركة عظمى كالثورة الإسلامية، ونفذت طاقتها دون المجابهة وجهاً لوجه، عليها أن تنسحب على وجه السرعة وتتوارى خلف خندق المواجهة ريثما تؤاتيها الفرصة. وقد مارست هذه اللعبة تقريباً مع جميع الثورات التي وقعت في القرن العشرين.

تعلمون أنّ القرن العشرين كان قرن الثورات والانتفاضات الشعبية التي اندلعت على أساس المثل والتطلعات والأفكار الحديثة؛ حيث افتتحت العقود الأولى من هذا القرن بالثورة الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي، واستمر الوضع على هذا المنوال بالنسبة للحركات اليسارية، وأيضاً الحركات اليسارية التي لم تنضوي تحت المنهج الماركسي تماماً، إلّا أنها تحمل رؤية مسبقة على كل حال، إلى أن وقعت ثورتنا وتلتها أيضاً ثورات أُخرى.

لقد سلكوا هذا النهج مع عشرات الثورات التي اندلعت في مختلف بقاع العالم، فأطاحوا الحكومات عسكرياً، وقامت على انقاضها حكومات وأجهزة ومؤسسات.

ومعنى هذا أنهم متى ما وجدوا في أنفسهم القدرة كانوا يدخلون الميدان ويقمعون تلك الثورات منذ بدايتها؛ إذ أنّ بعضها لم تكن منذ البداية قادرة على الصمود، وانتهى بها الأمر إلى الهزيمة والاندحار.

أما تلك الثورات التي وجدوا أنفسهم عاجزين عن مجابهتها؛ فإضافة على إنهم لم يتركوا مضايقتها والتهجم الإعلامي وفرض الحصار الاقتصادي عليها، بغية إنهاكها، فقد اتخذوا لهم مكمناً يتربصون منه لكي ينقضوا عليها متى ما شعروا بانهيار قواها، ليسددوا لها الضربة القاضية. ونجحت ضرباتهم في أكثر المواقف، واستطاعت الكثير من التيارات المعارضة لتلك الثورات، أن تتحرك ـ بعد العزلة والإندحار ـ وتمسك بزمام الأمور، وتسيطر على الأوضاع، وتسيّر دفّة البلاد.

والجبهة المعادية عموماً لا كشخص وفرد، انتهجت هذا الطريق مع إيران منذ انتصار الثورة، إلّا أنهم لم يجدوا على مدى السنوات الثمانية عشرة التي مرت على هذه الثورة حتى ثغرة واحدة تبعث الأمل والارتياح في صفوفهم.

كنت قد التقيت في عهد رئاستي للجمهورية بزعيم حركة ثورية ـ وهو من الساسة

المعروفين في العالم ـ التقيت به في بلده، وكان حينذاك قد جاء بعمل يتنافى مع ادعاءاته الثورية والشعارات التي ينادي بها، فسألته عن المسوغ الذي أباح له القيام بذلك العمل، فضحك وقال: هذا تكتيك! فقلت له يكون التكتيك مقبولاً فيما إذا لم يؤدِ إلى تغيير المسار العام كلياً، وأنتم قد غيرّتم مساركم.

وهذا هو الذي حصل، إذ تغير مسيرهم وتوجههم بالكامل. كان تبريره أنه يناور ويستخدم التكتيك! أي تكتيك هذا الذي يؤدي بالمرء للخضوع لسيادة عدوّه؟ وهل يسمّى تكتيكاً ما ينتهي بالإنسان إلى التراجع عن كلامه، وتغيير مساره كلياً؟! وأمثال هذه الظواهر مشهودة في سجلات تلك الثوارت، وهي مما يحفز مطامع العدو ويبعث فيه الأمل؛ فيكون لها بالمرصاد. وكثيراً ما كان ينجح في خططه، كما حصل في كل الحالات تقريباً.

أما بشأن ثورتنا؛ فقد كان لوجود الإمام الخميني بما يتصف به من رؤية وبصيرة وحزم في التمسك بأحكام اللّه واتخاذ حكم اللّه وحلاله وحرامه ملاكاً في الأمور، عائقاً يحول دون ظهور أدنى تمايل صوب العدو طوال تلك السنوات العشرة. ومن بعد رحيل الإمام انصبّت الجهود على انتهاج نفس ذلك المسار. ربّما ظهر أحياناً من بعض الأشخاص ما يوحي للعدو بأنّه استطاع الحصول على بعض الأنصار، ولكن سرعان ما ينكشف له أنه وهم باطل.

وبفضل اللّه لم يطرأ حتى الآن على معالم الثورة ما يبعث الأمل في قلب العدو؛ فما زال العدو كامناً يتربّص. وهذا ما ينبغي أن يدركه الجميع.

إنّ الشيء الوحيد القادر على سَوْق الثورة والتوجّه العظيم لهذا الشعب على الطريق الذي فيه الصلاح والفلاح والعزة ورضا اللّه وسعادة الدنيا والآخرة، هو الوعي والاستعداد والاندفاع لحراسة الثورة. وهذا الاندفاع رهين بوجود ذلك الجانب

المعنوي. وما تأكيدي على الجوانب المعنوية في لقائي مع الأُخوة أعضاء الحرس الثوري، ومع الشرائح الثورية، ومع الأخوة والأخوات الذين يضطلعون بمسؤوليات خطيرة في مختلف القطاعات، إلّا لأن هذا التوجّه والابتهال إلى اللّه والاتصال القلبي به كفيل باقتدار ورسوخ القوى التي تريد تحدي ومقاومة تلك الجبهة. ولا طريق آخر سوى هذا.

إذا ضعفت هذه الصلة باللّه، ووقع الإنسان صريع نزواته، وصارت توجهاته محكومة بأهوائه، تضعف عند ذاك قدرته على مجابهة العدو. الإنسان في معرض الأهواء والرغبات، وليس من اليسير صيانة الإنسان بالمرّة عنها، إلّا أنّ المهم هو أن لا يسمح للأهواء النفسية والمصالح المادية والرغبات التافهة أن ترسم للإنسان مسار حياته، وتعيّن له النهج الذي يقتفيه، ويكون لها دور حاسم وقدرة على استبدال السبيل الذي يسلكه[١].

---

(١) من كلمة ألقاها في ٣ شعبان ١٤١٨هـ ـ طهران.

ثلاثة مراحل من حياة الحسين عليه السلام

يجب أولاً وقبل كل شيء إدراك مدى فداحة تلك الواقعة حتى نتحرك ونتتبع أسبابها، ولا يقصر نظر أحد على أنّ واقعة عاشوراء كانت ـ في النهاية ـ مذبحة قتل فيها مجموعة. كلا، بل إنها وكما نقرأ في زيارة عاشوراء: «**لقد عظمت الرزية وجلّت وعظمت المصيبة**».

ولأجل أن يتضح مدى عظم تلك الفاجعة، أستعرض بصورة اجمالية ثلاثة مراحل قصيرة من حياة أبي عبدالله الحسين عليه السلام، لنرى شخصية الإمام الحسين عليه السلام في هذه المراحل الثلاثة، هل من الممكن أن يحتمل أحد أنه ينتهي بها المآل يوم عاشوراء إلى أن تحاصره حشود من أمّة جدّه وتقتله أشنع قتلة هو وأصحابه وأهل بيته وتسبى عياله؟

تتلخص تلك المراحل الثلاثة في:

أولاً: مرحلة الطفولة وتبدأ منذ نعومة أظفاره إلى تاريخ وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

ثانياً: مرحلة شبابه.. أي خمس وعشرون سنة، من وفاة جده إلى خلافة أميرالمؤمنين عليه السلام.

ثالثاً: المرحلة التي استمرت عشرين سنة من بعد استشهاد أميرالمؤمنين عليه السلام إلى واقعة كربلاء.

مرحلة الطفولة عند الحسين عليه السلام

ففي المرحلة الأولى؛ أي في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كان الحسين عليه السلام طفلاً مدللاً ومحبوباً عند رسول الله صلى الله عليه وآله. فقد كان لرسول الله صلى الله عليه وآله بنت، وكان المسلمون يعلمون جميعاً آنذاك أنه صلى الله عليه وآله قال: «**إني لأغضب لغضب فاطمة وأرضى لرضاها**»[1].

فانظروا عظيم منزلة هذه البنت بحيث إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يبجلها بهذه الكلمة وأمثالها في محضر المسلمين والملأ العام. وليس هذا بالأمر العادي.

---

(١) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك ويرضىٰ لرضاك» أخرجه الطبراني في المعجم الكبير : ١ / ١٠٨ ح ١٨٢ ذيل ترجمة علي وبالهامش : « في هامش الاصل : هذا حديث صحيح الاسناد وروي من طرق عن علي رواه الحارث عن علي وروي مرسلاً ، وهذا الحديث أحسن شيء رأيته وأصح إسناد قرأته » و٢٢ / ٤٠١ ترجمة فاطمة ـ مناقبها ، وجواهر العقدين : ٣٥٠ الباب الحادي عشر ،

قال السمهودي بعد إيراده هذا الحديث : (فمن آذىٰ شخصاً من أولاد فاطمة أو أبغضه فقد جعل نفسه عرضة لهذا الخطر العظيم ، وبضده من تعرض لمرضاتها في حبهم وإكرامهم كما يؤخذ مما تقدم) جواهر العقدين : ٣٥١ الباب ١١ .

* وقال السهيلي : (هذا الحديث يدل علىٰ أن من سبّها كفر ومن صلّى عليها فقد صلّىٰ علىٰ أبيها) المواهب اللدنية : ٢ / ٥٣٣ الفصل الثاني من المقصد السابع .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها فقد أغضبني» المصنف لابن أبي شيبة : ٦ / ٣٩١ ح ٣٢٢٥٩ كتاب الفضائل ـ فضائل فاطمة . والفردوس بمأثور الخطاب : ١ / ٢٣٢ ح ٨٨٧ ط . دار الكتب العلمية ، و٢٨٢ ح ٨٨٦ ط . دار الكتاب العربي . وصحيح البخاري : ٥ / ٨٣ ح ٢٣٢ كتاب الفضائل ـ مناقب قرابة الرسول و٧ / ٧٣ كتاب النكاح باب (١١٠) ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والانصاف ح ١٥٩ ، وصحيح مسلم : ١٦ / ٢٢١ ح ٦٢٥٧ كتاب الفضائل ـ فضائل الصحابة ـ فاطمة .

وزوّجها الرسول الكريمﷺ لشخص كان ذروة في المآثر، زوجها علي بن أبي طالبعليه السلام الذي كان شاباً شجاعاً شريفاً ومن أكثر الناس إيماناً وأسبقهم إلى الإسلام، وأكثرهم مشاركة في كل ميادينه، عليّ .. من قام الإسلام بسيفه.. من كان يُقدم حيثما يحجم الآخرون ويحل المستعصي من العقد .. هذا الصهر العزيز المحبوب الذي لم تكن محبته منطلقة من وازع القرابة وما شاكلها من الوشائج، وإنما كانت انطلاقاً من عظمة شخصيته، ولهذه الأسباب زوّجه ابنته، فكان من نسلهم الحسين، وهذا الكلام يصدق كله أيضاً على الإمام الحسنعليه السلام. إلا أنّ كلامي هنا يدور حول الإمام الحسينعليه السلام ..

بين الحسين والنبي عليهما السلام

أعز عزيز عند الرسول الأعظم الذي كان زعيم العالم الإسلامي وحاكم المسلمين ومحبوب كل القلوب يضمه بين ذراعيه ويصطحبه إلى المسجد. والمسلمون كانوا يعلمون أنّ هذا الطفل هو محبوب قلب الرسول الذي تذوب القلوب جميعاً في محبته. فحينما كان الرسول يلقي خطبة من فوق المنبر علقت رجل هذا الطفل بعائق فسقط على الأرض، فنزل الرسولﷺ من فوق المنبر واحتضنه ولاطفه. لاحظوا، هكذا كانت محبة الحسينعليه السلام عند الرسول الأعظم.

قال رسول اللهﷺ عن الحسن والحسين عليهما السلام وهما آنذاك في السابعة والسادسة من عمريهما: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة**»[1].

قال فيهما هذا القول وهما لازالا طفلين. أي أنهما حتى وإن كانا في تلك السن إلا أنهما يفهمان ويدركان ويعملان كمن هو في سن الشباب، ويفوح الأدب والشرف

(١) ترجمة الإمام الحسين: ٥٠.

من جنبيهما.

ولو قال قائل حينذاك أنّ هذا الطفل سيقتل على يد أمّة هذا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بلا جرم أو جريرة، ما كان ليصدّقه أحد. مثلما صرّح رسول اللّه صلى الله عليه وآله نفسه بتلك الحقيقة المرّة وبكى لها.

وتعجب في وقتها الجميع، مستنكرين إمكانية حدوث عمل كهذا.

مرحلة شباب الحسين عليه السلام

المرحلة الثانية: هي الفترة التي استمرت خمساً وعشرين سنة من وفاة الرسول إلى خلافة أميرالمؤمنين عليه السلام. إذ كان عليه السلام شاباً متوثباً وعالماً وشجاعاً، شارك في الحروب وخاض شدائد الأمور. كان معروفاً عند الجميع بالعظمة، وعندما يأتي ذكر الكرام تشخص إليه الأبصار وتحوم حوله الأذهان. وإسمه يسطع بين جميع مسلمي مكة والمدينة وحيثما امتد الإسلام، بكل فضيلة ومكرمة. والكل ينظر إليه وإلى أخيه عليه السلام باحترام وتكريم.

وحتى خلفاء ذلك العصر كانوا يبدون لهما التعظيم والإجلال. وكان مثالاً ومقتدىً لشباب ذلك العهد. وهكذا لو أنّ شخصاً قال آنذاك إنّ هذا الشاب سيقتل على يد هذه الأمّة، لما صدّقه أحد.

مرحلة الشهادة

المرحلة الثالثة: هي تلك المرحلة التي حلّت من بعد شهادة أميرالمؤمنين عليه السلام وكان دور غربة أهل البيت. فكان الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام يقيمان خلال تلك المدّة في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله. بعد مقتل أميرالمؤمنين بعشرين سنة، انحصرت الإمامة في الحسين على جميع المسلمين ـ وإن لم تكن الخلافة في يده ـ وبدى مفتياً كبيراً، وزاد احترامه عند الجميع، وأضحى عروة يتمسك بها كل من يريد التمسّك بأهل البيت عليهم السلام. فكان ذا شخصية محبوبة ورجلاً شريفاً نجيباً أصيلاً عالماً.

حتى إنه بعث في ذلك الوقت بكتاب إلى معاوية، لو كان غيره كتبه لأي حاكم لكان جزاؤه القتل. إلا أنّ معاوية حينما وصله الكتاب تلقاه بكل تكريم وقرأه متغاضياً عما جاء فيه.

ثم لو أن أحداً كان يقول في ذلك الوقت أنّ هذا الرجل الشريف الكريم العزيز النجيب الذي يجسّد الإسلام والقرآن في نظر كل ناظر، سيقتل عمّا قريب على يد أُمة الإسلام والقرآن قتلة شنيعة، لم يكن أحد ليتصور صحّة ذلك. إلّا أنّ هذه الواقعة العجيبة البعيدة عن التصور، قد حصلت فعلاً!

ولكن من الذين فعلوا ذلك؟ فعله أُولئك الذين كانوا يترددون عليه ويوالونه ويعربون له عن محبتهم وإخلاصهم! فما معنى هذا؟ معناه أنّ المجتمع الإسلامي أُفرغ طوال هذه الخمسين سنة من قِيَمِه المعنوية وجُرِّد من حقيقة الإسلام، فكان ظاهره إسلامياً وباطنه خاوياً. وهنا هو مكمن الخطر.

فالصلوات تقام وصلاة الجماعة موجودة، والأمة توصف بالأمة المسلمة، وحتى

أنّ البعض منها يوالي أهل البيت عليهم السلام !

ومعنى هذا أن أهل البيت عليهم السلام يحظون بالاحترام والقبول لدى جميع المسلمين، وكانوا في ذلك العصر يلقون غاية التكريم والمحبة. ولكن في الوقت ذاته حينما يصبح المجتمع خاوياً تقع مثل تلك الحادثة (حادثة كربلاء).

ولكن أين العبرة من هذا؟ تكمن العبرة في ما ينبغي عمله لكي لا ينزلق المجتمع إلى مثل ذلك المآل. وهذا ما يوجب علينا فَهْمَ الظروف التي ساقت المجتمع إلى تلك النهاية.

وهذا هو البحث المطوّل الذي أُريد أن أقّدم لكم موجزه[١].

(١) من كلمة ألقاها في ١١ محرم ١٤١٩ هـ ق ـ طهران.

فلسفة عاشوراء

كلّما تأملنا في عاشوراء وجدنا جديداً

فبالرغم من كثرة وأهمية ما قيل وما كُتب من قبل العلماء والمفكّرين البارزين حول أسباب وأهداف ثورة الإمام الحسين، إلّا أنّ المؤكّد انّه يمكن الخوض لسنوات طويلة في موضوع هذه الثورة المباركة وأسبابها وأهدافها ونتائجها..

فكلّما أمعنّا النظر أكثر في قضية عاشوراء وثورة الإمام الحسين عليه السلام، سنجد أن تلك الثورة تتّسع للتفكير والبيان أكثر فأكثر. وكلّما ازددنا تفكيراً في هذه النهضة الكبري، ستظهر أمامنا حقائق جديدة لم نكن نعرفها من قبل.

المعارف في عزاء الحسين عليه السلام

من المؤكّد أن من أهمّ ميزات المجتمع الشيعي دون غيره من الاخوة المسلمين هو امتلاكه لذكرى عاشوراء وفاجعة كربلاء الأليمة.

ومنذ اليوم الذي أُقيمت فيه مجالس العزاء التي تُذكر فيها المصائب التي جرت على أبي عبدالله عليه السلام وأهل بيته الأطهار، تدفّق نبع من المعنوية والمعارف الإسلامية في أذهان وقلوب محبّي أهل البيت عليهم السلام، ومازال ذلك النبع متدفّقاً الى

اليوم وسيبقى كذلك الى ما شاء اللّه [١].

كثرة المصائب خلّدت واقعة عاشوراء

إنّ الحياة الكريمة لابدّ وأن يكتنفها الكثير من المصائب. وساحة الطف الحسيني بذاتها كانت مسرحاً لمصائب شتى. وإنه لمن العجيب حقاً كيف أنّ اللّه عزّ وجلّ جعل أرض عاشوراء الحسين عليه السلام مسرحاً لمجموعة من المصائب الكبرى ومنح أُناساً عظاماً وفي مقدمتهم أبو عبداللّه الحسين عليه الصلاة والسلام القدرة على تحمل هذه المصائب الكبرى بإباء وشموخ وصبر وشكر.

وإن ما جرى يوم عاشوراء فريد في تأريخ الإنسانية في كلا بُعديه (المادي والمعنوي) ؛ فلم تشهد الإنسانية على مدى حياتها واقعة تجسدت فيها كل هذه المصائب مجتمعة وبهذا القدر من الشدّة والتنوع خلال برهة زمنية امتدت من الصباح حتى العصر، وكذا في البُعد الثاني، فالصبر الذي جوبهت به تلك المصائب كان فريداً من نوعه أيضاً.

لقد تجلّت في تلك الواقعة ألوان من الظلم والتقتيل ومشاعر الغربة والعطش، وكذا الآلام التي يكابدها الإنسان في سبيل عائلته، والقلق الذي ينتابه خوفاً من المجهول، وما تلاه من فقدان أعز الأنفس في عالم الوجود ـ أي الحسين بن علي عليه السلام وأهل بيته وأبنائه وأصحابه ـ وما جرى عليهم من السبي على يد أُناس أراذل بعيدين عن قيم الشرف؛ وياليت سبيهم كان على يد أُناس أشراف؛ فالسبي على يد أُناسٍ أشراف يُهوّن من وقع المصيبة، ولكنهم سُبوا على يد أُناس عديمي الشرف وهم أقرب إلى صفة الوحوش الكاسرة منه إلى صفة الإنسانية.

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٩ ذي الحجة ١٤١٤ هـ ـ مصلى ياسوج.

وبعد ذلك العذاب المتواصل من الصباح حتى المساء، ناءَ أهلُ بيت الإمام الحسين عليه السلام بمصيبة السبي التي وقعت أعباؤها على عاتق الإمام السجاد ـ إمام زمانه ـ وعلى العقيلة زينب عليها السلام ـ التي تأتي مكانتها بعد مقام الإمامة ـ ثم على النساء والأطفال الذين لا يتصفون على الظاهر بمقامات معنوية عالية من قبيل الولاية والإمامة، إلّا أنهم تحملوا مرارته. وهذه هي العظمة التي خلّدت واقعة عاشوراء.

لا ريب أنّ أية فئة تقاسي المصائب في سبيل أهداف وغايات نبيلة وسامية ومقدسة ـ لا أن تكون مجرد غايات تافهة وعقيمة ـ وتتحملها بصبر وصلابة، يكون لها نصيب من تلك الفضائل.

وهذا هو السبب الذي يجعلنا ننظر بإجلال وإكبار لعوائل الشهداء والأسرى والمفقودين والمعوّقين ولذات المعوقين والأسرى. فالشعب والتاريخ لا يسجل منقبة لفئة من الناس دونما سبب، فلولا الصبر لما تحققت هذه الفضائل.

إنّ الفترة التي يقضيها الإنسان في الأسر فترة عصيبة حقاً سيّما إذا كان الأسر بيد الأعداء الذين وصف لنا أحرارنا الأعزاء عند عودتهم كيفية تعامل الأعداء مع الأسرى، فهم لم يعاملوهم مثلما عاملنا نحن الأسرى الأجانب لدينا، بل عاملوهم بأسلوب آخر بعيد عن الإنسانية.

إنّ لكل لحظة من لحظات الليل والنهار التي تمر على أسرانا الذين لازالوا في يد العدو ـ ولا نعلم بعددهم على وجه الدقة، ولكن على العموم نعلم بوجود مجموعة كهذه ـ فضيلة وثواباً عند الله. ويتبعهم في الأجر عوائلهم، فحالهم حال الشهداء؛ إذ قلنا أنّ الثواب الأوفر يكون من نصيب الشهداء أولاً ثم يكون لعوائل الشهداء، فكذلك بالنسبة للأسرى، أي أنّ الثواب الوفير والأجر الجزيل يناله الأسرى بالدرجة الأولى لأنهم هم الذين يكابدون هذا العناء، ثم يأتي الدور من بعدهم لكم أنتم يا عوائل الأسرى، وهو بلاشك أجر كبير أيضاً.

إنّني أستشعر الآلام التي تعانيها العائلة التي فقدت أحد أعزّتها وبقيت تجهل مصيره؛ فالأمهات والآباء والزوجات والأبناء والعوائل، تعيش فترات مريرة وتمر عليها ساعات عصيبة ليلاً ونهاراً، إلّا أن الأجر الذي ينالوه كبير ويتناسب مع قدر هذه المشقة.

واعلموا يا أعزائي إن كل مصيبة تقع للإنسان له في أزائها أجر كبير عند ربّه. والقضية ليست ذات طرف واحد؛ وإنما يتلقى الإنسان العوض من ربّه أزاء كل معاناة وكل محنة، ولا يُبخس عند ربّه شيئاً، ولا يستوي عنده من استشهد ولده، مع من يعيش ولده إلى جانبه بهناء، ولا يتساوى لديه من ضحى بنفسه أو بأحد أعزائه مع من لم يكابد أية مشقّة، والذي فقد ولده ولا علم له بمصيره لا يستوي مع الآخرين. فلكل مجهود أو عمل يؤديه الإنسان أو المجتمع أجر عند اللّه، **﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَ هُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾**[1].[2]

---

(١) سورة هود:١٥.

(٢) من كلمة ألقاها بمناسبة حشد من عوائل الأسرى والمفقودين في: ١٤ محرم ١٤١٨هـ

أثر التذكير بالمصائب

المنشأ لكلّ هذا الخير والبركة هو التذكير المتواصل بيوم عاشوراء لكي تبقى ذكرى فاجعة كربلاء حيّة في ضمير أبناء الأمة.

فذكرى عاشوراء ليست مجرّد ذكر لبعض الخواطر والذكريات والأحداث فقط. وإنّما هي تبيان لحادثة في غاية الأهمّية ولها عدد غير محدود من الأبعاد والجوانب التي تركت أعمق الآثار في حياة الأمة الإسلامية على مرّ التاريخ.

إذن، فالتذكير بهذه الفاجعة هو موضوع يمكن أن يتبلور عن كثير من الخيرات والبركات لأبناء هذه الأمة. لذا تلاحظون أنّ قضية البكاء والإبكاء على الإمام الحسين عليه السلام كانت تحتلّ مكانة متميزة في زمن الأئمة عليهم السلام.

فلا يتصوّر أحد أنّه مع وجود المنطق والاستدلال، فما هي الحاجة للبكاء وما هي الحاجة للبحث في قضايا قديمة من هذا القبيل؟[1]

(١) من كلمة ألقاها في ٢٩ ذي الحجة ١٤١٤ هـ ـ مصلى ياسوج.

علم الإمام عليه السلام بوقائع عاشوراء

وبالإضافة الى ذلك فقد كان يعلم عليه السلام انّه بعد استشهاده سوف تقوم تلك الذئاب الكاسرة بالهجوم على عياله وأطفاله لإخافتهم وإرعابهم ونهب أموالهم وبالتالي أسرهم وتوجيه الإهانة لهم والاعتداء بالضرب على بنت أميرالمؤمنين عليه السلام زينب الكبرى عليها السلام التي كانت من الشخصيات البارزة في العالم الإسلامي.

وقد واصل أبو عبداللّه كفاحه المرير على الرغم من علمه بجميع تلك الأُمور تفصيلاً.

فلاحظوا كم كان ذلك الجهاد الذي خاضه أبو عبداللّه شاقّاً ومريراً. وبالإضافة الى ذلك فقد كان يعاني هو وأهل بيته وأصحابه من شدَّة العطش نتيجة لمنعهم من الوصول الى ماء الفرات. فقد كان الأطفال والصبيان والشيوخ وحتى الأطفال الرضع يتلظون من شدّة العطش! حيث لم يكونوا قد ذاقوا قطرة من الماء منذ مدة طويلة.

فلكم أن تتخيّلوا الآن كم كان شاقّاً وعظيماً ذلك الجهاد الذي خاضه إمامنا الحسين عليه السلام.

فأيّ إنسان لا تهتزّ عواطفه من فاجعة استشهاد مثل هذا الإنسان العظيم الطاهر المعصوم الذي كانت الملائكة تتسابق لرؤية وجهه المنير والذي كان يتمنّى الأنبياء عليهم السلام والأولياء أن يكونوا في منزلته؟

وأيُّ إنسان حرٍ يعرف مغزى تلك الفاجعة ويفهم أهدافها ثمّ لا يشعر بالارتباط القلبي والعاطفي معها؟ فهذا النبع المعنوي والعاطفي بدأ بالتدفّق ومازال. عصر يوم

عاشوراء حينما وقفت زينب ـ على ما ورد في النقل ـ على التل الزينبي وخـاطبت جدّها رسول اللّهﷺ قائلة: «**يا رسول اللّه صلّى عليك مليك السماء هذا حسينك مرمَّل بـالدماء مـقطَّع الأعـضاء مسلوب العـمامة والرداء**»[١] وبـدأت بـقراءة عـزاء الإمـام الحسينعليه‌السلام بصوت عال. وبعد ذلك قامت بإفشاء ما أرادوا كتمانه من خلال خطبها وكلماتها الرنّانة في كربلاء والكـوفة والشـام والمـدينة المـنوَّرة. هـذه هـي فـاجعة عاشوراء وهذه هي أبعادها وأهدافها[٢].

---

(١) لوعاج الأشجان:١٩٨، ومناقب آل أبي طالب:٣/٢٦٠.

(٢) من كلمة ألقاها في ٢٩ ذي الحجة ١٤١٤ هـ ـ مصلى ياسوج.

مجالس العزاء

سؤال الله تعالى عن مجالس الحسين

والحقيقة التي لا ريب فيها هي أنّ اللّه سبحانه وتعالى سوف يسأل الإنسان يوم القيامة عن جميع النعم التي منَّ بها عليه. وإنّ من أعظم النعم الإلهية علينا هي مجالس العزاء التي تُقام إحياءاً لذكرى فاجعة عاشوراء الإمام الحسين عليه‌السلام.

وللأسف فإنّ إخواننا من المسلمين غير الشيعة قد حرموا أنفسهم من هذه النعمة العظيمة التي بإمكانهم استثمارها إذا أرادوا. طبعاً هناك القليل منهم من يقيم مراسم العزاء لأبي عبداللّه عليه‌السلام لكنّه ليس رائجاً عندهم كما هو رائج عند الشيعة بهذا الشكل الواسع الذي يعرفه الجميع.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما هي الفائدة التي يجب أن تجنى من هذه الذكرى ومن هذه المجالس؟ وما هو الطريق لشكر هذه النعمة؟

أما الجواب على هذه الأسئلة وأمثالها فهو ملقى على عاتقكم أنتم.

فهذه النعمة الكبيرة هي التي تربط القلوب بمنابع الإيمان باللّه وبالغيب مباشرةً، وهي التي جعلت الحكّام الطواغيت على طول التاريخ يرتجفون خوفاً وفزعاً من عاشوراء ومن قبر الإمام الحسين عليه‌السلام. فقد بدأ هذا الخوف منذ زمن بني أُمية

وتواصل الى يومنا هذا.

الإستفادة من عاشوراء

وقد شاهدتم نموذجاً لهذا الخوف والفزع في أثناء أحداث الثورة الإسلامية المباركة. فحينما حلّ شهر محرّم ـ في أيام الثورة الإسلامية ـ لم يتمكن النظام الشاهنشاهي الرجعي الكافر والفاسد من القيام بأيّ عمل وشُلَّ عن الحركة تماماً.

وتشير التقارير المتبقية من زمن ذلك النظام المنحط بصراحة الى أنّ النظام البهلوي ومع حلول شهر محرّم الحرام قد فقد السيطرة على كلّ شيء وفلت زمام المبادرة من يده في جميع أرجاء البلاد.

وقد عرف إمامنا الراحل (رض) ـ ذلك الرجل الحكيم وصاحب النظرة الثاقبة ـ كيف يستغل أيام عاشوراء من أجل السعي الى تحقيق أهداف الإمام الحسين عليه السلام العظيمة، فقد أعلن (رض) بأنّ محرّم هو شهر انتصار الدم على السيف. وبهذا المنطق ـ وببركة شهر محرّم ـ انتصر الدم على السيف في إيران الإسلامية وكما خطّط له الإمام الراحل (رض).

هذه إحدى النماذج التي شاهدتموها ولمستموها في أثناء أحداث ثورتنا الإسلامية المباركة.

إذن لابدّ من استثمار هذه النعمة الإلهية بشكل كامل وبنّاء من قبل العلماء وأبناء الشعب معاً.

أمّا استثمار أبناء الشعب لهذه النعمة فيتمثّل في إقامة مجالس العزاء وتوسيعها على أكبر نطاق ممكن والمشاركة الفعّالة والجادّة فيها.

الفائدة الحقيقية من حضور المجالس

ويجب أن تكون تلك المشاركة بقصد الاستفادة الحقيقية وليس مجرّد إتلاف للوقت أو محاولة الحصول على الثواب الأُخروي ـ بالشكل الذي يتصوره بعض السذّج من الناس ـ. فمن المؤكّد أنّ المشاركة والحضور في هذه المجالس يستتبعه الثواب الأُخروي. ولكن السؤال: ما هو السبب في الحصول على الثواب من خلال المشاركة في مجالس عزاء الإمام الحسين عليه السلام ؟

فمن المسلم أنّ هذا الثواب يتحصل نتيجة لسبب من الأسباب ومالم يتحقق ذلك السبب فإنّ الثواب سوف لا يحصل قطعاً. ولكن البعض يغفل ـ وللأسف ـ عن هذه النقطة ويعتبر أنّ مجرّد الجلوس في المجالس الحسينية كاف في الحصول على الثواب الأُخروي.

إذن يجب على أبناء الأُمّة معرفة القيمة الحقيقية والأهمّية البالغة لتلك المجالس والمشاركة الجادّة فيها وجعلها وسيلة لتعميق الارتباط القلبي والنفسي بينهم وبين الحسين عليه السلام وآل النبي عليهم السلام واتّخاذها ـ تلك المجالس ـ للوصل بينهم وبين روح الإسلام والقرآن.

هذا ما يتعلّق بالناس حول الاستفادة من هذه المجالس[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٩ ذي الحجة ١٤١٤ هـ ـ مصلى ياسوج.

العزاء الصحيح

إن استعمال الثناء الفارغ والتافه والذي يكون مضرّاً أحياناً، فمثلاً يتم الحديث حول شخصية أبي الفضلعليه السلام، فيطنب في وصف عينيه وحاجبيه الجميلين! فهل أنّ العيون الجميلة نادرة في العالم؟ وهل كانت قيمة أبي الفضلعليه السلام مستوحاة من عينيه الجميلتين؟! وهل أنكم رأيتم أبا الفضل وتعرفتم على صفة عينيه؟! إن هذه الأمور تهبط بمستوى معارفنا الدينية؛ إن معارف الشيعة في الذروة العليا، وإن علوم الشيعة علوم تأتي بالفيلسوف الغربي والمترعرع ضمن المفاهيم الغربية كأمثال هنري كوربن وتجعله يجثو على ركبتيه أمام العلاّمة الطباطبائي، ويذعن لها فيكون مروّجاً للمعارف الشيعية في أوروبا.

فيمكن استعراض المعارف الشيعية على جميع المستويات ابتداءاً من العامي والمتوسط إلى أعلى مستويات الفلاسفة.

فلا ينبغي أن نتسامح في التعاطي مع هذه المعارف.

إن قيمة أبي الفضل تكمن في جهاده وتضحيته وإخلاصه، ومعرفته بإمام زمانه، وصبره وثباته وامتناعه عن شرب الماء برغم شدة عطشه ووقوفه على نهر الفرات، ودون أن يكون هناك مانع شرعي أو عرفي.

إن قيمة شهداء كربلاء تكمن في دفاعهم عن الحق في أشد الظروف التي يمكن للإنسان أن يتصوّرها.

يمكن لشخص أن يذهب ويشارك في حرب خاسرة وقد يقتل فيها وطبعاً هذا

مقام كبير لا يناله كل شخص.

فإن الشهداء والمجاهدين في سبيل الاستشهاد على هذا النحو في ساحة القتال يختلف اختلافاً كبيراً عن الاستشهاد في ساحة كربلاء، بما تحمله من معاني الغربة والضغوط والعطش والتهديد بالإيذاء من قبل أولئك الأوغاد، فغالباً ما يُبدي شخص استعداده للتضحية لولا بعض المعلومات التي يتذرع بها من قبيل قوله: ماذا أصنع وإن ابني يتضوّر جوعاً أو ألماً، وأحياناً يقدّم صيانة عرضه على نفسه، ويفضل العناية برضيعه أكثر من محافظته على روحه، في حين يَقْدم شخص على التوجه إلى ساحة الوغى مصطحباً رضيعه وزوجته وأمه وعرضه ويعرض الجميع للخطر دون أن تهتزّ له قدم.

وهنا تكمن قيمة أبي الفضل وحبيب بن مظاهر وجون، وليس في القامات الفارعة والعضلات المفتولة، فما أكثر القامات الفارعة، والمتمرسون في رياضة كمال الأجسام، دون أن يكون لذلك قيمة في الموازين المعنوية.

وأحياناً يُستند إلى هذه التعابير! فتحين التفاتة من شاعر إلى جمال أبي الفضل في قصيدة من ثلاثين أو أربعين بيتاً، فلا ينبغي أن نكون متزمتين أكثر من اللازم، إلا أنه لا يجدر بنا أن نصبّ كل اهتمامنا على وصف الحاجب المعقوف والأنف الأقنى والعيون الناعسة لهؤلاء العظام، فإن هذا ليس مديحاً، بل ومضرّ أحياناً، وهو غير مناسب في بعض الأجواء، فلا ينبغي أن يخلو منبركم الذي يستغرق عشرة دقائق أو عشرين دقيقة من المعارف.

وقد شاهدت هذا العام في شهر محرم وعشرة الفاطمية مراعاة بعض الأخوة المداحين لهذه المسألة والحمد لله، فيجب عليكم في بداية المدح تخصيص فصل للنصح، وبيان المعارف بأسلوب شعري على ما كان عليه التقليد سائداً منذ القدم، وقد

تقلصت هذه التقاليد شيئاً ما في هذه الأيام؛ فقد كان المدّاح يبدأ المنبر بقصيدة شعرية من عشرة أبيات أو أقل أو أكثر في النصح والأخلاق بألفاظ بديعة، وكانت تترك أثرها في نفوس الناس، ذكرت ذات مرةٍ أن شعر المدّاح يفوق في تأثيره أحياناً ما نقوله على المنبر في ساعة من الزمن، إلا أنّ هذا ليس بقول مطلق، بل يصادف ذلك أحياناً إذا تم انتقاؤه بشكل مدروس وتمّ إلقاؤه بنحو جيد.

قال أحد الإخوة المدّاحين ذات مرةٍ: إننا إذا انتخبنا شعراً جيداً للشعراء الكبار فإن عامة الناس سوف لا يدركون مغزاه، وهذا ما يضطرنا إلى اللجوء إلى هذه الأشعار، إلا أنّ هذا الكلام مجانب للصواب ولا أراه صحيحاً.

فإن المدّاح إذا خاطب الجمهور بأسلوبه الفني أمكنه تقطيع الشعر مهما بلغت صعوبته، وسيترك أثره في قلوب السامعين.

إن لدينا ثروة شعرية كبيرة، انظروا إلى ديوان صائب[1] ، فقد اتفق ذات يوم أن اخترت أبياتاً منه، وأشرت على بعض الإخوة المدّاحين بالعمل عليها.

إن ديوان صائب يحتوي على قصائد نافعة ومؤثرة جدّاً، وهكذا قصائد غيره، كما أنّ لبعض الشعراء كلمات جميلة وبديعة في عبادة الأئمة (عليهم السلام) وتضرعهم وخضوعهم وإنفاقهم وجهادهم.

انتخبوا الشعر الذي يمتاز بالمستوى الجيد من الناحية الفنية؛ لأنه مؤثر، فإن للشعر الجيد والفني، أثر لما للفن من خصوصية عامّة في التأثير دون التفات من المتكلم والمستمع، فإن الشعر والرسم وسائر أنواع الفن والصوت البديع والنغم العذب يترك أثره على المخاطب من حيث لا يشعر، وهذا من أفضل أنواع التأثير.

---

(١) هو محمد علي بن عبد الرحيم التبريزي ولد بأصفهان في سنة ١٠١٦ هـ أصبح ملك الشعراء للشاه عباس الثاني، انظر الذريعة: ٩ / ٥٦٩.

تلاحظون أنّ الله تعالى اختار أفصح بيان لإيصال أسمى المعارف والمعاني ألا وهو القرآن، الذي أعجز الآخرين عن الآتيان بمثله من ناحية تركيب الألفاظ وتنسيقه الفني، فضلاً عن معانيه.

وهكذا لاحظوا خطب نهج البلاغة فإنها آية في الجمال، وقد كان بإمكان أمير المؤمنين استعمال الكلمات العادية، إلا أنه استعمل البيان الفني(وبعد فنحن أمراء الكلام).

وقد كانوا حقاً أمراء الكلام[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في ١٣٨٤/٥/٥هـش ٢٠ / ٦ / ١٤٢٦هـق ٢٧ / ٧ / ٢٠٠٥م ـ مشهد المقدسة.

الأنغام غير المناسبة في العزاء

قد سمعت أنه يتم اللجوء أحياناً إلى الأنغام غير المناسبة، مثلاً أن مطرب البلاط الطاغوتي أو غيره قد تغنّى بشعر مبتذل في الحب والعشق بنغم معين، فلا توجد هناك ضرورة إلى صبّ الآيات العالية في قالب هذا النغم في مجلس الإمام الحسينعليه السلام وعشاقه، فإن هذا سيء للغاية، فاعملوا بأنفسكم على إبداع الأنغام فهناك الكثير من الأذواق والفنون، ولاشك في وجود بعض الطاقات الوالهة بهذه القضية التي يمكنها إبداع الأنغام المتناسبة مع المديح من أنغام العزاء والفرح.

مع إضافة هذه المسألة وهي أن ألحان الأفراح تختلف عن ألحان العزاء.

وقد جرت العادة حالياً على التصفيق في مجالس أيام العيد وأنا لا أخالف ذلك ولا أرى فيه بأساً، ولكن إذا استمعتم إليها من المذياع ـ وقد استمعت إليها من المذياع شخصياً ـ واستمعتم إلى الشعر فسوف تتصورون أنهم يلطمون على صدورهم، إذ إنّ اللحن لحن لطم كما أن صوت التصفيق يشابه صوت اللطم، فأي فرح هذا؟ فلو تم إبداع أنغام وألحان خاصة بمناسبات الفرح دون أن تكون مبتذلة أو طاغوتية أو محرمة، وأن يتم انتخابها بأسلوب جيد، فستكون أفضل وأكثر تأثيراً، لا أن تسري على أفراحنا ألحان التعازي.

وعلى كل حال فإن الميدان واسع أمامكم ويمكنكم العمل والتأثير فيه، وحالياً هناك وفرة في المداحين الشباب، وهناك إقبال شبابي كبير، فهذه أرض طيبّة يمكن استثمارها إذا أحسن الإنسان بذرها وسيكون نتاجها ممتازاً وقيّماً.

فلنغتنم هذه الفرصة، فرصة النظام الإسلامي والشعر الجيد واللحن البديع والمضمون المتين والأداء الرصين والصوت العذب[1].

(١) من كلمة ألقاها في ١٣٨٤/٥/٥هـ.ش ٢٠ / ٦ / ١٤٢٦هـ.ق ٢٧ / ٧ / ٢٠٠٥م ـ مشهد المقدسة.

مادة مجالس العزاء

إنّ مجالس العزاء تقوم على أساس اجتماع عدد من الناس ومشاركة أحد الخطباء الذي يتولّى إقامة العزاء حتى يستفيد الآخرون. ولكن كيف يجب أن تقام مراسم العزاء؟ إنه سؤال موجّه الى جميع من يشعر بالمسؤولية في هذه القضية، وبإعتقادي، إنّ هذه المجالس يجب أن تتميّز بثلاثة أُمور:

١ ـ تكريس محبة أهل البيت عليهم السلام

الأول: هو تكريس محبة أهل البيت عليهم السلام ومودّتهم في القلوب؛ لأن الارتباط العاطفي إرتباط قيّم ووثيق، وعليكم أن تعملوا في هذه المجالس على تكريس مودة الحسين بن علي ـ عليهما السلام ـ وأهل بيت النبّوة في قلوب المشاركين وتوثيق ارتباطهم بمصادر المعرفة الإلهية أكثر فأكثر.

وأمّا إذا وجدتم وضعاً في هذه المجالس لم يؤدّي إلى تكريس مودة أهل البيت في قلوب المستمعين أو من هم خارج المجلس وإنما يؤدّي ـ لا سمح اللّه ـ الى ابتعادهم واشمئزازهم من مجالس العزاء، فإنّ هذه المجالس تفقد عندئذ واحدة من أهم فوائدها وأهدافها، بل تصبح مضّرة في بعض الأحيان. فانظروا ماذا ستفعلون أنتم الذين تؤسّسون هذه المجالس وأنتم الذين تخطبون فيها حتى تتعزّز العلاقة العاطفية للناس بالحسين بن علي ـ عليهما السلام ـ وأهل بيت النبوة يوماً بعد يوم نتيجة المشاركة في هذه المجالس.

٢ ـ تبيان قضية عاشوراء

الأمر الثاني: الذي يجب أن تتميّز به المجالس الحسينية هو إعطاء صورة واضحة عن أهل قضية عاشوراء للناس وتبيانها لهم، وإن مجالس العزاء على الحسين بن علي عليه السلام يجب أن لا تكون مجرد منبر لخطابات غير هادفة، لأن هناك في هذه المجالس أُناساً يتميّزون بالتفكّر والتعقّل والتأمّل في الأُمور وما أكثرهم في مجتمعنا ببركة الثورة والصحوة الإسلامية سواءاً من الشباب والشيوخ والنساء والرجال الذين يتساءلون مع أنفسهم لماذا جئنا الى هذا المجلس وبكينا على الحسين عليه السلام؟ ما هي أصل القضية؟

لماذا يجب البكاء على الإمام الحسين؟ لماذا جاء الإمام الحسين الى كربلاء وأوجد قضية عاشوراء؟

هذه الأسئلة يجب أن يجاب عنها في المجالس الحسينية حتى تتعزّز معرفة المستمع بأصل قضية عاشوراء، وإذا لم تتطرّقوا في منابركم وخطبكم ونعيكم الى هذا المعنى ولو بالتنويه والإشارة، فإن هذه المجالس ستفقد ركناً من الأركان الثلاثة التي نشير إليها، ومن الممكن أن لا تستحصل الفائدة المتوخاة من المجلس أو قد تؤدي ـ فرضاً ـ الى الضرر لا سمح الله ـ هذا الأمر الثاني.

٣ - تكريس المعرفة الدينية

أمّا الأمر الثالث: الذي يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار في مجالس العزاء، فهو تكريس المعرفة الدينية والإيمان الديني. إذ أنه لابدّ من التحدّث عن تعاليم الدين في هذه المجالس بشكل يعزز إيمان المستمع ومعرفته بالله سبحانه، ولابدّ من الموعظة

والتطرّق الى حديث شريف صحيح السند أو رواية تاريخية لاستخلاص العبر منها، أو تفسير آية شريفة من القرآن الكريم أو نقل موضوع مما تطرق له كبار العلماء والمفكرين الإسلاميين.

يجب أن لا يكون الأمر بأن يرتقي خطيب على المنبر ويتحدث بدون رؤية وبكلام غير هادف، أو يتطرّق في النعي الى مواضيع هشّة من حيث الفحوي، ليس فقط لا تؤدي الى تعزيز الإيمان وتقويته، وإنما تؤدي إلى إضعافه. وإذا حدث مثل هذا الأمر، فإننا سوف لا نبلغ الفوائد والأهداف المتوخاة من هذه المجالس.

وأقول لكم إنه تشاهد ـ وللأسف ـ مثل هذه الأمور أحياناً حيث يتطرّق الخطيب أحياناً الى أمور ضعيفة من حيث الاستدلال والاسناد العقلي والنقلي، ويعتبر هدّاماً من حيث التأثير في ذهن المستمع الذي هو من أهل المنطق والاستدلال العقلي.

هناك بعض الأُمور المدوّنة في كتاب ما وليس لدينا دليل على صحّة هذه الأمور أو سقمها، ولكن عندما تتطرّقون إليها من على المنبر، فإنها وبالرغم من عدم ثبوت سقمها إنما تثير أسئلة وإشكالات حول الدين لدى المستمع الذي قد يكون طالباً جامعياً أو تلميذاً أو شاباً أو مقاتلاً أو ثورياً ممن تفتّحت أذهانهم وأفكارهم ببركة الثورة الإسلامية، وإنه من الأفضل ألّا تتطرقوا إلى هذه الأُمور والمواضيع حتى لو كانت صحيحة السند، ولكنها تؤدي إلى الضلال والانحراف، دعْ عنك أنها تفتقد في معظمها إلى السند الصحيح الموثّق.

قد يكون هناك موضوع أو أمر سمعه شخص من شخص آخر بغض النظر عن صحة وسقم السند، أو استشفّه من قصيدة وبادر الى نقل هذا الموضوع من كتاب وقع بأيدينا على سبيل الفرض، فنحن يجب أن لا نتطرّق إلى هذا الموضوع الذي لا يمكن تسويقه أو تبريره إلى المستمع، وخاصةً إذا كان ممن يتميّز بالوعي والذكاء والبحث

في دقائق الأمور، لأنه ليس واجباً أن نقول كلّما نعلم أو ننقل ما دُوِّن في الكتب.

إنّ الجانب المهم من القضية الثقافية في مجتمعنا اليوم إنما ترتبط بالشباب، ولا أعني الطلبة الجامعيين وحدهم، وإنما أعني جميع الشباب من الرجال والنساء والطلبة وغيرهم الذين تفتّحت أذهانهم أزاء مختلف القضايا، وأصبحوا ينظرون إليها بعين التبصّر والتحقيق، فإنّهم معرّضون للشبهات ويريدون أن يفهموا الأمور ببصيره.

إنّ القضية الثقافية في عهدنا هو إلقاء الشبهات من جانب الأعداء، إنهم يلقون الشبهات ولا يمكن أن نفرض على من لا يؤيّدنا أو لا يقبل أفكارنا بأن يخرس ولا يتكلم.

إنهم يفتعلون الشبهات ويروّجونها ويثيرون الشكوك في النفوس، أنتم تقولون بضرورة التصدي للشبهات وعدم إشاعتها في حين أنّ البعض يرتقي المنبر دون التوجّه إلى هذه المسؤولية الخطيرة، ويتفوّه بكلام ليس فقط لا يحلّ أية مشكلة في ذهن المستمع، وإنما يزيد هذه المشاكل تعقيداً. فلو إرتقى أحدنا المنبر وتفوّه بكلام أثار شكوكاً حول الدين في أذهان عشرة أو خمسة أو حتى واحد من الشباب دون أن نعرفه، فكيف يمكن التعويض عن هذه الخسارة وإزالة الشكوك؟ وهل يمكن أساساً التعويض عن ذلك؟ وهل يغفر لنا اللّه ذلك؟.

هذه هي الأمور الثلاثة التي يجب أن تتميّز بها مجالس العزاء: تكريس المودة للحسين بن علي عليه السلام ولأهل بيت النبوة، وتعزيز العلاقة والارتباط العاطفي بهم، وإعطاء المستمع صورة واضحة عن واقعة عاشوراء، وتكريس المعرفة الدينية ووشائج الإيمان باللّه سبحانه وتعالى لدى المستمع. وإنه يكفي لو تحقق الحدّ الأدنى من ذلك[١].

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٩ ذي الحجة ١٤١٤ هـ ـ مصلى ياسوج.

تجنب ما يشين الإمام الحسين عليه السلام والدين

نحن لا نقول بأن جميع المنابر يجب أن تستوعب كل هذه الأمور، يكفي أن ينقل الخطيب حديثاً معتبر السند ويبادر الى تفسيره ويبيّن معانيه للمستمع دون أية إضافات من التي لا داعي لها وتبعد المستمع عن المعنى الحقيقي للحديث، أو أن يبادر الخطيب إلى تفسير آية شريفة من المصادر المعتبرة بعد التدقيق والتأمّل فيها حتى يتحقق الهدف المنشود، ولذكر المصاب تكفي الاستفادة من كتاب «نفس المهموم» للمرحوم المحدّث القميّ، فإنّه يُبكي المستمع ويثير تلك العواطف والمشاعر الجيّاشة التي تتوخّاها، ولا داعي للتعرّض الى أُمور تبعد المجالس الحسينية عن الفلسفة الحقيقية لإقامتها، وإنني أخشى من أن لا نتمكن من القيام بواجبنا ومسؤولياتنا ـ لا سمح اللّه ـ وخاصة في هذا العصر الذي هو عصر إحياء الإسلام وتجلّيه وتجلّي أفكار أهل بيت النبوة ـ عليهم السلام ـ

هناك أُمور تُقرّب الناس إلى اللّه وتعزّز تمسّكهم بتعاليم الدين، ومن هذه الأُمور هي مراسم العزاء التقليدية، وإنّ ما أوصانا الإمام ـ رضوان اللّه تعالى عليه ـ بإقامة مراسم العزاء التقليدية هو المشاركة في المجالس الحسينية ونعي الإمام الحسين عليه السلام والبكاء عليه واللطم على الصدور في مواكب العزاء، وهي من الأُمور التي تعزّز المشاعر الجيّاشة أزاء أهل البيت عليهم السلام.

غير أنّ هناك أُموراً خلاف ذلك وتبعد البعض عن الدين حيث شوهدت ـ وللأسف ـ خلال الأعوام الماضية أعمال تروّجها بعض الايدي على ما يبدو، إنهم يروّجون في مجتمعنا بعض الأعمال التي تثير علامات استفهام في أذهان

المشاهدين.

لقد جرت العادة في قديم الايام وبين عوام الناس أن يعلّقوا أقفالاً بأجسامهم في مراسم العزاء، فانبرى لها كبار العلماء واندثرت هذه العادة، غير أنها ظهرت مجدداً في الآونة الأخيرة، وسمعت أنّ البعض يعلّقون الأقفال بأجسامهم في مواكب العزاء، إنه عمل خاطئ يقوم به هذا البعض، وكذلك الأمر بالنسبة لشّج الرؤوس بالسيوف أي ما يصطلح عليه بـ(التطبير) الذي يعتبر عملاً مخالفاً هو الآخر.[١]

حرمة التطبير

أنا أعلم بأن البعض يقول بأن الحق كان مع الإمام الخميني الذي لم يتطرّق إلى موضوع شجّ الرؤوس وما الذي دعاك الى هذا الموضوع، كلاّ، ليس الأمر بهذا الشكل، فلو كان الإمام ـ رضوان اللّه عليه ـ حيّاً لتصدّى لظاهرة شجّ الرؤوس بالسيوف على الصورة التي روّجت خلال السنوات الأربع أو الخمس بعد انتهاء الحرب، إنه عمل خاطئ أنّ يشجّ البعض رؤوسهم بالسيوف، وما هو الحاصل من إراقة دمائهم بهذه الصورة؟ وكيف يمكن اعتبار هذا العمل من مراسم العزاء؟ أجل من مراسم العزاء اللطم على الرؤوس والصدور، ولكن ليس من العزاء أن يشجّ الإنسان رأسه بالسيف ويريق دمه حتى لو كانت المصيبة قد حلّت بأعزّ أعزائه، إنها بدعة وليست من الدين، ولاشك في أنّ اللّه لا يرضى على ذلك.

إنّ علماء السلف الذين لم يتصدّوا لهذه القضية إنما كانت يدهم مغلولة في هذا المجال، أمّا اليوم فإنه عصر الحكومة الإسلامية وعصر تجلّي الإسلام وينبغي أن لا نقوم بأعمال تشوّه سمعة المجتمع الإسلامي الذي يتميّز بمودّة أهل البيت عليهم

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٩ ذي الحجة ١٤١٤ هـ ـ مصلى ياسوج.

السلام ويفخر بأنه يتبرك بالإسم القدسي لولي العصر ـ أرواحنا له الفداء ـ وباسم الإمام الحسين عليه السلام واسم أمير المؤمنين عليه السلام.

ينبغي أن لا نقوم بأعمال تصوّر أبناء هذا المجتمع بأنهم أُناس خرافيون وغير منطقيين أمام المسلمين وغير المسلمين في العالم، وفي الحقيقة أنني وجدت بأنه لابدّ أنّ أحذّر أبناء شعبنا العزيز من هذه الظاهرة التي هي في الواقع بدعة وخلاف لتعاليم الدين ليكُفّوا عن هذا العمل. فأنا لست راضياً عمن يتظاهرون بشجّ الرؤوس، وأعرب هنا أنه كان في زمن ما يجتمع عدد من الناس في مكان محدود وليس أمام الآخرين ويشجّون رؤوسهم دون أن يتظاهروا بهذا المعنى، ولا شأن لأحد بهم سواء صحّ هذا العمل أو لم يصحّ، فإنه كان محدوداً وليس تظاهراً أمام الآخرين، أمّا أن ينطلق عدة آلاف من الأشخاص فجأة في أحد شوارع مدينة قم أو طهران أو إحدى مدن خراسان وآذربيجان وهم يحملون السيوف ليشجّوا بها رؤوسهم، فإن هذا العمل يعتبر خلافاً بلا ريب ولا يرضى عنه الإمام الحسين عليه السلام، ولا أدري من أين نشأت هذه الأعمال التي جاؤوا بها إلى مجتمعاتنا الإسلامية[١].

ويعتبر التطبير من الأمور الواضح بطلانها والبيّن غيّها وقد أيَّدَنا فيها كبار العلماء واقتنع بها كثير من الناس، ومع ذلك سمعنا مَنْ أثار ضجّة واتهمنا بمخالفة الإمام الحسين عليه السلام «**إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة**»[٢]، هل يعني أنْ نأتي بفعل لا شك في أنه مَحَل إشكال من الناحية الشرعية، وَبيّن الحرمة بالعنوان الثانوي؟ علينا بيان هذهِ الأمور، حتى ينجذب جيل شبابنا إلى الإسلام أكثر فأكثر، فها أنتم تشاهدون ميل الشباب إلى الإسلام.

إنّ هذا الميل ليس سوى انجذاب عاطفي، وهو برغم قيمته القصوى لا يعدو أن

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٩ ذي الحجة ١٤١٤ هـ ـ مصلى ياسوج.

(٢) الأخلاق الحسينيّة: ٣٣١.

يكون بمثابة موجة قد تأتي وتنحَسر، فإذا أردنا لهذه الموجة أن تستقر وتتواصل، فعلينا أن ندعم الأسس الفكرية لدى الشباب.

إنّ لدينا ثروة كبيرة، من قبيل دعاء أبي حمزة الذي استشهد به سماحة الشيخ مشكيني، ودعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة، وهذه الأدعية يقرؤها شبابنا دون أن يدركوا معانيها: «**إلهي هب لي قلباً يدنيه منك شوقه**»[1]، فما أكثر الأدعية الموجودة عندنا والتي تحمل مثل هذه المعاني السامية والمضامين العالية والعميقة كالمناجات الشعبانية والصحيفة السجادية، فعلينا أن نبيّن هذه الأدعية لشبابنا كي يقرؤوها بإمعانٍ وتدبّر واستيعاب[2].

---

(١) إفحام الأعداء والخصوم:٣.

(٢) من كلمة ألقاها في ١٧/٦ / ١٣٨٤هـ ش، الموافق: ٣/ شعبان/ ١٤٢٦ هـ. الموافق: ٨/ ٩/ ٢٠٠٥ م ـ طهران.

محرمات تعظيم وزيارة الأئمة عليهم السلام

وهناك بدعة غريبة ابتدعوها مؤخراً في كيفية الزيارات. أنتم تعلمون أن جميع أئمة الهدى عليهم السلام كانوا يزورون المرقد الطاهر للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والمراقد المطهرة لأئمة أهل البيت عليهم السلام في المدينة المنورة والعراق وإيران، ولكن هل سمعتم أن أحداً من الأئمة أو من العلماء كان يزحف على صدره من باب الحرم إلى الضريح أثناء الزيارة، فلو كان هذا العمل مستحباً أو مستحسناً لقام به علماؤنا الكبار، إلّا أنهم لم يقوموا بمثل هذه الأعمال، وحتى إنه نُقل بأن المرحوم آية اللّه العظمى البروجردي ـ رضوان اللّه عليه ـ ذلك العالم الورع والمجتهد البارز وذو الأفكار النيّرة منع حتى تقبيل العتبة لدى دخول الحرم المطهر لأي من الأئمة عليهم السلام .

ورغم أن هذا العمل قد يكون من المستحبات كما جاء في كتب الأدعية، وأتذكر أنّ هناك رواية باستحباب تقبيل العتبة، ولعل المرحوم البروجردي إنما منع ذلك حتى لا يُتصوّر أنه نوع من السجود يتبجّح به الأعداء لتوجيه الاتهامات إلى الشيعة.

ليس صحيحاً أن يدخل فجأةِ عدد من الناس إلى الحرم المطهر للإمام علي بن موس الرضا عليه السلام ويزحفون على صدورهم مسافة مائتي متر نحو المرقد، كلا، إنه عمل خاطئ، إنه استهانة بالدين وبحرمة الزيارة، من يروّج هذه الأمور بين الناس؟ ليكفُّوا عن ذلك، إنه من عمل الأعداء.

عليكم أن تبينّوا هذه الحقائق للناس حتى تتفتّح أذهانهم.

الإسلام دين منطقي، والفهم الشيعي للإسلام هو الأكثر منطقية من غيره.

ولا أحد يتمكن من أن يتهّم الشيعة بضعف منطقهم؛ لأن علماء الكلام من الشيعة كانوا كالشموس الساطعة في عهدهم، سواء الذين عاصروا حياة الأئمة كمؤمن الطاق وهشام بن الحكم وسواء الذين جاؤوا بعد الأئمة كبني نوبخت والشيخ المفيد وغيرهما والمتأخرين من علماء الكلام الشيعة كالمرحوم العلامة الحلّي وغيرهم.

نحن شيعة المنطق والدليل

فنحن الشيعة أهل المنطق وأهل الاستدلال المنطقي وإن الكتب الخاصة بالشيعة مفعمة بالاستدلالات المنطقية القوية ككتب المرحوم شرف الدين وكتاب الغدير للمرحوم العلامة الأميني في عصرنا الحاضر التي تستند الى أدلة أقوى من الاسمنت المسلّح.

هذا هو التشيّع وليس تلك الأعمال التي لا تستند إلى أي دليل وهي أشبه بشيء من الخرافات، فلماذا يروّجون هذه الأعمال ؟ إنه من الأخطار الكبرى التي يجب على علماء الدين وحماة العقيدة أن ينتبهوا إليها.

لقد أشرت إلى أنه قد يكون هناك من يقول من منطلق التعاطف أنه كان الأفضل أن لا يتطرّق فلان إلى هذه الأمور في الوقت الحاضر، ولكن ليس الأمر بهذه الصورة.

كان عليّ أن أتطرّق إلى هذا الموضوع، فإنّ مسؤوليتي أكثر من الآخرين، كما أن على الآخرين أن يحذّروا من هذه الأعمال وعليكم أن تشيروا الى الأمور، وإن الإمام الراحل ـ رضوان اللّه عليه ـ ذلك القائد الجريّ إنما كان يتصدّى بمنتهى القوة ودون أية اعتبارات لكل ثغرة تشمّ منها رائحة الانحراف، ولو كانت هذه الأعمال رائجة بهذه الصورة على عهده لتصدّى لها بلا ريب .

كما أن بعضاً من الذين تعلّقوا بهذه الأمور سيتأثّرون نفسياً ويقولون لماذا هذا الجفاء من فلان أزاء الأمور التي نتعلّق بها؟ ولماذا تطرّق لها بهذه اللهجة ؟

وطبيعي أنّ هؤلاء في معظمهم من المؤمنين الصادقين إلّا أنهم على خطأ واشتباه، وإنّ هذا الأمر مسؤولية كبير يتحمّلها السادة العلماء والخطباء أينما كانوا. فمجلس العزاء على الحسين بن علي عليه‌السلام هو ذلك المجلس الذي يجب أن يكون منشأً للمعرفة ومتميّزاً بالأمور الثلاثة التي أشرت إليها آنفاً[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٩ ذي الحجة ١٤١٤ هـ ـ مصلى ياسوج.

عناصر نهضة الإمام الحسين عليه السلام

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام إستطاع من خلال نهضته ـ التي كان لها في ذلك الوقت باعثاً عقلائياً ومنطقياً واضحاً جداً ـ أن يرسم نموذجاً ويتركه للأمة الإسلامية.

إنَّ هذا النموذج لا يتمثّل في نيل الشهادة فحسب، بل أمرٌ متداخل ومعقد وعميق جداً.

إنَّ لنهضة الإمام الحسين عليه السلام ثلاث عناصر هي: المنطق والعقل، والحماسة المشفوعة بالعزة، والعواطف.

١ ـ المنطق والعقل في ثورة الحسين عليه السلام

إنّ عنصر المنطق والعقل في هذه النهضة يتجلّى من خلال كلمات ذلك الإمام العظيم، فكل فقرة من كلماته النورانية التي نطق بها عليه السلام ـ سواء قبل نهضته، عندما كان في المدينة، والى يوم شهادته ـ تُعرب عن منطق متين، خلاصته: إنّه عندما تتوفر الشروط المناسبة يتوجَّب على المسلم تحمّل المسؤولية، سواء أدّى ذلك الى مخاطر جسيمة أم لا.

وإنَّ أعظم المخاطر تتمثل في تقديم الإنسان نفسه وأعزائه وأهل بيته المقربين ـ

زوجته وأخواته وأولاده وبناته ـ الى أرض المعركة وفي معرض السبي قربة لله تعالى.

إنَّ مواقف عاشوراء هذه أصبحت أمراً طبيعياً عندنا؛ لكثرة تكرراها، مع أنَّ كل موقف من هذه المواقف يهزّ الأعماق.

بناءً على ذلك، عندما تتوفر الشروط المتناسبة مع هذه المخاطر، فعلى الإنسان أن يؤدي وظيفته، وأن لا يمنعه عن إكمال مسيرته التعلق بالدنيا والمجاملات وطلب الملذات والخلود الى الراحة الجسمانية، بل عليه أن يتحرّك لأداء وظيفته.

فلو أنه تقاعس عن الحركة، نتج عن ذلك تزلزلاً في أركان إيمانه وإسلامه، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله : «**من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم اللّه ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ثم لم يغيّر عليه بقول ولا فعل كان حقيقاً على اللّه أن يدخله مدخله**»[١].

هذا هو المنطق، فلو أن أصل الدين تعرض الى خطر ـ كما حصل في فاجعة كربلاء ـ ولم يُغيّر ذلك بقول أو فعل، كان حقاً على الله أن يبتلي الإنسان اللاّمبالي والغير ملتزم بما يُبتلى به العدو المستكبر والظالم.

لقد بيّن الإمام الحسين عليه السلام هذه المسؤولية من خلال كلماته المختلفة ـ في مكة المكرمة والمدينة المنورة وفي أماكن كثيرة خلال مسيره، وبيّن ذلك في وصيته الى أخيه محمّد ابن الحنفية ـ.

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام على علم بعاقبة هذا الأمر، وينبغي أن لا يُتصور أنَّ الإمام عليه السلام علّق آماله للحصول على السلطة ـ وإن كانت هذه السلطة ـ

---

(١) بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٨٢، وشرح إحقاق الحق: ٦٠٣/١١.

كإمامة – من الأهداف المقدسة ـ وتحرّك من أجل ذلك، كلا، فليس هناك رؤية فكرية تستوجب علينا أن نعتقد بذلك؛ لأنَّ عاقبة هذا الطريق متوقعة وواضحة على طبق الحسابات الدقيقة للإمام الحسين عليه السلام والرؤية الإمامية، إلا أنَّ أهمية المسألة تتأتى من هذا الجانب، وهو أنَّ شخصاً يمتلك روحاً بعظمة روح الإمام الحسين عليه السلام ويتعرض لِما تعرض له عليه السلام من التضحية بالنفس، وجرّها الى ساحة الحرب، يعتبر درساً عملياً بالنسبة للمسلمين الى يوم القيامة، وليس درساً نظرياً يُكتب على لوحة الكتابة ثم يُمحى، كلا، فقد خُطَّ هذا النهج بأمر إلهي على صفحات جبين التاريخ، ونودي به، وأدى ثماره الى يومنا هذا.

إنّ نهضة الإمام الخميني (قدس سره) في محرم عام ١٩٦٢م التي نتجت عنها واقعة الخامس عشر من خرداد[١] العظيمة، إستُلهمت من ثمار التطبيق العملي لدرس عاشوراء، وكذلك في محرم ١٩٧٨م استلهم إمامنا العزيز نهضته منها حيث قال: (لقد انتصر الدم على السيف).

وأدّت هذه الحادثة التاريخية ـ التي ليس لها نظير في التاريخ ـ الى انتصار الثورة الإسلامية.

هذا ما تحقق في عصرنا، وأمام أعيننا، وإنَّ راية الفتح والظفر التي حملها الإمام الحسين عليه السلام ماثلة للشعوب على مرّ التاريخ، ولابد أن تكون كذلك في المستقبل، وهو ما سوف يكون إن شاء الله تعالى، هذا جانب المنطق العقلائي والإستدلالي لحركة الإمام الحسين عليه السلام.

بناءً على ذلك، فلا ينحصر تفسير نهضة الإمام الحسين عليه السلام على صعيد الجانب العاطفي، فهذا الجانب غير قادر على تفسير جوانب الواقعة لوحده.

---

(١) خرداد الشهر الثالث في التوقيت الهجري الشمسي.

٢ - الحماس والعزة

العنصر الثاني: الحماسة؛ أي أنّ العملية الجهادية الملقاة على عاتقنا، يجب أن تقترن بالعزة الإسلامية؛ لأنّ: ﴿لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وعلى المسلمين في نفس الوقت الذي يتحركون فيه نحو الهدف، ويتحمّلون المسؤولية الجهادية، أن يحافظوا على عزّتهم وعزّة الإسلام، ولابد أن يتحلّى الشخص بسمات الشموخ والعزة في أشد الأزمات.

فلو أننا نظرنا الى الصراعات السياسية والعسكرية المختلفة في تاريخنا المعاصر، سوف نجد حتى أولئك الذين كانوا يحملون السلاح ويواجهون الحرب بأبدانهم، يُعرّضون أنفسهم أحياناً الى مواقف الذلّة، إلا أنّ هذه المسألة ليس لها وجود في فلسفة عاشوراء، فعندما يطلب الإمام الحسين عليه السلام أن يمهلوه ليلة واحدة، يطلبها من موقع العزّة، وفي الوقت الذي يقول: (هل من ناصرٍ ينصرنا) ـ يطلب النصرة ـ يطلبها من موقع العزّة والإقتدار، وعندما تلتقي به الشخصيات المختلفة في الطريق بين المدينة والكوفة، ويتكلم معهم ويطلب النصرة من بعضهم، لم يكن ذلك من موقع الضعف وعدم القدرة، وهذا أحد العناصر البارزة في نهضة عاشوراء.

فينبغي أن يُطبّق عنصر الحماسة المشفوع بالعزّة في جميع الحركات الجهادية المدرجة في جدول أعمال سالكي طريق النهضة الحسينية، وأن تكون جميع الحركات الجهادية ـ سواء كانت سياسية، أو إعلامية، أو المواقف التي تستدعي التضحية بالنفس ـ منطلقة من موقف العزّة.

أنظروا الى شخص الإمام الخميني (قدس سره) في يوم عاشوراء عندما كان في

---

(١) سورة المنافقون: الآية ٨.

المدرسة الفيضية: فقد كان عالم دين، ولم يكن يمتلك شيئاً من القوة العسكرية، أو أي شيئ من هذا القبيل، إلا أنّه كان يتمتع بشخصية لها من العزّة بحيث يركع العدو صاغراً لقوة بيانه، هذه هي مكانة العزّة.

هكذا كان الإمام الخميني (قدس سره) في تلك الظروف، وحيداً فريداً ليس له عدّة ولاعدد، إلا أنّه كان عزيزاً، وهذه هي شخصية إمامنا العظيم (قدس سره).

نشكر الله تعالى الذي جعلنا في زمان تمكنّا فيه من الرؤية العينية المباشرة لنموذجٍ عملي، لما كنّا نردده ونقرأه ونسمعه كثيراً منذ سنوات عدّة في واقعة كربلاء، وهذا النموذج هو إمامنا العظيم (قدس سره).

٣ ـ دور العاطفة في كربلاء

العنصر الثالث: العاطفة: أي أنّه قد أصبح للعاطفة دوراً مميزاً في نفس واقعة كربلاء وفي إستمرارها، أدّى الى إيجاد برزخٍ بين النهضة الحسينية والشيعية من جهة وبين النهضات الأُخرى من جهة ثانية، فواقعة كربلاء ليست قضية جافة ومقتصرة على الإستدلال المنطقي فحسب، بل قضية اتّحد فيها الحب والعاطفة والشفقة والبكاء.

إنَّ الجانب العاطفي جانب مهم؛ ولهذا أُمرنا بالبكاء والتباكي، وتفصيل جوانب الفاجعة.

لقد كانت زينب الكبرى (عليها السلام) تخطب في الكوفة والشام خطباً منطقية، إلا أنها في نفس الوقت تقيم مآتم العزاء، وقد كان الإمام السجاد عليه السلام بتلك القوة والصلابة ينزل كالصاعقة على رؤوس بني أمية عندما يصعد المنبر، إلا أنه كان يعقد مجالس العزاء في الوقت نفسه.

إنَّ مجالس العزاء مستمرة الى يومنا هذا، ولابد أن تستمر الى الأبد؛ لأجل استقطاب العواطف، فمن خلال أجواء العاطفة والمحبة يمكن أن تُفهم كثير من الحقائق، التي يصعب فهمها خارج نطاق هذه الأجواء.

إنَّ العناصر الثلاثة للنهضة الحسينية تعتبر من العناصر الأساسية لبناء هذه النهضة، هذا على مستوى التحليل، وزاوية من زوايا عاشوراء الحسين عليه السلام، إلا أنّ هذه الزاوية تمثّل لنا دروساً عمليةً كثيرةً.

وبما أننا نبلّغ بإسم الإمام الحسين بن علي عليه السلام، وقد أُتيحت لنا فرصة تخليد هذه الشخصية العظيمة، التي من خلالها يمكن تبليغ الدين على جميع الأصعدة، فينبغي أن يكون لكل عنصر من هذه العناصر الثلاثة دور في تبليغنا، فكما يعتبر الإقتصار على الجانب العاطفي والغفلة عن الجانب المنطقي والعقلي الكامن في واقعة كربلاء، تقليل من قيمة الواقعة، كذلك التغافل عن الجانب الحماسي المشفوع بالعزة هو تقليل من قيمة الواقعة، وضياع مجموعة من الكنوز الثمينة، فيجب على الجميع ـ قارئ العزاء، والخطيب المنبري، والمدّاح ـ أن يلاحظ ذلك(١).

العواطف في ثورة عاشوراء

وحادثة عاشوراء تنطوي في طبيعتها وذاتها على بحر زاخر من العواطف الصادقة. فهذه الفاجعة جاءت نتيجة لثورة إنسان عظيم ومعصوم، إنسان لا يمكن التشكيك بمقدار ذرّة في شخصيّته المتسامية، ويقرّ جميع المنصفين في العالم بتعالي هدفه وهو (إنقاذ المجتمع من براثن الظلم والاستعباد)، وقد أعلن عن هذا الهدف بوضوح عندما قال: «**أيّها الناس إنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحُرم اللّه ناكثاً لعهد اللّه يعمل في عباد اللّه بالإثم والعدوان ولم يغيّر عليه بقول ولا بفعل كان حقّاً على اللّه أن يُدخله مَدخله**»(٢).

إذن فالهدف من الثورة هو الوقوف بوجه الظلم والطغيان.

وقد تحمّل الحسين عليه السلام من أجل هذا الهدف المقدّس أشقّ أشكال الجهاد

---

(١) من كلمة ألقاها في الزمان: ١٣٨٤/١١/٥هـ ش ـ ٢٤ /ذي الحجة/ ١٤٢٦ هـ ق ـ ١/٢٥/ ٢٠٠٦م.

(٢) شرح إحقاق الحق: ٦٠٣/١١.

والصراع من أعداء الله؛ لأنّ أشقّ أشكال الكفاح هو الكفاح في الغربة.

فالاستشهاد والقتل بين الأهل والأحبّة ووسط تشجيع عامة الناس ليس بالأمر المستصعب جدّاً.

ففي صدر الإسلام حينما كانت تحدث مواجهة بين الحقّ والباطل وكان على رأس الجيش الإسلامي النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أو أميرالمؤمنين عليه السلام كان الجميع يتبارى للذهاب الى ساحة الحرب إستجابةً لأمر النبي صلى الله عليه وآله، وكان النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون يودعونهم ويدعون لهم، فكانوا يقاتلون العدو ويُقتلون وهم بين أهلهم وأحبّتهم. فليس من الصعب جدّاً أن يقوم الإنسان بمثل هذا العمل. ولكن الصعب هو القسم الآخر من أشكال الكفاح وهو الكفاح الشاق والمليء بالمتاعب والعقبات، حيث ينزل الإنسان الى ساحة الحرب وهو يرى أنّ جميع أفراد المجتمع يقفون ضدّه، أو يتغافلون عن نصرته، أو يحاولون الابتعاد عنه، وحتّى الذين يؤيّدونه في قرارة أنفسهم لا يجرؤون على إعلان هذا التأييد بألسنتهم.

ففي فاجعة كربلاء لم يجرؤ حتى أمثال عبدالله بن عباس أو عبدالله بن جعفر ـ اللذين كانا من بني هاشم ومن تلك الشجرة الطيبة ـ على إبراز تأييدهما للإمام الحسين عليه السلام في مكة أو المدينة.

إذن فجهاد الغرباء من أشقّ وأصعب أشكال الجهاد في سبيل الله. فالجميع يقف بوجه ذلك الإنسان المجاهد ويعرض عنه حتى الأصدقاء.

حتى إنّ الإمام الحسين عليه السلام حينما دعا أحدهم الى نصرته رفض نصرة ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وعرض فرسه على الحسين عليه السلام بدلاً من ذلك. فهل توجد غربةٌ أعظم من هذه الغربة ؟ وهل يوجد كفاح في الغربة أشقّ من هذا الكفاح ؟

وفي خوضه لهذا الصراع رأى الإمام الحسين عليه السلام بأمّ عينيه مقتل أولاده وإخوانه،

وأبناء إخوته، وأبناء عمومته، وجميع بني هاشم، حتى أنّه شاهد مقتل ولده الرضيع الذي كان له من العمر ستة أشهر فقط[١].

بين الأسلوب العقلي والأسلوب العاطفي

إنّ هذا النوع من التفكير بيّن البطلان، لأنّ لكلٍّ من هذه الأمور دور في بناء شخصية الإنسان وتكامله.

فالعواطف لها دورها والمنطق والبرهان لهما دورهما المهم أيضاً.

فالعاطفة لها دور في حلّ كثير من المشاكل والمعضلات التي يعجز المنطق والاستدلال عن حلّها.

ولذلك حينما نراجع تاريخ الأنبياء عليهم السلام سوف نرى انه في أوائل بعثتهم كان يلتفّ حولهم أُناس لم يكن المنطق والبرهان هما الدافع الأساسي لإيمانهم ولالتفافهم حول أُولئك الأنبياء عليهم السلام.

فلا تجدون في تاريخ نبينا صلى الله عليه وآله ـ وهو تاريخ مدوَّن وواضح ـ بأنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله إجتمع في أوّل البعثة مع مجموعة من الكفّار وبرهن لهم بالأدلّة العقلية على وجود اللّه ووحدانيته أو بطلان عبادة الأصنام ـ مثلاً ـ. فالاستدلالات العقلية للنبي صلى الله عليه وآله جاءت بعد أن تقدّمت الدعوة وانتشر أمرها. أمّا في المرحلة الأُولى فقد كان عمل الدعوة يقوم على أساس كسب المشاعر والعواطف الصادقة لدى الناس.

ففي هذه المرحلة كان النبي صلى الله عليه وآله يقول للكفار: إنّ هذه الأصنام التي تعبدونها ما هي إلّا أحجار لا تضرّ ولا تنفع. من دون الحاجة الى ذكر الدليل العقلي والمنطقي على بطلان عبادتهم لتلك الأصنام.

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٩ ذي الحجة ١٤١٤ هـ ـ مصلى ياسوج.

ولم يكن يستدلّ للناس بالأدلّة العقلية والفلسفية على وجود اللّه ووحدانيته، بل كان يكتفي بالقول: **«قولوا لا إله إلّا اللّه تفلحوا»**[١]، فلم يبرهن للناس عقلياً أو فلسفياً بأنّ الإعتقاد بـ(لا إله إلّا اللّه) يؤدّي الى فلاح الإنسان وسعادته، بل إنّ هذه العبادة تخاطب مشاعر الإنسان وأحاسيسه الصادقة.

طبعاً إنّ كلّ مشاعر وأحاسيس صادقة وسليمة تنطوي على برهان فلسفي واستدلال عقلي. لكن المسألة هي أنّ كلّ نبي عندما كان يريد البدء بالدعوة لم يكن يطرح الدليل العقلي والفلسفي من أجل هداية الناس، بل انّه كان يبدأ بتحريك العواطف والأحاسيس الصادقة والسليمة التي تحمل المنطق والاستدلال في ذاتها.

وهذه الأحاسيس والعواطف توجّه أنظار الإنسان الى ما يعيشه المجتمع من ظلم واضطهاد وتمايز طبقي، وما يمارسه أنداد اللّه من البشر (شياطين الأنس) من ضغط وإرهاب ضدّ أبناء ذلك المجتمع. أمّا طرح البراهين العقلية والمنطقية فكان يبدأ حينما تستقر الدعوة وتأخذ مجراها الطبيعي.

فمن كانت له القابلية العقلية والفكرية ـ في هذه المرحلة ـ فسوف يستوعب بعض الاستدلالات العقلية والفلسفية الميسّرة التي كان يطرحها النبي صلى الله عليه وآله.

أمّا الذي لم يكن يمتلك تلك القابلية، فيبقى في المرحلة العقلية الابتدائية التي يعيشها.

طبعاً ليس شرطاً أن يكون الإنسان الذي يمتلك قوة استدلال أكبر أعلى شأناً من غيره من الناحية المعنوية. فقد تكون عواطف بعض أصحاب المستوى الفكري المتواضع أصدق وأسلم، وارتباطهم وتعلّقهم بالنبي صلى الله عليه وآله وبمبدأ الغيب أقوى وحبّهم أصدق وأعمق. وهذا من شأنه أن يكسبهم مكانة معنوية أعلى ومرتبة أسمى عند اللّه

---

(١) الغدير: ٦٦/٩.

سبحانه وتعالى. فلكلٍّ من العاطفة والإستدلال دوره ومكانته، فلا العاطفة تستطيع أن تحتل مكان الاستدلال العقلي، ولا الاستدلال بإمكانه احتلال مكان العاطفة[١].

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٩ ذي الحجة ١٤١٤ هـ ـ مصلى ياسوج.

الوجه الآخر لملحمة عاشوراء

إنّ شخصاً كالحسين عليه السلام ـ والذي جسّد كل القيم الإلهية والإنسانية ـ ينهض بالثورة حتى يقف بوجه استشراء الانحطاط الذي أخذ يتفشى في أوصال المجتمع وأوشك أن يأتي على كل شيء فيه.

بلغ الانحطاط أن لو شاء الناس العيش حياة إسلامية كريمة، فإنهم يجدون أيديهم خالية من كل شيء.

وفي ظرف كهذا يثبت الإمام الحسين عليه السلام ويقف بكل وجوده أمام ذلك الخواء والفساد المتصاعد، ويضحّي من أجل القيم الإلهية بنفسه وبأحبّائه وبابنيه: علي الأصغر وعلي الأكبر، وبأخيه العباس ثم يصل إلى النتيجة المطلوبة.

أحيا الإمام الحسين عليه السلام جدّهُ رسول اللّه بإحيائه لدين النبي صلى الله عليه وآله، وهو معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: «وأنا من حسين». هذا هو الوجه الآخر للقضية. فواقعة كربلاء الزاخرة بالحماسة، وهذه الملحمة الخالدة لا يمكن إدراك كنهها إلا بمنطق العشق وبمنظار الحب. فهي واقعة لا يتيسر النظر إليها إلا بعين العشق ليُفهم ما الذي صنعه الحسين بن علي عليه السلام من بطولة ومجد خلال يوم وليلة أي منذ عصر يوم التاسع من المحرم وحتى عصر العاشر منه،بحيث خلّده في هذه الدنيا وسيخلّده إلى الابد، ولهذا أخفقت جميع الجهود التي بذلت لمحو حادثة الطف من الأذهان وطيّها في أدراج النسيان[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في ١١ محرم ١٤١٩ هـ ق ـ طهران.

أهداف النهضــة الحسينية

خلاصة النهضة الحسينية

لقد وردت عبارة في زيارة أربعين الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام تـنطوي على مغزى عميق وهي جديرة بالتأمل والتدبر كسواها من العبارات الكثيرة الواردة في مثل هذه الزيارات والأدعية، حيث إنها ناظرة إلى أهداف النهضة الحسينية. وهذه العبارة هي "**وبذل مهجته فيك**".

وقد وردت في زيارة الأربعين التي تأتي فقراتها الأولى على صورة دعاء يناجي به المتكلم المولى سبحانه وتعالى فيقول "وبذل مهجته فيك" أي الحسين بـن عـلي (عليهما السلام) "**ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة**". فهذا هو أحد جوانب القضية وهو المتعلق بصاحب النهضة أي الحسين بن علي عليه السلام.

وأما الجانب الآخر فيرد في الفقرة التالية التي تقول "**وقد توازر عليه من غرته الدنيا وباع حظه بالأرذل الأدنى**" في وصف للواقفين على الجبهة المـضادة، وهـم الذيـن غرتهم الدنيا بالمطامع المادية والزخارف والشهوات والأهواء النفسية فباعوا حظهم من السعادة الدنيوية والأخروية بالأرذل الأدنى.

وهذه هي خلاصة النهضة الحسينية.

وبالتدقيق في هذا الكلام، يدرك المرء أن بإمكانه النظر إلى النهضة الحسينية بمنظارين في الواقع، وكلاهما صحيح، سوى أن مجموعهما يكشف عن الأعباء العظيمة لهذه النهضة؛ فالنظرة الأولى تكشف عن الحركة الظاهرية للحسين بن علي عليه السلام، والتي قام بها في مواجهة حكومة فاسدة ومنحرفة وظالمة وقمعية وهي حكومة يزيد.

وأما باطن القضية وعمقها فتكشف عنه النظرة الثانية، وهي الحركة الأعظم والأعمق لأنها ضد جهل الإنسان وضلالته. فمع أن الإمام الحسين عليه السلام قام بمقارعة يزيد في الواقع، إلا أنّ هذه المقارعة الواسعة التاريخية لم تكن ضد يزيد الفرد الفاني الذي لا يساوي شيئاً، بل كانت ضد جهل الإنسان وانحطاطه وضلالته وذلّه، وهو ما يكافحه الإمام الحسين عليه السلام في الحقيقة.

مميزات حكومة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

لقد جاء الإسلام بحكومة مثالية. ولو أردنا اختصار قضية الإمام الحسين في سطور لقلنا بأن الظلم والجهل والعنصرية كانت تسود البشرية؛ فالحكومات الكبرى التي كانت تسيطر على العالم في ذلك الزمان ـ حكومة قيصر في الأمبراطورية الرومانية وحكومة كسرى في إيران ـ وكانت تمثل حكومات النبلاء، وهي حكومات غير شعبية وحكومات مفروضة بحد السيف دون الخضوع للعقل والمنطق غايتها نشر الجهل والفساد، وسواها من الحكومات الصغيرة على غرار ما كان في الجزيرة العربية، وغيرها من الحكومات التي كانت تفوقها سوءاً وشرّاً، كانت كلها حكومات جاهلية أخضعت العالم لسيطرتها.

وفي هذه الأثناء أضاء رسول الله صلى الله عليه وآله العالم بنور الإسلام، واستطاع بفضل المدد الإلهي والجهاد الجبار والعظيم الذي قام به هو والذين معه أن يبث النور في إحدى

مناطق الجزيرة العربية، ثم ما لبث أن عمها هذا النور الإلٰهي بالتدريج؛ فعندما رحل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عن هذه الدنيا كانت الحكومة التي ثبت عمادها حكومة قوية ومستقرة يجدر بها أن تكون نموذجاً للحكومات على طول امتداد التاريخ الإنساني.

ولو كان الاستمرار قد قُدّر لهذه الحكومة لتغير وجه التاريخ بلا ريب، ولتحقق في ذلك الزمان ما سيحققه إمام الزمان عجل الله فرجه لدى ظهوره بعد ذلك بقرون في عالم يسوده العدل والنقاء والصدق والإخلاص والمحبة، حيث البداية الحقيقية للحياة البشرية.

إنّ الحياة الحقيقية للإنسان في هذا العالم تعود إلى مرحلة ما بعد ظهور إمام الزمان عليه السلام، ويعلم الله ما ستبلغه البشرية من عظمة وازدهار يومذاك.

ولهذا فإن هذه الحكومة لو كان قد كُتب لها الاستمرار والدوام وظلت باقية في تلك العصور الأولى وتغير تاريخ البشرية، لكان مصير البشرية قد خطا خطوات واسعة نحو الأمام، إلّا أنّ هذا لم يحدث للعديد من الأسباب.

إن مميزات حكومة الرسول صلى الله عليه وآله أنها كانت قائمة على العدل بدلاً من الظلم، ومستندة إلى التوحيد والتمحور حول عبودية الذات الإلٰهية المقدسة بدلاً من الشرك والتفرقة الفكرية للإنسان، ومبنية على العلم والمعرفة بدلاً من الجهل، وقائمة على المحبة والتواصل والرفق والمداراة بدلاً من عداء الإنسان للإنسان؛ أي كانت حكومة قويمة في ظاهرها وباطنها يشبّ فيها الإنسان في ظلال التقوى والشرف والعلم والبصيرة والنشاط والتحرك والسعي نحو الكمال.

حكومة النبي بعد خمسين عاماً

ولكن كل شيء كان قد تغير بمرور خمسين عاماً، فلم يبق من الإسلام سوى

الاسم دون المعنى والمضمون، وعادت حكومة الظلم بدلاً من حكومة العدل، وعادت العنصرية والتحزب والطبقية بدلاً من المساواة والأخوة، وبات الجهل بدلاً من العلم والمعرفة.

لقد كان كل شيء يعود إلى الوراء خلال تلك الأعوام الخمسين، وهناك آلاف الشواهد والنماذج التي تفصح عن هذا الانحدار؛ ويتحمّل الباحثون والمحققون مسؤولية إيضاحها للعقول الشابة وتبيانها لطلاب الحقيقة.

الفرق بين الإمامة والسلطنة

لقد تحولت الإمامة إلى سلطنة مع ما بينهما من تناقض وتفاوت واختلاف وتضاد؛ فالإمامة تعني القيادة الروحية والمعنوية والارتباط مع الناس بالرباط العاطفي والعقائدي.

وأما السلطنة فتعني حكومة القوة والشدة والخداع بلا أدنى علاقة معنوية أو عاطفية أو عقائدية.

فالإمامة والسلطنة تقفان على طرفي نقيض تماماً.

إن الإمامة حركة بين الأمة من أجل الأمة ولا تستهدف سوى الخير.

بينما تعني السلطنة تلك السلطة المتجبرة الآخذة بأعناق الناس والتي تهدر حقوقهم وتتجاهل مصالحهم من أجل فئة خاصة وعملاً على ثراء الطبقة الحاكمة وإشباع نزواتها.

حكومة يزيد سلطنة

فالذي نراه في زمن ثورة الإمام الحسين عليه السلام هي تلك الثانية وليست الأولى، أي

أن يزيد الحاكم لم يكن على علاقة مع الناس، ولم يكن من أهل العلم، ولم يكن تقياً ولا نقياً ولا حكيماً، كما لم تكن له سابقة في الجهاد في سبيل الله، ولم يكن يؤمن قدر ذرة بمعنويات الإسلام، ولم يكن يتصرف في سلوكه كالإنسان المؤمن، ولم يكن قوله كأقوال الحكماء؛ أي أنه كان عارياً عن أي شبه برسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي مثل هذه الظروف سنحت الفرصة للإمام الحسين عليه السلام ليقوم بثورته، وهو الإمام الذي كان يجب أن يخلف رسول الله صلى الله عليه وآله في أداء مهمته.

إننا لو نظرنا إلى هذه القضية من حيث الظاهر فإنّ هذه الثورة ثورة على حكومة يزيد الفاسدة واللاشعبية، وأما من حيث الباطن فإنها ثورة من أجل القيم الإسلامية وفي سبيل العلم والإيمان والكرامة وبغية إنقاذ الناس من الفساد والانحطاط والجهالة.

ولهذا فإن الإمام الحسين عليه السلام لدى خروجه من المدينة كتب وصيته التاريخية لأخيه محمّد ابن الحنفية والتي قال فيها: «**إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي**» [1].

ثورة الحسين عليه السلام بوجه السلطنة

«إن نظام السلطنة وولاية العهد هو نفس ذلك النمط المشئوم من الحكومة التي ضحى سيد الشهداء عليه السلام واستشهد من أجل الحيلولة دون استمرار بقائه، ولما لم يكن يرغب في الخضوع لولاية العهد التي أُسندت ليزيد ولم يرغب الاعتراف رسمياً بسلطنته، فقد قام وثار ودعا المسلمين إلى القيام والثورة، فهذه الأمور (السلطنة وولاية العهد) ليست من الإسلام، إذْ ليس في الإسلام سلطنة وولاية عهد.

«لم تكن القضية قضية غصب الخلافة فحسب، لقد كان قيام سيد الشهداء سلام

---

(١) من كلمة ألقاها في الجمعة ٩ محرم ١٤٢١ هـ ـ طهران .

الله عليه وثورته قياماً ضد السلطة الطاغوتية... تلك السلطنة التي كانت تريد أن تصبغ الإسلام بصبغة أخرى ولو أنها نجحت في ذلك لأصبح الإسلام شيئاً آخر تماماً، ولصار مثل النظام الأمبراطوري الذي كان قائما لألفين وخمسمائة عام (في إيران).

إنهم أرادوا مواجهة الإسلام الذي جاء للقضاء على النظام الملكي وإزالة حكم السلاطين وإقامة الحكم الإلهي في العالم، وتحطيم الطاغوت. أرادوا أن يعيدوا عبادة الطاغوت ونفس الأوضاع التي كانت سائدة في الجاهلية.

إن شهادة الإمام الحسين عليه السلام لم تكن هزيمة، فثورة سيد الشهداء (سلام الله عليه) كانت قياماً لله، وليس في القيام من أجل الله أية هزيمة»[1].

---

(١) كتاب نهضة عاشوراء، ص ٤٠-٤٢.

أبعاد ثورة الإمام الحسين عليه السلام

إنّ العارف بحركة الحسين بن علي عليه السلام يدرك طبيعة هذه العزة التي حصلت من ثورة عاشوراء، وبالوسع الإطلالة على النهضة الحسينية الكبرى التي خلّدها التاريخ من خلال عدة أبعاد تؤطرها ثلاث رؤى، وإن ما يملأ الأنظار أكثر من غيره في كلٍّ من هذه الأبعاد هو الشعور بالعزة والشموخ والفخار:

البعد الأول: هو ثورة الحق بوجه باطلٍ قوي؛ وهذا ما قام به الإمام الحسين ونهضت به الحركة الثورية الإصلاحية للحسين بن علي عليه السلام.

والبعد الآخر: هو أن نهضة الحسين بن علي عليه السلام تجسيد للمعنويات والأخلاق، وما عدا الجانب الاجتماعي والسياسي والتحرك الثوري والمواجهة الصريحة بين الحق والباطل، ثمة ميدان آخر للصراع في هذه النهضة هو نفوس الناس وسرائرهم وبواطنهم؛ فحيثما تراكمت نقاط الضعف والمطامع البشرية والضعة والشهوات والأهواء النفسية في كيان الإنسان صدّته عن المبادرة للخطوات الكبرى، وهذا ميدان حرب أيضاً وهي حرب مضنية للغاية؛ وحيثما يقتفي المؤمنون المضحون من الرجال والنساء أثر الحسين بن علي عليه السلام إذ حينذاك تتضاءل في أعينهم الدنيا وما فيها من متع وزخارف في قبال الشعور بالتكليف، وتنتصر المعنويات الكامنة المتبلورة في أعماق البشر وسرائرهم على جنود الشيطان القابعة في باطنهم ـ وهم جنود العقل والجهل الذين تذكرهم رواياتنا ـ وهكذا كانت غلبة العقل على الجهل في بواطن ثلة من العظماء الأماجد الذي خلدوا كأنموذج عبر التاريخ.

هذا هو البعد الثاني.

والبعد الثالث: هو المصائب والفجائع والغصص والأحزان وحسرات القلوب التي تطبع يوم عاشوراء وكثيراً ما تهيمن على الناس، وعلى هذا الصعيد غالباً ما نـقتصر على قراءة المصيبة، غير أن في هذا البعد الثالث الذي هو منظر للمصائب عزةً ومجداً أيضاً؛ فعلى ذوي التمعن والرأي والفكر البحث في هذه الأبعاد الثلاثة.

١ ـ عزة ومجد في الثورة ضد الباطل

ففي البعد الأول حيث قام الإمام الحسين بحركة ثورية، وفي عمله هذا مظهر العزة والمجد، ولكن من الجهة أو الشخص الذي يقف في الطرف المقابل للحسين بن علي عليه السلام إنها تلك الحكومة الظالمة الفاسدة المنحرفة المتجسد عملها في: "**يعمل في عباد الله بالجور والعدوان**"، فقد كانت تتعامل مع الأمة الرازحة تحت نيرها ومع عباد الله وخلقه بالظلم والعدوان والغرور والتكبر والأنانية، فكانت تتميز بتنكرها للمعنويات والالتزام بحقوق الإنسان وتبديل الحكومة الإسلامية إلى حكومة طاغوتية هي عينها التي كانت سائدة في الأرض قبل الإسلام على مر حقب التاريخ، في حين أن من أبرز مزايا النظام الإسلامي هي الحكومة، وإن من أبرز مرافق المجتمع المثالي الذي يصبو الإسلام لبنائه عبارة عن شكل الحكومة وطبيعتها وسيرة الحاكم.

لقد وصف عظماؤنا الأمرَ يوم ذاك بالقول: إنهم بدّلوا الإمامة إلى سلطنة.. والإمامة إنما تعني قيادة ركب الدين والدنيا؛ ففي القافلة التي تسيّر الجميع صوب هدف سامٍ واحد وباتجاه واحدٍ يوجد مَنْ يرشد الباقين؛ فإن ضلَّ منهم أحد انتشله وأعاده إليها، وإذا تعب أحد حثّه على مواصلة الطريق، وإن أصيبت قدم أحد منهم عالجها له، ويرفد الجميع بالعون المعنوي والمادي؛ وهذا ما يصطلح عليه في القاموس الإسلامي "الإمام"؛ أي إمام هدى.

وتقابله السلطنة التي ينحصر معناها بالملكية الموروثة فهي نوع من السلطنة، لذلك لا يطلق على بعض السلاطين في العالم اسم سلطان، لكن بواطنهم سلطوية تضمر التسلط والتجبر على البشر؛ فأيّما شخص جاء وفي أية حقبة تاريخية وأياً كان

اسمه إذا ما قابل شعبه أو سائر الشعوب بمنطق القوة فذاك ما يسمى "سلطنة"، وأيّما زعيم دولة ـ في عصرنا هذا أمريكا، وفيما سبق من أزمنة التاريخ كانت هنالك دول مستكبرة أيضاً ـ يخوّل لنفسه تحديد واجبات سائر الشعوب دون صلاحية أخلاقية أو علمية أو حقوقية يتمتع بها ويؤثر مصالحه ومصالح الشركات التي تمدّه على مصالح الملايين من أبناء البشر فتلك سلطنة، سواء حمل اسم السلطان أم لا.

وفي عهد الإمام الحسين عليه السلام بدّلوا الإمامة الإسلامية إلى ما يناظر ذلك "يعمل في عباد الله بالجور والعدوان"، فكان أن انبرى الإمام الحسين عليه السلام لمقارعة هذا الوضع؛ وقد تمثلت مقارعته هذه في البيان والإيضاح والهداية والتمييز بين الحق والباطل، سواء في عصر يزيد أو من سبقه، غاية الأمر أن ما وقع في عهد يزيد وزاد على سابقه أن إمام الجور والضلال والانحراف هذا كان يتوقع من إمام الهدى الاعتراف بحكومته! وهذا ما تعنيه البيعة؛ إذ يبادر لإعلان تأييده لحكومة ذلك الجائر ويعترف بها بدلاً من إرشاد الناس وهدايتهم وبيان ضلال تلك الحكومة لهم، فكان يزيد يحاول إرغام الإمام الحسين عليه السلام! ومن هنا كان منطلق ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

ولولا تلك التوقعات الهوجاء البلهاء من تلك الحكومة لكان ممكناً أن يرفع الإمام الحسين عليه السلام راية الهدى فيرشد الأمة ويتكفل هدايتها ويبين لها الحقائق ـ كما فعل الأئمة من بعده، ومثلما صنع هو في عهد معاوية أيضاً ـ ويستمر على ذلك، لكنه تقدم خطوة إلى الأمام بسبب ما حصل من جهل وتكبر وابتعاد عن الفضائل والمعنويات الإنسانية.

لقد توقع يزيد من الإمام الحسين عليه السلام التوقيع على تلك الوثيقة السوداء القاضية بتبديل الإمامة الإسلامية بالسلطنة الطاغوتية بما تحمله من معنى البيعة، لكن الإمام الحسين عليه السلام رد قائلاً: "**مثلي لا يبايع مثله**". فالحسين عليه السلام لا يصدر منه هذا الاعتراف وراية الحق لا تقف مع صف الباطل ولا تقبل صبغته، وذلك ما صرّح به الإمام

الحسين بقوله: "**هيهات منا الذلة**". فلقد كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام حركة العزة؛ أي عزة الحق وعزة الدين وعزة الإمامة وعزة ذلك الدرب الذي رسمه النبي صلى الله عليه وآله.

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام مظهراً للعزة، ولصموده أضحى مصدر تمجيد وفخار، وهذه هي العزة والمجد الحسيني..

فلعلّ هنالك من يدلي بدلوه أو أطلق كلاماً ما، لكنه لا يصمد عليه فيعلن انسحابه، فهذا لا يسعه التفاخر، بل الفخر من نصيب الإنسان أو القوم والأمة التي تقف عند ما تقول، ولا تسمح للعواصف أن تُسقط تلك الراية التي ترفعها أو تقضي عليها، وتحافظ عليها بكل صلابة؛ ولقد حافظ الإمام الحسين على عليه السلام تلك الراية وصمد إلى الحد الذي تعلمون، صمد حتى استشهد أعزاؤه وسبيت عياله، وهذه هي العزة والمجد على صعيد التحرك الثوري وتبلور المعنويات.

٢ ـ عزة ومجد في تجسيد المعنويات

إنّ الكثيرين كانوا يأتون الإمام الحسين عليه السلام ويلومونه على إصراره هذا، وهؤلاء لم يكونوا أُناساً طالحين أو من البسطاء، بل كانوا من عظماء الإسلام، لكنهم أساؤوا الفهم وغلبت عليهم نوازع الضعف البشري، لذلك أرادوا للحسين بن علي عليه السلام أن يستسلم لتلك النوازع! لكنه لم يغلب وصبر. وجميع من كانوا مع الإمام الحسين عليه السلام ظفروا بالنصر في هذا الصراع الباطني والمعنوي، فالنصر كان من نصيب تلك الأم التي أرسلت ابنها الشاب إلى ساحة المعركة وهي فخورة مستبشرة، وذلك الشاب الذي تخلى عن لذائذ الدنيا الظاهرية ودخل ميدان الجهاد والصراع هو المنتصر في هذه المعركة، وأولئك الشيوخ من قبيل حبيب من مظاهر ومسلم بن عوسجة الذين أعرضوا عن دعة الشيخوخة وأحضان الأسرة الدافئة وتجرعوا الشدة هم المنتصرون في هذا الصراع الباطني والمعنوي، وذلك القائد الشجاع ـ الحر بين يزيد الرياحي ـ الذي كان يتبوأ منزلة لدى الأعداء ولكنه أعرض عنها والتحق بالحسين بن علي عليه السلام هو المنتصر في هذه المعركة.

تقديم الفضيلة على الرذيلة

إن المنتصرين في ذلك اليوم وهم يخوضون الصراع المعنوي بين فضائل الأخلاق ورذائلها، وأولئك الذين استطاعوا ـ يومها ـ تغليب جنود العقل على جنود الجهل حينما التقت مع بعضها، هم أولئك القلة، لكن وجودهم وصمودهم وثباتهم على الاستقامة في ميدان الشرف ذاك هو الذي حدا بالملايين على مر التاريخ لاستلهام الدرس منهم واقتفاء ذات الدرب؛ فلولا ما فعله أولئك، ولولا تغليبهم

للفضيلة على الرذيلة في وجودهم لجفّت شجرة الفضيلة عبر التاريخ، لكنهم هم الذين روّوا شجرة الفضيلة.

درس من كربلاء

وفي زمانكم عاصرتم الكثيرين ممن غلّبوا الفضيلة على الرذيلة في كيانهم وهزموا الأهواء النفسية لصالح المشاعر والرؤية والفكر الديني السليم والعقلائي، فكان أن شهد معسكر "دوكوهه" هذا وغيره من المعسكرات في البلاد وسوح الحرب وربوع الوطن عشرات بل مئات الآلاف من هؤلاء.

والآن فقد تعلّم الآخرون منكم، فليسوا قلّة أولئك المستعدون في ربوع العالم الإسلامي لنصرة الحق على الباطل في دواخلهم وفي المواجهة بين الحق والباطل الحاصلة في باطن الإنسان؛ فثباتكم أثناء فترة الدفاع المقدس أو سائر التجارب الكبرى التي شهدها الوطن هو الذي رسّخ هذه الفضائل في زماننا، زمن الاتصالات المتقاربة التي لا تصب في منفعة الشيطان وشيطنته على الدوام وإنما فيها منفعة للمعنويات والمبادئ أيضاً.

ولقد تعلمت شعوب العالم منكم الكثير، وما تلك الأم الفلسطينية التي كانت تقبّل ابنها وترسله إلى ساحة الحرب إلّا نموذج لذلك؛ ففلسطين وطوال سنوات متمادية كانت زاخرة بأبنائها ورجالها شيباً وشباناً، لكنها كانت تعاني الذلّة وحاق بها هذا الوضع نتيجة لحالات الضعف وبسبب عجز جنود العقل عن تحقيق النصر على جنود الجهل في ميدان المواجهة المعنوية بينهما، فتسلط الأعداء عليها، بيد أنّ الوضع قد تغير اليوم في فلسطين؛ فلقد انتفضت فلسطين واستطاع شعبها بنسائه ورجاله تحقيق النصر للبعد المعنوي في ذواتهم على صعيد المواجهة المعنوية، وسينتصر هذا الشعب.

٣ ـ عزة ومجد رغم المصائب والفجائع

وعلى صعيد البعد الثالث الذي يمثل صورة الفاجعة في عاشوراء تشاهد أيضاً ملامح العزة والشموخ والفخر؛ فبالرغم من المصيبة والاستشهاد، وبالرغم من أن استشهاد أيّ من شباب بني هاشم وأطفالهم وصغارهم والأنصار الطاعنين بالسن إلى جانب أبي عبد الله الحسين عليه السلام يعد مصيبة وفاجعة كبرى، إلّا أن كلاً منها تحمل جوهرة من العزة والمجد..

من الذي مثل الشاب المضحي في كربلاء؟ إنه علي الأكبر بن الإمام الحسين عليه السلام الشاب الذي كان متألقاً وأنموذجاً بين شباب بني هاشم، الشاب الذي اجتمع فيه توأم الجمال الظاهري والباطني وحاز المعرفة ممزوجة بالشجاعة والتضحية.. لقد كان شاباً من هذا الطراز؛ ومعرفته الحقه بإمامة وولاية الحسين بن علي عليه السلام واستعداده لمبارزة عدوه الشقي، هما اللذان دفعا بهذا الشاب الأوحدي المتألق إلى ساحة المعركة ثم يرجع إليهم جسداً مضرجاً بدمائه في مرأى من أبيه والنسوة اللاتي كنَّ يضطربن قلقاً عليه؛ فليس هيناً مثل هذه المصيبة وهذا العزاء، لكن تقدم هذا الشاب نحو الميدان وهذا الاستعداد للجهاد من قبله هو أمثولة عزة وعظمة وفخار بالنسبة للمسلم، وهو تجسيد لقول الله عزّوجلّ: ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾[1] فمظهر العزة أن يكرس طاقته ونشاطه وشبابه لهدفه ومبدئه السامي، وفي ذلك غاية الأهمية.

وإن الحسين بن علي عليه السلام بإرساله هذا الشاب إلى ساحة المعركة جسد بدوره العزة المعنوية؛ أي إن الإمام الحسين عليه السلام حافظ بقوة على اللواء الذي رفعه، وهو لواء

---

(١) سورة المنافقون:٨.

الإباء وحاكمية الإسلام، لواء التمييز بين الإمامة الإسلامية والسلطنة الطاغوتية؛ إنه بذلك يحافظ على هذا اللواء بقوة وإن كان ثمنه روح ابنه الحبيب.

مواقف كربلاء دروس خالدة للبشرية

لقد سمعتم خلال هذه الأيام ما تكرر من القول من أن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن يأذن بسرعة لأي من صحابته وأنصاره عندما كانوا يأتون ويستأذنونه للتوجه إلى ساحة المعركة والبراز، بل كان يمانع البعض ويشير على آخرين بالانصراف من كربلاء بالمرّة، وهكذا كان يتصرف سواء مع شباب بني هاشم أو مع الأصحاب، بيد أن حبيبه وولده الغالي علياً الأكبر لما جاء يستأذنه للتوجه إلى المعركة لم يتوانَ الإمام الحسين عليه السلام لحظة وسرعان ما أَذِنَ له، وهنا يتسنى إدراك معرفة الابن وعظمة الوالد.

في البداية لماَ وصل دور التضحية والاستشهاد إلى بني هاشم ـ لأن الأنصار كانوا لا يسمحون لبني هاشم بالتوجه إلى ساحة المعركة قائلين نحن فداكم، ومادام الأصحاب على قيد الحياة لم يؤذَن لأبناء أمير المؤمنين والإمام الحسن والإمام الحسين عليه السلام بالبروز إلى الميدان، فالأصحاب ما كانوا يسمحون بذلك، بل كانوا يقولون نحن الذين نبرز أولاً، ثم إذا ما قتلنا ابرزوا أنتم إن شئتم ـ في ذلك الوقت كان أول من تقدم مستأذناً هو ذلك الشاب العارف بمسؤوليته (عليّ الأكبر) وهو ابن الإمام وأقرب الناس إليه، فهو إذن أحق من الجميع بالشهادة فتقدم لها.. وهنا يتجلى مظهر من مظاهر الإمامة الإسلامية؛ فهذا ليس محلاً يتقاسمان فيه الدنيا والمنافع المادية والأرباح الاقتصادية والشهوات النفسية، بل هو موقع الجهاد والشدة، وأول المتقدمين هو علي بن الحسين الأكبر، وهذا ما يبرهن على معرفة هذا الشاب، ويقابله الإمام الحسين عليه السلام بتجسيد عظمته الروحية؛ فبمجرد أن يطلب الإذن يسمح له الإمام الحسين عليه السلام بالبروز إلى الميدان، وفي ذلك عبرة لنا.

وهذه هي الدروس الخالدة عبر التاريخ والمواقف التي تحتاج إليها البشرية في حاضرها ومستقبلها؛ فمادامت أنانيات الإنسان هي الغالبة عليه فهو يزداد خطراً كلما تنامت قدراته التنفيذية، ومادامت الأهواء النفسية هي الطاغية على الإنسان ويحاول الاستحواذ على كل شيء فإن من تعاظمت قدرته تعاظم خطراً ووحشية وبشاعة، وها أنتم تشاهدون نماذج ذلك في العالم.

وإن إبداع الإسلام يتمثل في اختياره لمن يتسلقون سلَّم السلطة ممن أفلحوا في خوض الامتحان وبلوغ النجاح في بعض مراحله على أقل تقدير؛ فالشرط الذي يضعه الإسلام لتسلّم المسؤوليات هو التجرد عن الكثير من هذه الأهواء والنوازع. فعلينا ـ نحن المسؤولين ـ الاهتمام بأنفسنا ومراقبتها وضبط أيدينا وألسنتنا وأفكارنا وأنظارنا وأعمالنا أكثر من غيرنا، أي أنهم (المسؤولين) يفوقون الآخرين في إلزامية التقوى لديهم، فإذا ما طغى انعدام التقوى على الإنسان تضاعف خطره على البشرية كلما تنامت قدرته، وعندما يمتلك من لا أهمية عنده لأرواح البشر وحقوقهم ولا يعد الزهد عن النزوات النفسية مكسباً أو ذا شأن بالنسبة له، عندما يمتلك مثل هذا الإنسان صلاحية الضغط على أزرار القنبلة النووية يكون ذا خطر على البشرية.. فحري بالذين يمتلكون القوة النووية والأسلحة المدمرة في عالم اليوم السيطرة على أنفسهم وعواطفهم، وذلك مما لا وجود له وللأسف، وهذا ما يروج له الإسلام ويمثل السبب في عداء السلطويين للإسلام[١].

---

(١) من كلمة ألقاها في: ١٤ محرم ١٤٢٣هـ ـ محافظة خوزستان (معسكر دوكوهه).

٤ ـ إصلاح الدنيا والآخرة

من أبعاد ثورة الإمام الحسين عليه السلام ـ وهو الهدف الرابع ـ أن يستطيع الإمام التغلب على حكومة يزيد واسترداد السلطة من يد أولئك الذين يقمعون الناس ويتلاعبون بمصيرهم ووضع الأمور في نصابها الصحيح؛ فلو كان قد حدث ذلك لتغيرت مسيرة التاريخ.

لكن لم يتمكن الإمام الحسين عليه السلام من إحراز هذا النصر السياسي والعسكري لأي سبب من الأسباب، وعندئذ لم يكن أمامه سوى استبدال القول بالدم والمظلومية وتحمّل الخسارة التي لن ينساها التاريخ على مدى الزمان، لتبقى كلمته تياراً جارفاً لا ينقطع إلى أبد الدهر. وهذا هو ما فعله الإمام الحسين.

وفي الحقيقة فلو كان الذين يدعون الإمام قد وقفوا موقفاً آخر غير الذي اتخذوه مع الإمام الحسين عليه السلام لتحقق هذا البعد (الأول) للثورة ولاستطاع الإمام الحسين عليه السلام إصلاح الدنيا والآخرة في ذلك الوقت، ولكنهم قصروا في حقه! أما لماذا قصروا، وكيف قصروا، فإن ذلك من الأبحاث الطويلة والمريرة، وقد ذكرنا بعض جوانبه تحت عنوان "الخواص والعوام"؛ أي من الذين قصروا، وعلى من يقع هذا التقصير، وكيف كان، وأين كان؟

وعلى هذا الأساس فقد وقع التقصير من البعض وهو ما حال دون تحقق الهدف الأول، بينما تحقق الهدف الثاني، وهو ما لم يكن بوسع أية قوة كانت سلبه من الإمام الحسين، حيث إن قوة التوجه إلى ميدان الشهادة، والتضحية بالنفس والأعزة، هو ذلك الحدث العظيم الذي تضاءلت وتلاشت أمام عظمته قوة العدو وعظمته، وهو الذي

يمنح الشمس المزيد من الازدهار والتألّق يوماً بعد آخر في عالم الإسلام ويحيط بكل البشرية.

واليوم، وبعد مرور قرون طويلة، بات الإمام الحسين بن علي عليه السلام والإسلام وأنتم أنصار الحسين عليه السلام علماً في شتّىٰ أصقاع العالم. ولقد أصبح الأمر الآن بحيث يشعر المفكرون والمثقفون وأصحاب الرأي المستقل بالخضوع عندما يطالعون تاريخ الإسلام ويقفون على حقيقة قضية الإمام الحسين عليه السلام.

إنّ الذين يجهلون الإسلام لكنهم يدركون مفهوم الحرية والعدالة والعزة والرقيّ والقيم الإنسانية السامية ينظرون بهذا المنظار فيجدون الإمام الحسين عليه السلام ذروة الإنسانية في الدعوة إلى الحرية والعدالة ومقاومة المساوئ والقبائح ومكافحة الجهل والذل والمهانة[1].

الإصلاح كان هدف الإمام الحسين الأول

لقد جعل الإمام الحسين عليه السلام هدفه الأول: "**لنُري المعالم من دينك ونُظهر الاصلاح في بلادك**". ولكن ما المقصود بالاصلاح؟ المقصود به طبعاً اجتثاث جذور الفساد. وأيّ فساد هذا؟ إنّ الفساد على أنواع وأقسام شتّى، منها: السرقة، والخيانة، والعمالة، والطغيان، والتحلل الخلُقي، والخيانة في المال، والعداء بين صفوف الخندق الواحد، والتواطؤ مع أعداء الدين، والميل إلى ما فيه إضرار بالدين. في حين أن كل شيء يتحقق في ظل وجود الدين. ويواصل عليه السلام كلامه بالقول: "**ويأمن المظلومون من عبادك**". أيّ يأمنون على كرامتهم وعلى أموالهم في حياتهم الاجتماعية وعلى صعيد الشؤون القانونية والعدلية، وهذا ما يفتقر إليه عالم اليوم.

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٨ محرم ١٤١٣هـ ق.

كان الإمام الحسين عليه السلام يتطلع إلى تحقيق مُثُل مناقضة لما كان سائداً في ظل تسلط الطواغيت في عصره؛ ولو أنكم نظرتم إلى ظروف عالم اليوم لوجدتموها مثلما كانت عليه يومذاك، إذ أنهم يظهرون معالم الدين بالمقلوب، ويمارسون مزيداً من الجور ضد المضطهدين، ويغمس الظلمة أيديهم في دماء المظلومين أكثر من ذي قبل[١].

سببان لترك العزّة

إنه كلما تلقّى الناس في عالم اليوم، ضربةً ـ سياسية كانت أو عسكرية أو إقتصادية ـ فإن الأمر لا يعود إلّا إلى سببين عندما نتتبع جذوره: إما الجهل، وإما المهانة.

أي إما أنهم يجهلون ولا يملكون المعرفة الضرورية، أو أنهم يعرفون لكنهم باعوا أنفسهم رخيصة وابتاعوا المذلة ورضوا بالحقارة والدناءة! ولهذا فقد ورد عن أمير المؤمنين والإمام السجاد عليه السلام: "**ليس لأنفسكم ثمن إلّا الجنّة، فلا تبيعوها إلّا بها**"[٢].

فهذا هو ثمن النفس وإلّا لبخسها الإنسان حقها.

كما أنه لا يجوز للإنسان امتلاك الدنيا بأكملها مقابل الرضا بالانحطاط والذلة النفسية؛ إنّ الذين استسلموا لأرباب المال والقوة في شتى أنحاء العالم ورضوا بهذا الذل ـ سواء منهم العالم أو السياسي أو المثقف أو أصحاب النشاطات السياسية والاجتماعية ـ لم يكن ذلك منهم إلّا لأنهم لم يعرفوا أنفسهم فباعوها بثمن بخس.

إنّ الكثيرين من السياسيين في العالم قد باعوا أنفسهم.

وإن العزة ليست هي مجرد اعتلاء عرش السلطنة أو الرئاسة؛ فكم من أصحاب السلطان ينظرون إلى الآخرين بتكبر وخيلاء ويفرضون عليهم منطق القوة، ولكنهم

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٥ ذي الحجة ١٤١٩ هـ ـ طهران.

(٢) نهج البلاغة: ١٠٥/٤.

في الوقت نفسه أذلاء وأسرى سلطة وقوة أخرى أو أسرى الأهواء النفسية، حتى إن بعض أسرى السياسة في عالم اليوم لا يصلون إلى تلك الدرجة الثانية، بل إنهم أسرى السلطة والمناصب .. !

إنكم لو ألقيتم نظرة اليوم على هذا البلد الواسع لوجدتم أن وجوه الشباب فيه تطفح بالحبور والسعادة بسبب الشعور بالعزة والاستقلال. وليس بوسع أحد الإدعاء بأن الأجهزة السياسية في هذا البلد تتلقى أقل الأوامر من أية قوة في العالم. كما أنّ الدنيا بأجمعها تدري أنّ هذا البلد الذي يتمتع الآن بالعزة والعظمة كانت تسيطر عليه قبل الثورة حكومة فرعونية مستكبرة تدعي لنفسها القوة والعظمة والجبروت وترى أن على الشعب أن يركع أمامها في ذلة وخضوع، مع أن أرباب تلك الحكومة كانوا أسرى للآخرين وأذلاّء أمامهم!

فهاهنا في طهران كان بإمكان السفير الأمريكي الالتقاء بالشاه متى شاء وإملاء ما يريد عليه وتوجيه الأوامر إليه، فإذا تخلّف عن التنفيذ تغير الوضع معه! لقد كان ظاهرهم ينمّ عن الجلال والجبروت، ولكنهم كانوا أذلاّء في عيون الشعب والضعفاء! وإن الإمام الحسين عليه السلام كان يريد أن يخلّص البشر من هذا الذل.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأكل أكل العبد ويجلس جلسة العبد لا كمثل النبلاء؛ ومع أنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كان ينتمي للأشراف والنبلاء إلاّ أنه كان يتعامل مع الناس بتواضع وينظر إليهم باحترام بعيداً عن الغرور والخيلاء، غير أن أباطرة ذلك الزمان كانوا يرتعدون من مجرد إشارته أو نظرته في السنوات الأخيرة من حياته، وهذه هي العزة.

الموقف الذي خطّه الحسين عليه السلام في سجلّ التأريخ

فالإمامة هي ذلك الجهاز الذي يضفي العزة الإلهية على الناس ويمنحهم العلم والمعرفة وينشر الرفق بينهم والمداراة ويحافظ على عظمة الإسلام والمسلمين أمام الأعداء.

وأما السلطة والحكومات الجائرة فعلى الضد من ذلك.

إنّ الكثيرين من حكام العالم اليوم لا يسمون بالملوك، لكنهم ملوك في الواقع. كما أنهم لا يسمون بالسلاطين، وتراهم يحافظون على المظاهر الديمقراطية، ولكنها هي السلطنة في الحقيقة، أي التعامل مع الشعب بتجبّر، ومع من فوقهم بذلّ ومهانة! حتى إنكم لتجدون رؤساء بعض البلدان القوية والمقتدرة واقعين هم أيضاً بذلة وقهر في أيدي أصحاب الشركات وبؤر الشبكات العالمية الخفية وتجمعات المافيا والمراكز الصهيونية ومضطرين للعمل وفقاً لإرادتهم واتخاذ المواقف طبقاً لرغبتهم حتى لا يتضايقوا؛ فهذه سلطنة.

وعندما تسيطر الذلّة والمهانة على قمة السلطنة فلابد من وجود الذل والهوان أيضاً في الهيكل والقاعدة، وهذا هو ما ثار ضده الإمام الحسين عليه السلام.

لم يكن خروج الحسين عليه السلام للحرب

إن الحسين بن علي عليه السلام لم يتوجه إلى كربلاء بهدف القتال؛ فالذي يذهب إلى ميدان القتال لابد له من الجنود؛ ولكن الإمام الحسين بن علي عليه السلام كان قد

حمل معه أهل بيته من النساء والأطفال، مما يعني أن حادثة ستقع في ذلك المكان وستدغدغ عواطف البشرية على طول التاريخ حتى تتضح عظمة ما قام به الإمام الحسين عليه السلام.

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام يدري أن أعداءه حقراء وسفهاء، وكان يرى أنّ الذين جاؤوا لقتاله ليسوا سوى شرذمة من أراذل وأوباش الكوفة طمعاً في الحصول على عطية تافهة وحقيرة هي التي دفعتهم إلى هذا المسلك وارتكاب مثل هذه الجريمة العظمى، وكان يعلم بما سيحلّ بنسائه وأبنائه.

فالإمام الحسين عليه السلام لم يكن غافلاً عن كل هذا، ولكنه لم يكن مستعداً للاستسلام والعودة عن قراره، بل كان يحثّ على مواصلة الطريق مما يدل على أهمية هذا الطريق وعظمة هذا العمل[١].

---

(١) من كلمة ألقاها في الجمعة ٩ محرم ١٤٢١ هـ ـ طهران.

٥ ـ تشخيص الوظيفة العملية وأثره

الهدف الخامس في ثورة الإمام عليه السلام هو تشخيص الوظيفة العملية التي كانت في زمانه أو الأزمنة التي تأتي.

هناك نكات كثيرة في قضية ثورة عاشوراء بحيث لو بحثها العالم الإسلامي والمفكرون الإسلاميون من أبعادها المختلفة ودققوا النظر في ظروفها المختلفة ومقدماتها ولواحقها وما أحاط بهذه الحادثة فسيصبح بالإمكان تحديد سبل الحياة الإسلامية ووظائف الأجيال المسلمة في جميع الأزمنة.

وأحد هذه الدروس هي هذه النكتة المهمة وهي أنّ الحسين بن علي عليه السلام قد شخّص في وقت حساس جداً من تأريخ الإسلام الوظيفة الرئيسية من بين الوظائف المتنوعة والتي لها مراتب متفاوتة من الأهمية، وانجزها ولم يخطئ أو يشتبه في معرفة ما كان العالم الإسلامي في ذلك اليوم بحاجة اليه.

لقد كان تشخيص الوظيفة الأصلية دائماً أحد نقاط الخلل والضعف في حياة المسلمين في العصور المختلفة.

الخلل في تشخيص الوظيفة الأصلية يعني أنّ أفراد الأُمة والقيادة والرجال البارزين في العالم الإسلامي يخطئون في تشخيص الوظيفة الأصلية في مقطع من الزمن بمعنى أنهم لا يعلمون ما هي الوظيفة الأصلية وأنه يجب الشروع بها وحتى إذا لزم الأمر يجب التضحية بسائر الأمور في سبيلها ولا يعلمون ما هي الوظيفة الفرعية والتي تأتي في الدرجة الثانية. يجب أن يُعطى كل عمل الأهمية التي يستحقها ويسعى في سبيل تحقيقها.

في نفس الوقت الذي تحرك به حضرة أبي عبد الله عليه السلام كان هناك أشخاص إذا قيل لهم: هل ننتفض أو لا؟ فإنّ جوابهم سيكون بالنفي لعلمهم بأن وراء هذا العمل مشاكل ومتاعب كثيرة ويذهبون وراء وظائف من الدرجة الثانية كما رأينا أنّ البعض قد قام بهذا العمل فعلاً.

لقد كان هناك أشخاص مؤمنون وملتزمون بين الذين لم ينهضوا مع الإمام الحسين عليه السلام.

فليس من الصحيح أن يُعَدّوا جميعاً من أهل الدنيا، لقد كان بين رؤساء ورموز المسلمين في ذلك الوقت أشخاصاً مؤمنين وأشخاصاً يرغبون بالعمل وفقا للتكليف. لكنهم لم يدركوا التكليف الرئيسي، ولم يشخصوا أوضاع ذلك الزمان. ولم يعرفوا العدو الرئيسي وكانوا يخلطون بين الوظيفة الرئيسية المحورية والوظائف التي هي من الدرجة الثانية أو الثالثة. ولقد كان هذا الأمر أحد الإبتلاءات العظيمة للعالم الإسلامي، ويمكن أن نبتلى نحن ـ اليوم ـ بذلك أيضاً.

من الممكن أن نخطئ في تشخيص ما هو أهم فنعالج أشياءاً أقل أهمية. يجب اكتشاف تلك الوظيفة الأساسية والتي يعتمد عليها قوام وحياة المجتمع.

ذات يوم كان يطرح في بلادنا الصراع ضد الاستعمار والاستبداد وضد جهاز الطاغوت الكافر، لم يكن البعض يشخصون الوظيفة الأصلية، ويتمسكون بأعمال أُخرى. هؤلاء الأشخاص الذين ربما كان عندهم دروس أو مؤلفات أو كانوا يديرون حوزة علمية تبليغية صغيرة، أو أنهم كانوا يتحملون مسؤولية إرشاد جمع قليل من الناس، هؤلاء كانوا يعتقدون أنهم لو خاضوا في قضية الصراع فإنّ هذه الأعمال ستبقى معطلة! لقد كان هؤلاء يتركون النضال على عظمته وأهميته من أجل أن لا تتوقف تلك الأعمال! وهذا يعني الخطأ في تشخيص الواجب المهم والأهم.

لقد أوضح الإمام الحسين بن علي عليه السلام في بيانه للجميع أن أهم وظائف العالم الإسلامي في تلك الظروف هو الصراع مع رأس القوة الطاغوتية والإقدام على إنقاذ الناس من سلطتها الشيطانية.

من البديهي أنّ الحسين بن علي عليه السلام عندما يتجه الى العراق لأجل واقعة كواقعة عاشوراء، فإنّه سوف يُحرم من البقاء في المدينة وتبليغ الاحكام الإلهية للأُمة وبيان معارف أهل البيت عليهم السلام وتعليم وتربية المسلمين، ولن يستطيع أن يُعلّم الناس الصلاة وينقل لهم أحاديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وبالطبع سوف تتعطل حوزته العلمية ونشره للمعارف وسوف يحرم من تقديم العون للأيتام والمساكين والفقراء في المدينة.

تكليف الإمام الحسين عليه السلام

كل هذه كانت وظائف يقوم بها الإمام عليه السلام قبل حركته بإتجاه العراق ولكنه جعلها جميعاً فداء للوظيفة الأكثر أهمية، وحتى إنه ضحى بحج بيت الله في سبيل التكليف الأهم، وهذا في وقت شرعت فيه الناس بالوفود الى بيت الله الحرام. فماذا كان ذلك التكليف؟ لقد كان ـ حسبما قال ذلك الإنسان العظيم بنفسه ـ هو الصراع مع الجهاز الحاكم الذي هو منشأ الفساد.

«**أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي**" هذا هو التكليف. أو كما قال في خطبة أُخرى في طريقه "**أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطانا جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً بعهد الله... فلم يغير عليه بقول ولافعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله**».

التكليف عبارة عن تغيير سلطان الظلم والجور والقدرة التي تعيث في الأرض فساداً وتجر البشرية بإتجاه الهلاك والفناء المادي والمعنوي. هذه هي فلسفة نهضة الحسين بن علي عليه السلام والتي اعتُبرت المصداق الحقيقي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب الإنتباه الى هذه النقاط. حضرة أبي عبد الله عليه السلام تحرك على ضوء التكليف الأهم وضحى بالتكاليف الأُخرى في سبيل التكليف الأهم. كان يشخص العمل الواجب في وقته. هناك حركة في كل زمان للمجتمع الإسلامي. في كل عصر هناك عدو وجبهة وخصم يهدد الإسلام

والمسلمين ويجب أن يعرف ذلك العدو. فلو اشتبهنا في معرفة العدو والجهة التي يتعرض منها الإسلام للأذى والهجوم فسوف نخسر خسارة كبيرة لا يمكن جبرانها. ولو غفلنا عن ذلك فإنّ فرصاً كثيرة ستضيع من أيدينا.

الحذر في تشخيص العدو

نحن موظفون بأن نخلق حالة قصوى من الحذر والانتباه وتحديد الأعداء ومعرفة التكاليف لدى شعبنا والعالم الإسلامي. اليوم ونظراً لإقامة الحكومة الإسلامية وارتفاع راية الإسلام ـ الأمر الذي لا سابقة له في طول التأريخ الإسلامي بعد الصدر الأول ـ فإن الإمكانات متوفرة للمسلمين ولا يحق لنا بعد الآن أن نغفل عن معرفة العدو ونخطئ في تشخيص الجهة التي يهجم منها.

لقد كان جُلّ سعي إمامنا العزيز (ره) والأشخاص الذين كانوا يرافقونه في نهضته ـ على إختلاف مراتبهم وعلى حسب إمكانياتهم ومستوياتهم ـ هو أن يُعلّم العالم الإسلامي ومجتمع إيران الإسلام وقاعدة الحق والعدالة ما هو الخطر الأكبر الذي يحدق بهم وما هو العدو الأكثر تهديداً لهم.

واليوم كسائر ما مضى فإنّ الهجمة العظمى والخطر الجارف ينشأ من الهيمنة العالمية والقوى الكافرة والمستكبرة. هذا أكبر الأخطار التي تهدد وجود المسلمين. صحيح أنّ الضعف يمكن أن يفرضه العدو بإمكاناته الضخمة على ذلك المجتمع.

لا ينبغي لنا أن نشتبه، يجب أن تكون مسيرة المجتمع الإسلامي في الإتجاه المخالف للإستكبار والهيمنة العالمية والتي تسود هذه الأيام على العالم الإسلامي.

القوى العظمى تعادي الإسلام ويقظة المسلمين، إنهم يحاربون إيران الإسلام بسبب إسلاميتها، إن كل سعيهم لإخماد الحركة الإسلامية في العالم، وبالطبع فإنّ

أميركا هذه الدولة المتجبرة والمعتدية تقف في رأس قائمة أعدائنا ويتلوها سائر القوى الصغيرة والكبيرة التي لها خصومة تأريخية وتضاد مصلحي مع الإسلام أو أنهم يخشون منه.

إنّ خصومتهم مع إيران الإسلامية ناشئة عن انطلاق الصحوة الإسلامية من هذا المكان، فجميع الشعوب الإسلامية وفي كل أرجاء الدنيا تستمد اليوم آمالها من هذه الحركة والثورة المنتصرة وترسّخ خطواتها وتتقدم. فلو آستطاع الأعداء ـ والعياذ بالله ـ أن يهزموا الإسلام في هذه النقطة من العالم فإنهم سيحققون أكبر نصر لهم مقابل موجة الصحوة الإسلامية العالمية.

هذه حقيقة ملموسة اليوم لا ينبغي أن نخطئ في تشخيص عدونا ولا ينبغي توهم أنّ العدو قد صرف نظراً عن عدائه للإسلام والمسلمين.

انظروا اليوم الى ما فعله الأعداء مع مسلمي أوروبا والدول الإسلامية الصغيرة في قلب أوروبا أعني "البوسنة والهرسك". فهنالك الآلاف من المدنيين يتعرضون للقتل والإغارة في أقسى الظروف والمصائب وفي عقر دارهم.

ولو لم نقل أنّ الدول الكبرى تشجع المعتدين الصرب وتقدم لهم المعونة فعلى الأقل إنها جلست مكتوفة الأيدي حتى يتسنى لهم الإبادة التامة للمسلمين في تلك المنطقة والقضاء عليهم بما يمتلكه الصرب من الأسلحة المتنوعة والجيش النظامي والدعم الواسع.

هدفهم هو عدم إبقاء هذا المجتمع المسلم على شكل دولة إسلامية في قلب أوروبا.

تكليف المسلمين

هذه أحد مظاهر العداء للإسلام وأجلى مظهر لها هو الضـغط المـتواصـل عـلى الجمهورية الإسلامية، وكما ورد في القرآن الكـريم **﴿ولن تـرضى عـنك اليـهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾**[١].

حقاً إنّ هذا البيان لمن معجزات القرآن، فإن الأعداء لن يرضوا عن المسلمين إلا إذا تخلوا عن الإسلام.

والمقصود من التخلي عن الإسلام هو انعدام الروح الإسلامية والأحكام الإسلامية والقوة الحياتية للإسلام بين المسلمين. فلو كان المسـلمون أمـواتـاً وغـير عـارفين بالمباني العالية للإسلام ـ وإن كانوا يُطبّقون بعض ظواهره فقط ـ فإن الأعداء لا يأبهون بنا كثيراً ولا يعادوننا. ولكن ذلك ليس هو الإسلام، ليس ذلك الإسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله **﴿كنتم خير أمةٍ أُخرجت للناس﴾**[٢].

أما أن تجلس فئة من الناس يتفرجون فقط على حوادث العالم بل يتفرجون حتى على القضايا الداخلية في مجتمعهم فلا يتطابق هذا مع الإسلام.

إنّ المسلمين اليقظين وذوي الإطلاع والذين يستعملون قواهم لأجل بناء العالم بشكل صحيح ولا يرهبون شيئاً في هذا المجال هؤلاء يبغضهم الاستكبار العالمي، وقد لمسنا هذا البغض خلال السنوات الأخيرة وبأشكال مختلفة، ونشاهد اليوم أيضاً أشد هذه الأعمال الحاقدة في مختلف المـجالات الثـقافية والاقـتصادية والسـياسة والإعلامية.

---

(١) سورة البقرة: ١٢٠ .

(٢) سورة آل عمران: ١١٠ .

اليوم لا يوجد هجوم عسكري علينا، لقد تكاتف الأعداء أمامنا طوال ثماني سنوات من الحرب المفروضة وبصورة علنية. في الظاهر كان العراق فقط ولكن أمريكا والناتو وسائر الدول الرجعية، كلها كانت خلف العراق. هذه الحقيقة التي ذكرناها مراراً وتكراراً وطوال ثماني سنوات ولكن كان الكثيرون غير مستعدين لأن يصدقوا كلامنا، ولكن نفس الجهات التي كانت تجهز العراق تعترف اليوم بهذا الأمر.

في ذلك الوقت كانت الحرب العسكرية وفي الحقيقة كان كل عالم الاستكبار والكفر يحارب الإسلام والجمهورية الإسلامية. واليوم توجد هجمات شديدة أخرى لا سابقة لها، ويجب أن تكون الأُمة الإسلامية في مقابل هذه الهجمات حية يقظة، محصنة، واثقة بالنفس ومستعدة لتوجيه ضربتها القاصمة ومقاومة الهجمة الشاملة.

٦ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الهدف السادس في ثورة الإمام عليه السلام هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أعلنه الإمام بقوله: «**إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر**».

إنّ حياة المجتمع منوطة بوجود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن قوام المجتمع الإسلامي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإما أن ينجز هذا العمل «**أو ليسلّطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم**»[1] قوام الحكومة الإسلامية وبقاء حاكمية الأخيار مرهونان بمسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو التلفظ بكلمتين أو أكثر لأجل إسقاط التكليف في مقابل المنكرات التي لا يعلم كونها أخطر المنكرات.

عندما يكلف جميع أفراد الأُمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فما معنى ذلك؟ متى يمكن أن يكون كل أفراد المجتمع آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر؟ الجواب هو عندما يحضر الجميع في خضم قضايا البلاد حضوراً حقيقياً جاداً، يجب أن يهتم الجميع بمسائل المجتمع ويعتنوا بها. يجب أن يصبح الجميع خبراء في هذا المجال.

يجب أن يكون الجميع على اطلاع بالمعروف والمنكر. وهذا بمعنى رقابة وحضور وتعاون الجميع. وبمعنى الإطلاع الكافي لدى الجميع. هذا هو معنى الأمر بالمعروف، وإلا فلو أمرنا بالمعروف في دائرة ضيقة وحصرناها ضمن أفراد

---

(١) ميزان الحكمة:٣/١٩٤٥، وكنز العمال:١٣/٥٥٧ ح ٣٧٤٤٥.

مشخصين، والعدو ينفث سمومه ويقول أن إيران قد قررت التعامل بهذه الوسيلة مع مَنْ لا يرتدين الحجاب الكامل، فهذا ليس صحيحاً. هل أنّ معنى الأمر بالمعروف هو أن يطبق هذا الواجب العظيم والذي يتقوم به كل شيء في دائرة ضيقة في شوارع طهران وبالنسبة لبعض الناس ممن لا يراعون الزي الإسلامي؟ هل هذا هو معنى حضور القوى المؤمنة في ميادين المجتمع المختلفة؟ كلا، القضية أبعد من هذه الكلمات، فإن المخالفات ليست بمستوى واحد. المخالفات ليست فقط هي المخالفات الفردية. أخطر المخالفات والجرائم تلك التي تضعف أساس النظام القائم.

فبث اليأس في نفوس الناس والقلوب المتفائلة، والإيحاء بإنحراف الصراط المستقيم وإضلال المؤمنين والمخلصين، وسوء الاستفادة من الأوضاع والأحوال المتنوعة في المجتمع الإسلامي، وإعانة العدو، ومعارضة ترسيخ الأحكام الإسلامية ومقررات الإسلام، والسعي لجر الشباب المؤمن للفساد، هذه كلها منكرات مهمة وخطيرة.

اليوم تسعى أياد خفية لترويج الفساد بين الشباب بطرق جماعية وبتوجيه من الأعداء ـ لا بالشكل الذي ترونه في الشارع وتشاهدونه ـ يجرون أولادنا للفساد واللامبالات. هذه منكرات، المنكرات أخلاقية وسياسية وإقتصادية كذلك. وكل مكان أيضاً قابل للنهي عن المنكر فيه. يستطيع الطالب أن ينهي عن المنكر في بيئته العلمية الدراسية، الموظف الشريف يتمكن من النهي عن المنكر في المحيط الذي حوله، والكاسب المؤمن قادر على النهي عن المنكر في محيط عمله، والفنان أيضاً ينهي عن المنكر بوسائله الفنية، والروحانيون من أهم عوامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي مختلف الأجواء، لا يجوز حصر هذا الواجب العظيم في دوائر ضيقة. هذا العمل، وظيفة الجميع، ولا يختص بفئة مثل القوات المسلحة أو السلطات

المحلية، إنه عمل الجميع..يجب أن تنهوا عن المنكر، وتقفوا في مقابل أي منكر، هذا العمل وظيفة الأُمة، نعم على علماء الدين أن يوجهوا الناس، ويشرحوا لهم كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وموارده‌ما.

يجب أن نحدد موارد الخطر جميعاً، المواضع التي منها يهدد الخطر مجتمعنا الإسلامي، يجب أن نحددها بدقة، ينبغي أن نحلل لأنفسنا وللناس كل العبر التي استقيناها من الصدر الاول للاسلام، وأهم وظيفة في طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي ضرورة تواجد القوات المؤمنة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر وكل من لهم دوافع مماثلة في ميدان النظام الإسلامي وفي كل الميادين الأُخرى.

الإنتماء الى حزب الله يعني الإستعداد لأداء التكليف الإلهي، وهذه أحد القيم الثورية في النظام الإسلامي، كل من يملك روحية (حزب الله) مفضل على من لا يملك هذه الروحية.

في نظام الجمهورية الإسلامية، المدير والاستاذ والمسؤول والآمر والفنان والكاتب المنتمي الى حزب الله مفضل على الآخرين. لا ينبغي أن يتوهم أنّ المنتمي الى (حزب الله)، شاب متهور مشاغب لا حصيلة ثقافية لديه، كلا ليس الأمر كذلك. فبين الكوادر المتخصصة والمتفوقين والمدراء والعلماء والاساتذة يوجد الكثير من أعضاء حزب الله. لا ينبغي أن نرسم صورة خاطئة في أذهاننا عن حزب الله، يجب أن يتميز حضور العناصر المختلفة من حزب الله في الميادين المختلفة، ويجب على الأجهزة التنفيذية بما فيها القضائية والحكومية أن تعمل بأسلوب علمي على ترسيخ هذه القيم لدى المسؤولين والعناصر التنفيذية فيها[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٨ محرم ١٤١٣هـ.ق .

كيف يتمّ الأمر بالمعروف

مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل مسألة الصلاة، يجب أن يتم تعلّمها؛ ويجب أن تذهبوا وتتعلموا مسائلها. توجد مسائل تحدّد كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كلّ مورد من الموارد. بالطبع أنا أُؤكّد كالسابق أن تكليف عامّة الناس في إطار المجتمع الاسلامي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بواسطة اللسان، وأما إذا آل الأمر الى المواجهات فيوكل الأمر حينئذ الى المسؤولين الذين يجب عليهم التدخل وانجاز ذلك العمل.

ولا شكّ في أنّ الدور الأهمّ للإنسان الذي يصلح المجتمع هو النهي عن المنكر باللسان. إذا نهى الناس شخصاً مسيئاً مذنباً يريد أن يجعل من الذنب شيئاً مرضياً به في المجتمع إذا نهاه عشرة أو مائة أو ألف شخص وبشكل عام إذا انهال عليه الرأي العام للمجتمع فإنّ هذا أمَرّ شيء عليه.

لو لم تكن هذه القوات المؤمنة من التعبئة و(حزب الله) أيّ عامّة الناس المؤمنين، تلك الغالبية العظمى في بلادنا العزيزة التي أدارت الحرب والتي صمدت بوجه كلّ الأحداث منذ بداية الثورة الى الآن. ولو لم تكن التعبئة ولا قوات حزب الله العظيمة لكنّا خسرنا الحرب والمواجهة مع الأعداء المتنوعين خلال السنوات الماضية ولكنّا تضرّرنا كثيراً.

عندما كانوا يريدون تعطيل المصانع كانت تتصدى لهم قوات (حزب الله) من داخل المصانع. عندما كانوا يريدون إحراق مزارعنا تنبري لهم (قوات حزب الله) من البراري والقرى والمزارع فتصفعهم على وجوههم.

وعندما كانوا يريدون خلق الفتن والاضطرابات في الشوارع (حزب الله) هو الذي

كان يحول دون غاياتهم، وأما في الحرب فأمرهم معلوم.

هذه هي القوة الرئيسية في البلاد والنظام الاسلامي يعتمد عليها. إذا كان الشعب أعلن هذه القوى المؤمنة مع النظام والدولة ـ والحمد لله هم كذلك ـ فإنّ أيّ عدوّ لن يستطيع أن يحقّق شيئاً.

إذا كانت هذه القوة العظيمة الفولاذية الشعبية خلف المسؤولين والى جوارهم ـ والحمد لله هم كذلك ـ فإنّ أية قدرة لن تستطيع أن تواجه الجـمهورية الاسـلامية، فأعداؤنا يخافون من هذه القوة.

اقتدار النظام الاسلامي مستمدّ من اقتدار قوات (حزب الله)[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في بتاريخ ١٣ محرم ١٤١٣هـ

٧ ـ التصدي للطواغيت

من الأهداف المهمة لثورة الإمام الحسين عليه السلام هو التصدي للطواغيت:

لقد أظهر الإنسان وعلى مرّ التاريخ أفدح أخطائه وخطاياه وتجرده عن التقوى في مجال الحكم، وإن الخطايا التي صدرت عن الحكام ومَنْ بيدهم زمام الأمور والمتسلطين على مصائر البشر مما لا يمكن مقارنته بأعظم الذنوب الصادرة عن البسطاء والعامة من الناس، وقلّما تحلى الإنسان بالتعقل والأخلاق والحكمة في هذا المضمار، وقلّما عمّ المنطق فيه قياساً إلى سائر ميادين الحياة البشرية، وكان عموم الناس ـ تارة من أبناء مجتمع واحد وأخرى من مجتمعات متعددة ـ هم الذين دفعوا ضريبة هذا التجرد عن التعقل والمنطق وهذا الفساد والانغماس في الخطيئة.

ولقد تبلورت هذه الحكومات بادئ الأمر بصورة استبداد فردي ثم انتقلت إلى الاستبداد الجماعي المنظّم بفعل التطور الحاصل في المجتمعات البشرية. لهذا فإن أبرز مهام أنبياء الله كان التصدي للطواغيت ولمن فرّطوا بالنعم الإلهية؛ **﴿إذا تولّى سعى في الأرض ليُفسدَ فيها ويُهلكَ الحرث والنسل﴾**[1]؛ بهذ التعابير المثيرة تتحدث هذه الآية القرآنية عن هذه الحكومات الفاسدة التي سعت إلى أن يستشري الفساد.

وقال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَ بِئْسَ الْقَرَارُ﴾**[2]؛ فهؤلاء بدَّلوا النعم الإلهية والإنسانية والطبيعية كفراً وأحرقوا البشر ـ الذين كان يُفترض بهم التنعم بهذه النعم ـ في نارهم التي أعدّوها

---

(١) سورة البقرة:٢٠٥ .

(٢) سورة إبراهيم: ٢٨ ـ ٢٩.

بكفرهم.

والأنبياء عليهم السلام إنّما وقفوا بوجه هؤلاء؛ ولولا التصدي الحازم من قبل الأنبياء عليهم السلام لطواغيت العالم وعُتاة التاريخ لما كانت هنالك حاجة إلى الحروب والنزاعات. يصرح القرآن الكريم ﴿**وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ مَا ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَكَانُوا وَ اَللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾(١)، فضد مَنْ كانت هذه الحروب؟

إنّ العدو الذي استهدفه الأنبياء عليهم السلام في حربهم هو الحكومات الفاسدة والقوى المخرّبة وطغاة التاريخ الذين جرّعوا البشرية الشقاء وأهلكوها؛ فالأنبياء هم منجّو الإنسانية؛ لذا فقد ذكر في القرآن الكريم إقامة العدل على أنها أحد أسمى أهداف النبوات والرسالات ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**﴾(٢)؛ فإنزال الكتب وإرسال الرسل إنّما كان بالأساس لكي يسود العدل والقسط البشرية، أي تزال مظاهر الظلم والغطرسة والفساد من الوجود.

وهكذا كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام؛ فلقد قال عليه السلام: «**إنما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمّة جدي**»(٣).

وقال كذلك: «**مَنْ رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله تاركاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثم لم يغيّر عليه بقول ولا فعل، كان حقاً على الله أن يُدخله مدخله**»(٤).

---

(١) سورة آل عمران:١٤٦.

(٢) سورة الحديد:٢٥.

(٣) شرح إحقاق الحق:١١/٦٠٢.

(٤) شرح إحقاق الحق: ١١/٦٠٣.

أي مَنْ رأى بؤرة فسادٍ وظلم وتنحّى عنها غير مكترثٍ اصطفّ معها في المصير ـ وهو الذي صرّح بأنه لم يخرج ظالماً ولا أشراً- ولقد كانت دعوة أهل العراق للإمام الحسين عليه السلام من أجل هذا، بحيث يتوجه إلى هناك ويقيم الحكم، فاستجاب الإمام عليه السلام لدعوتهم هذه.

ولم يكن الأمر بحيث إن الإمام الحسين عليه السلام كان تاركاً التفكير بالحكم، بل كان عليه السلام يصبو للقضاء على الحكومات الطاغوتية، سواء باستلام الحكم أو الاستشهاد والتضحية بالدماء.

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام على علم بما سيجرّه إقراره وسكوته من ويلات على الإسلام؛ فإذا ما استحوذت قوة على مقدرات الشعوب أو واحدٍ من هذه الشعوب واختطّت لها طريق الطغيان ومضت فيه، فإن لم يعبّر رجال الحق ودعاته عن وجودهم والإعلان عن خطأ حركتها فإنهم يكونون بعملهم هذا قد اعترفوا بفعلها ـ بما يعنيه ذلك من اعتراف أهل الحق بالظلم ـ دون إرادة منهم؛ وهذه هي الخطيئة التي ارتكبها يومذاك الأكابر من سادة بني هاشم وأبناء القادة الكبار في صدر الإسلام، غير أن الإمام الحسين عليه السلام ،لم يتحمل ذلك فثار.

أثر عدم تصدي الحسين عليه السلام للطواغيت

ولقد روي أن الإمام السجاد عليه السلام وبعد عودته إلى المدينة عقب واقعة عاشوراء ـ وربما بعد مضي عشرة أو أحد عشر شهراً من مغادرة قافلة أبيه المدينة وعودتها إليها ـ جاءه رجل وقال له: يا بن رسول الله، أرأيتَ ما صُنع بكم بخروجكم هذا؟!

وحقاً قال؛ فالقافلة حين خروجها كان على رأسها ويتوسطها الحسين بن علي عليه السلام شمس أهل البيت الزاهرة وابن رسول الله صلى الله عليه وآله وحبيبه، وخرجت بنت أمير

المؤمنين عليه السلام معززة مكرّمة؛ وخرج في القافلة أيضاً أبناء أمير المؤمنين ـ العباس وإخوته ـ وأبناء الإمام الحسن عليه السلام وخيرة شباب بني هاشم وصفوتهم.

ثم عادت هذه القافلة ومعها رجل واحد فقط وهو الإمام السجاد عـليه السـلام، وتجرعت النسوة الأسر ورأينَ المصائب والأحزان؛ فلا الإمام الحسين عليه السلام ولا علي الأكبر ولا حتى الطفل الرضيع مع تلك القافلة..

فأجابه الإمام السجاد عليه السلام (بما مفاده) تأمّل بما سيحصل لو لم نخرج.

أجل، إن لم يخرج هؤلاء ستبقى جسومهم، ولكن تفنى الحقيقة وتنصهر الروح وتُسحق الضمائر ويُدان العقل والمنطق على مر التاريخ، بل ولا يبقى ذكر للإسلام أيضاً[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في ٣ محرم ١٤٢٣هـ ـ طهران .

٨ ـ رؤية جديدة لثورة الحسين عليه السلام

عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**حسين منّي وأنا من حسين**»[١]. وعنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة**»[٢].

لقد قيل الكثير عن نهضة هذا العظيم، لكنّ الإنسان كلّما فكّر وتدبّر في هذا الموضوع، كلّما اتّسع مجال التفكير والبحث والتحقيق والمطالعة عنده، فقد بقي الكثير ممّا لم يقال عن هذه الحادثة العظيمة والعجيبة الّتي لا نظير لها. فعلينا أن نتدبّر ونتفكّر فيه ثمّ نقوله للآخرين.

لو نظرنا الحادثة منذ أن خرج أبو عبدالله عليه السلام من المدينة وتوجّه نحو مكّة إلى أنّ استُشهد في كربلاء، لأمكننا أن نقول إنّ الإنسان يستطيع عدّ مائة درس مهمّ في هذا التحرّك الّذي استمرّ أشهر معدودة فقط.

ولا أودّ القول آلاف الدروس وإن أمكن قول ذلك حيث تُعتبر كلّ إشارة من ذلك الإمام العظيم درساً، لكن عندما نقول مائة درس أي لو أردنا أن ندقّق في هذه الأعمال لأمكننا استقصاء مائة عنوان وفصل، وكلّ فصل يعتبر درساً لأُمة وتاريخ وبلد ولتربية النفس وإدارة المجتمع وللتقرّب إلى الله تعالى .

هكذا هو الحسين بن علي (أرواحنا فداه وفداء اسمه وذكره) كالشمس الساطعة بين القديسين، أي إن كان الأنبياء والأئمّة عليهم السلام والشهداء والصالحين كالأقمار والأنجم، فالحسين عليه السلام كالشمس الطالعة بينهم، كلّ ذلك لأجل هذه الأمور.

---

(١) كشف الغمّة: ٣٠٥.

(٢) مدينة المعاجز: ٥٢/٤، ح١٠٨٠.

وإلى جانب المائة درس هذه، هناك درس رئيسي في هـذا التحرّك، سأسعى لتوضيحه لكم وهو لماذا ثار الحسين عليه السلام ؟ لماذا ثرت يا حسين رغم كونك شخصيّة لها احترامها في المدينة ومكّة، ولك شيعتك في اليمن، إذهب إلى مكـان لا عـليك بيزيد ولا ليزيد عليك شيء، تعيش وتعبد الله وتبلّغ ؟

هذا هو السؤال والدرس الرئيسي، ولا نقول إنّ أحداً لم يشر إلى هذا الأمر من قبل، فقد حقّقوا وتحدّثوا كثيراً في هذه القضيّة، وما نودّ قوله ـ وفي رأيي ـ هو استنتاج جامع ورؤية جديدة للقضيّة.

ليس الهدف هو إسقاط حكومة يزيد

إنّ البعض يقول: إنّ هدف ثورة أبي عبدالله الحسين عليه السلام هو إسقاط حكومة يزيد الفاسدة وإقامة حكومة بدلها.

هذا القول شبه صحيح وليس خطأ، لأنّه لو كان القصد من هـذا الكـلام هـو أنّ الحسين عليه السلام ثار لأجل إقامة حكومة وعندما يرى عدم إمكانيّة ذلك، يقول لم نتمكّن من ذلك، فلنرجع.

إنّ من يثور لأجل إقامة حكومة، سيستمرّ مادام يرى إمكانية ذلك، فإن احتمل عدم الإمكان أو عدم وجود احتمال عقلائي، فوظيفته أن يرجع. فالّذي يقول إنّ هـدف الإمام عليه السلام من هذه الثورة هو إقامة الحكومة العلويّة الحقّة، فهذا غير صحيح؛ لأنّ مجموع هذا التحرّك لا يدلّ على ذلك. وسأبين ذلك لاحقاً.

ليس الهدف هو الشهادة

والبعض على العكس من ذلك، قالوا: ما الحكومة؟ إنّ الحسين كان يعلم بـعدم تمكّنه من إقامة الحكومة، إنّه جاء لأجل أن يقتل ويستشهد. لقد شاع هذا الكلام على

الألسن كثيراً فترةً من الزمن، وكان البعض يصنع ذلك بتعابير جميلة، ثمّ رأيت أنّ بعض كبار العلماء قد قالوا ذلك أيضاً، فهذا لا يعتبر كلاماً جديداً وهو أنّ الإمام عليه السلام ثار لأجل أن يستشهد، لأنّه رأى أنّه لا يمكنه عمل شيء بالبقاء، فقال يجب أن أعمل شيئاً بالشهادة.

هذا الرأي أيضاً لا يوجد في المصادر الشرعيّة الإسلاميّة ما يؤيّد حجّة إلقاء الإنسان نفسه للقتل. إنّ الشهادة الّتي نعرفها في الشرع المقدّس والآيات والروايات معناها أن يتحرّك الإنسان ويستقبل الموت لأجل هدف مقدّس واجب أو راجح، هذه هي الشهادة الإسلاميّة الصحيحة. أمّا أن يتحرّك الإنسان لأجل أن يقتل فلا، إذن هذا الأمر وإن كان فيه جانباً من الحقيقة لكن لم يكن هدف الحسين عليه السلام.

إقامة الحكومة والشهادة نتيجة وليست هدفاً

إذن ـ باختصار ـ لا يمكننا القول: إنّ الحسين عليه السلام ثار لأجل إقامة الحكومة، ولا أن نقول: إنّه ثار لأجل أن يستشهد. وإنّني أتصوّر أنّ القائلين بأنّ الهدف هو الحكومة أو الهدف هو الشهادة قد خلطوا بين الهدف والنتيجة. فالهدف لم يكن ذلك، بل كان للإمام الحسين عليه السلام هدف آخر، كان الوصول إليه يتطلّب طريقاً وحركة تنتهي بإحدى النتيجتين: الحكومة أو الشهادة، وكان الإمام مستعدّاً لكلتا النتيجتين، فقد أعدّ مقدّمات الحكم وكذا مقدّمات الشهادة، فإذا تحقّق أيّ منهما، كان صحيحاً، لكن لم يكن أيّ منهما هدفاً، بل كانا نتيجتين.

الهدف الحقيقي: أداء تكليف من نوعٍ خاص

إذن ما هو الهدف ؟ أقوله باختصار ثم أبدأ بتوضحيه.

لو أردنا بيان هدف الإمام الحسين عليه السلام، فينبغي أن نقول : إنّ هدف ذلك العظيم

كان أداء واجب عظيم من واجبات الدين لم يؤدّه أحد قبله، لا النبي صلى الله عليه وآله ولا أميرالمؤمنين عليه السلام ولا الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، واجب يحتلّ مكاناً مهمّاً في البناء العام للنظام الفكري والقِيَمي والعملي للإسلام.

ورغم أنّ هذا الواجب مهمّ وأساسي، لكنّه لماذا لم يُقَمْ بهذا الواجب حتّى عهد الإمام الحسين عليه السلام ؟ كان ينبغي على الإمام الحسين عليه السلام القيام بهذا الواجب ليكون درساً على مرّ التاريخ، مثلما أنّ تأسيس النبي صلى الله عليه وآله للحكومة الإسلاميّة أصبح درساً على مرّ تاريخ الإسلام، ومثلما أصبح جهاد النبي صلى الله عليه وآله - بنفسه - في سبيل الله درساً على مرّ تاريخ المسلمين وتاريخ البشريّة إلى الأبد. فكان ينبغي أن يُؤدّي الإمام الحسين عليه السلام هذا الواجب ليصبح درساً عملياً للمسلمين على مرّ التاريخ.

ولماذا قام الإمام الحسين عليه السلام بهذا الواجب؟ لأنّ أرضية هذا العمل قد مُهّدت في زمن الإمام الحسين عليه السلام، فلو لم تمهّد هذه الأرضيّة في زمن الإمام الحسين عليه السلام، كأن مُهّدت ـ وعلى سبيل المثال ـ في زمن الإمام علي الهادي عليه السلام لقام الإمام علي الهادي عليه السلام بهذا الواجب، لصار هو ذبيح الإسلام العظيم، ولو اتّفق ذلك في زمن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام لقام به، أو اتّفق في عصر الإمام الصادق عليه السلام لقام به الإمام الصادق عليه السلام، لكنّ لم يتّفق ذلك في زمن الأئمّة حتّى عصر الغيبةإلاّ في عصر الإمام الحسين عليه السلام.

إذن كان الهدف أداء هذا الواجب، فعندها تكون نتيجة أداء الواجب أحد الأمرين إمّا الوصول إلى الحكم والسلطة وكان الإمام الحسين عليه السلام مستعدّاً لذلك؛ ليعود المجتمع كما كان عليه في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، أو يصل إلى الشهادة وكان الإمام الحسين مستعدّاً لها أيضاً.

فإنّ الله قد خلق الحسين والأئمة عليهم السلام بحيث يتحمّلون مثل هذه الشهادة لمثل

لهذا الأمر، وقد تحمّل الإمام الحسين عليه السلام ذلك. هذا خلاصة الأمر.

شرح أبعاد هدف الثورة الحسينية

وأمّا توضيح هذا الأمر:

إنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله - وكذا أيّ نبيّ - عندما بعث، أتى بمجموعة من الأحكام، بعضها فرديّة لإصلاح الفرد، وبعضها اجتماعية لبناء المجتمعات البشريّة وإدارة حياتها.

هذه المجموعة من الأحكام يقال لها النظام الإسلامي. فعندما نزل الإسلام على القلب المقدّس للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، فجاء بالصلاة والصوم والزكاة والإنفاقات والحجّ والأحكام الأُسريّة والعلاقات الفرديّة، ثمّ جاء بالجهاد في سبيل الله وإقامة الحكومة والنظام الاقتصادي وعلاقات الحاكم بالرعيّة ووظائف الرعية تجاه الحاكم. هذه المجموعة من الأحكام عرضها الإسلام على البشر، وبيّنها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «**ما من شيء يقرّبكم إلى الجنّة ويبعدكم من النار إلّا وقد أمرتكم به**»[1].

ولم يبيّن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله كلّ ما يسعد الإنسان والمجتمع الإنساني فحسب، بل طبّقها وعمل بها، فقد أقام الحكومة الإسلاميّة والمجتمع الإسلامي، وطبّق الاقتصاد الإسلامي، وأُقيم الجهاد واستحصلت الزكاة، فشيّد نظاماً إسلاميّاً وأصبح النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وخليفته من بعده معماراً وقائداً لهذا النظام. كان الطريق واضحاً وبيّناً، فوجب على الفرد وعلى المجتمع الإسلامي أن يسير في هذا الطريق وعلى هذا النهج، فإن كان كذلك بلغ الناس الكمال، أصبحوا صالحين كالملائكة عليهم السلام، وذهب الظلم والشرّ والفساد والفرقة والفقر والجهل بين الناس، ووصل الناس إلى السعادة

---

(١) المحاسن للبرقي: ١/٢٧٨، ح٣٩٩.

الكاملة ليصبحوا عباد الله الكُمّل.

حسناً، يبقى ـ هنا ـ سؤال وهو: لو صرفت يد أو حادثة القطار الّذي سيّره النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عن مسيره، فما هو التكليف؟؟ لو انحرف المجتمع الإسلامي وبلغ الانحراف درجةً بحيث خيف انحراف أصل الإسلام والمبادئ الإسلاميّة ـ لأنّ الانحراف على قسمين، فتارة ينحرف الناس، وهذا ما يقع كثيراً، لكن تبقى أحكام الإسلام سليمة، وتارة ينحرف الناس ويفسد الحكّام والعلماء ومبلّغو الدِّين، فيحرّفوا القرآن والحقائق، وتبدّل الحسنات سيّئات والسيّئات حسنات. ويصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، ويحرَّف الإسلام ١٨٠ درجة ـ فلو أُبتلي النظام والمجتمع الإسلامي بمثل هذا الأمر، فما هو التكليف حينئذ؟

لقد بيّن النبي صلى الله عليه وآله وحدّد القرآن التكليف ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اَللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اَللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[1] إضافة إلى آيات وروايات كثيرة أُخرى لكن هل تمكّن النبي صلى الله عليه وآله من العمل بهذا الحكم الإلهي؟ كلاّ، لأنّ هذا الحكم الإسلامي يُطبّق في عصر ينحرف فيه المجتمع الإسلامي ويبلغ حدّاً يخاف فيه من ضياع أصل الإسلام، والمجتمع الإسلامي لم ينحرف في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم ينحرف في عهد أميرالمؤمنين بتلك الصورة، وكذا في عهد الإمام الحسن عليه السلام عندما كان معاوية على رأس السلطة، وإن ظهرت الكثير من علائم ذلك الانحراف، لكنّه لم يبلغ الحدّ الّذي يخاف فيه على أصل الإسلام. نعم، يمكن أن يقال إنّه بلغ في برهة من الزمن الحدّ، لكن في تلك الفترة لم تتاح الفرصة ولم يكن الوقت مناسباً للقيام بهذا الأمر.

---

(١) سورة المائدة: ٥٤.

إنّ هذا الحكم الّذي يعتبر من الأحكام الإسلاميّة لا يقلّ أهمّية عن الحكومة ذاتها، لأنّ الحكومة تعني إدارة المجتمع، فلو انحرف المجتمع وفسد، وتعطّل الحكم الإلهي، ولم يوجد عندنا حكم وجوب تغيير الوضع وتجديد الحياة أو بتعبير اليوم (الثورة)، فما الفائدة من الحكومة في الإسلام.

فالحكم الّذي يرتبط بإرجاع المجتمع المنحرف إلى الخطّ الصحيح لا يقلّ أهمّية عن الحكومة ذاتها، ويمكن أن يقال إنّه أكثر أهمّية من جهاد الكفّار ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الطبيعيين في المجتمع الإسلامي، بل وحتّى من العبادات الإلهيّة العظيمة كالحج. لماذا؟ لأنّ هذا الحكم ـ في الحقيقة ـ يضمن إحياء الإسلام بعد أن أشرف على الموت أو مات وانتهى.

حسناً، مَنْ الّذي يجب عليه أداء هذا الحكم وهذا التكليف؟ إنّه خليفة النبي الذي يقع في عصره هذا الانحراف بشرط أن يكون الوقت مناسباً للقيام بذلك، لأنّ الله لا يكلّف بشيء لا فائدة فيه. طبعاً ليس معنى (أن يكون الوقت مناسباً) هو عدم وجود الخطر، كلاّ، ليس هذا هو المقصود. يجب أن يكون الوقت مناسباً، يعني أنّ الإنسان يعلم أنّ هذا العمل الّذي يقوم به تترتّب عليه نتيجة يعني إبلاغ النداء إلى الناس وإفهامهم وعدم بقائهم على خطأهم. وربّما أنّ الإسلام قد انحرف في عصر الإمام الحسين عليه السلام وكان الوقت مناسباً، لذا وجب على الحسين عليه السلام أن يثور.

التكليف لا تسقطه المخاطر

فالشخص الّذي تولّى السلطة بعد معاوية لم يراع حتّى جوهر الإسلام، وكان منغمساً في الخمر والمجون والتهكّم بالقرآن وترويج الشعر الإباحي المرفوض من قبل الإسلام، فكان يخالف الإسلام علناً، وكان بعمله هذا كنبع الماء العفن الّذي يفسد ما حوله. هكذا يكون الحاكم الفاسد، فبما أنّه يتربّع على قمّة المرتفع، فما يصدر منه

لا يبقى في مكانه، بل ينتشر ليملأ ما حوله، خلافاً للناس العاديين حيث يبقى فسادهم لأنفسهم أو للبعض ممّن حولهم، طبعاً كلّ من شغل مقاماً ومنصباً أرفع في المجتمع الإسلامي كان ضرر فساده أكبر. لكن لو فسد من يقع على رأس السلطة لانتشر فساده وشمل كلّ الأرض، كما أنّه لو كان صالحاً، لامتدّ الصلاح إلى كلّ مكان.

فشخص كهذا أصبح خليفة رسول الله صلّى الله عليه وآله، فهل هناك انحراف أكبر من هذا؟

إذن الأرضيّة ممهّدة. وما معنى أنّ الأرضيّة ممهّدة؟ هل معناه عدم وجود الخطر؟ كلاّ، فالخطر موجود.

فلا معنى أن يبقى من هو على رأس السلطة ساكتاً أمام معارضيه ولا يخلق لهم المخاطر، بل من البديهي أن يوجّه لهم الضربات، فعندما نقول الوقت المناسب، فمعناه أنّ الظروف في المجتمع الإسلامي مؤاتية لأن يُبلّغ الإمام الحسين عليه السلام نداءه إلى الناس في ذلك العصر وعلى مرّ التاريخ.

فلو أراد الإمام الحسين عليه السلام الثورة في عصر معاوية لما سُمع نداؤه؛ وذلك لأنّ الحكم والسياسات كانت بشكل لا يمكن للناس فيها سماع قول الحقّ، لذلك فإنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يُقدم على شيء ولم يثر أيّام خلافة معاوية، مثلما أنّ الإمام الحسن عليه السلام لم يثر على معاوية، لأنّ الظروف لم تكن مؤاتية، لا أنّ الإمام الحسن عليه السلام لم يكن أهلاً لذلك، فلا فرق بين الإمام الحسن عليه السلام وبين الإمام الحسين عليه السلام، ولا بين الإمام الحسين والإمام السجّاد عليه السلام، ولا بين الإمام الحسين عليه السلام والإمام عليّ الهادي عليه السلام أو الإمام الحسن العسكري عليه السلام، طبعاً منزلة الإمام الحسين عليه السلام ـ الّذي أدّى هذا الجهاد ـ أرفع من الّذين لم يؤدُّوه، لكنّهم سواء في منصب الإمامة، ولو وقع في عصر أيّ منهم هذا الأمر لثار ذلك الإمام ونال تلك المنزلة.

فالإمام الحسين عليه السلام واجه مثل هذا الانحراف، والظروف كانت مؤاتية، فلا

محيص للإمام عليه السلام من تأدية هذا التكليف. لهذا فعندما قال له عبدالله بن جعفر ومحمّد ابن الحنفيّة وعبدالله بن عباس ـ الّذين كانوا من العلماء والعارفين بأحكام الدِّين ـ أن تحرّكك فيه خطر فلا تذهب، أرادوا أن يقولوا: إنّ التكليف قد سقط عنك لوجود الخطر.

لكنّهم لم يدركوا أنّ هذا التكليف ليس بالتكليف الّذي يسقط بوجود الخطر، لأنّ مثل هذا التكليف فيه خطر دوماً، فهل يمكن لإنسان أن يثور ضدّ سلطة مقتدرة في الظاهر ولا يواجه خطراً.

تقارب ثورة الحسين والخميني في الهدف وأفتراقهما في النتيجة

لقد كانوا يقولون للإمام الخميني رضوان الله عليه، إنّ الخطر في مواجهتكم للشاه، فهل أنّ الإمام لم يكن يعلم بالخطر؟ ألم يكن الإمام يعلم أنّ جهاز الأمن البهلوي يعتقل، يقتل، يعذّب، يقتل زملاء الإنسان وينفيهم؟ بلى فالّذي حدث في عصر الإمام الحسين عليه السلام حدث في عصر الإمام (الخميني) لكن بصورة أصغر.

فقد كان هدف الإمام الحسين عليه السلام وهدف إمامنا العظيم مشتركاً وهو إرجاع الإسلام والمجتمع الإسلامي إلى الصراط المستقيم والخطّ الصحيح بعد أن انحرف عن المسير وانحرف المسلمون نتيجة جهل وظلم واستبداد وخيانة البعض وكانت الظروف مؤاتية في عصرنا مثلما كانت مؤاتية في زمن الإمام الحسين عليه السلام، فأقدم الإمام (ره) على نفس العمل، لكن مع فارق وهو أنّ الثورة ضدّ الحكم الباطل في عصرنا انتهت بإقامة الحكومة الإسلاميّة والحمد لله، لكن ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت نتيجتها الشهادة، فهل أنّ الثورة في الصورة (الثانية) لا تصبح واجباً؟ وهل أنه لا فائدة منها إن كانت نتيجتها الشهادة؟ كلا، إنّ الثورة واجبة وإن انتهت بالشهادة، ولافرق في ذلك انتهت بالشهادة أو الحكم، لكن لكلّ منهما نوع من الفائدة.

خلاصة القول

إذن يمكننا أن نلخّص القضيّة بهذه الصورة وهي: أنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت لتأدية واجب عظيم هو **إعادة الإسلام والمجتمع الإسلامي إلى الخطّ الصحيح أو الثورة ضدّ الانحرافات الخطيرة في المجتمع الإسلامي**.

وهذا ما يتمّ بالثورة وعن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل هو مصداق عظيم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. طبعاً ـ وكما قلتُ ـ فقد تكون نتيجتها إقامة الحكومة، وقد تكون الشهادة، وقد كان الإمام الحسين عليه السلام مستعدّاً لكلتا النتيجتين.

أدلة رؤيتنا في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

ودليلي على ذلك هو ما استنتجته من أقوال الإمام الحسين عليه السلام نفسه، إنني انتخبت بعض أقوال أبي عبدالله عليه السلام وكلّها تشير إلى هذا المعنى:

الدليل الأول:

١ ـ عندما استدعى والي المدينة (الوليد) الإمام الحسين عليه السلام ليلاً وقال له: إنّ معاوية قد مات وعليك بمبايعة يزيد، فردّ عليه الإمام عليه السلام: «**نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة**»[١].

وعند الصباح عندما لقي مروان أبا عبدالله عليه السلام طلب منه مبايعة يزيد وعدم تعريض نفسه للقتل، فأجابه الإمام عليه السلام: «**إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمّة براع مثل يزيد**»[٢].

فالقضيّة ليست شخص يزيد، بل مثل يزيد، ويريد الإمام الحسين عليه السلام أن يقول: لقد تحمّلنا كلّ ما مضى، أمّا الآن فإنّ أصل الدّين والإسلام والنظام الإسلامي في خطر، إشارةً إلى أنّ الانحراف خطر جدّي، فالقضيّة هي الخطر على أصل الإسلام.

---

(١) شرح إحقاق الحق: ٦١٥/٣٣.

(٢) المجالس الفاخرة: ١٨٩.

الدليل الثاني:

٢ ـ في وصيّته إلى أخيه محمّد ابن الحنفيّة عند خروجه من مكّة ـ فأبو عبدالله عليه السلام قد أوصى أخاه محمّداً ابن الحنفية، مرّتين: الأولى عند خروجه من المدينة، والثانية عند خروجه من مكّة، وأتصوّر أنّ هذه الوصيّة كانت عند خروجه من مكّة في شهر ذي الحجّة ـ فبعد الشهادة بوحدانية الله ورسالة النبي صلى الله عليه وآله و... يقول الإمام عليه السلام: «**وإنّي ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنّما خرجت أُريد الإصلاح في أمّة جدّي**»[1] أي أُريد الثورة لأجل الإصلاح لا للوصول إلى الحكم حتماً أو للشهادة حتماً، والإصلاح ليس بالأمر الهيّن، فقد تكون الظروف بصورة بحيث يصل الإنسان إلى سدّة الحكم ويمسك بزمام السلطة وقد لا يمكنه ذلك ويستشهد، وفي كلتا الحالتين فالثورة تكون لأجل الإصلاح.

ثمّ يقول عليه السلام: «أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي». والإصلاح يتمّ عن هذا الطريق، وهو ما قلنا أنّه مصداق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الدليل الثالث:

٣ ـ عندما كان الإمام عليه السلام بمكّة، بعث بكتابين، الأوّل إلى رؤساء البصرة والثاني إلى رؤساء الكوفة، جاء في كتابه إلى رؤساء البصرة: «**وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه، فإنّ السنة قد أُميتت والبدعة قد أُحييت، فإن**

---

(١) معالم الفتن: ٢/٢٩٦.

تسمعوا قولي أهديكم إلى سبيل الرشاد»[١].

أي يريد الإمام الحسين عليه السلام تأدية ذلك التكليف العظيم وهو إحياء الإسلام وسنّة النبي صلى الله عليه وآله.

وجاء في كتابه إلى رؤساء الكوفة: «**فلعمري ما الإمام إلّا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائر بالحقّ والحابس نفسه عن ذات الله، والسلام»**[٢].

أي بيّن الإمام عليه السلام هدفه من الخروج، وكان الإمام عليه السلام يخاطب الناس في كلّ منزل ينزل فيه بعد خروجه من مكّة.

الدليل الرابع:

٤ ـ عندما (واجه الحسين عليه السلام جيش الحرّ) وسار بأصحابه في ناحية والحرّ ومن معه في ناحية حتّى بلغ «البيضة»، خاطب الإمام عليه السلام أصحاب الحر، فقال: «**أيّها الناس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحُرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله»**[٣].

فالنبي صلى الله عليه وآله بيّن ما يجب عمله إذا انحرف النظام الإسلامي، وقد استند الإمام الحسين عليه السلام إلى قول النبيّ صلى الله عليه وآله هذا.

إذن التكليف هو «يغيّر عليه بفعل أو قول»، فإن واجه الإنسانُ هذا الأمر وكان الظرف مؤات كما قلنا، وجب عليه أن يثور ضدّ هذا الأمر ولو بلغ ما بلغ، يقتل، يبقى حيّاً، ينجح في الظاهر أو لا ينجح.

---

(١) معالم الفتن: ٢/٢٥٨.

(٢) شرح إحقاق الحق: ١١ / ٦٠٣ .

(٣) شرح إحقاق الحق: ٢٧/١٥٨.

يجب على كلّ مسلم أن يثور أمام هذا الوضع، وهذا تكليف قال به النبي صلى الله عليه وآله.

ثمّ قال عليه السلام: «**وأنا أحق مَنْ غيَّر**» لأنّي سبط النبي صلى الله عليه وآله، فإن كان النبي صلى الله عليه وآله قد أوجب على المسلمين فرداً فرداً هذا الأمر، كان سبط النبي صلى الله عليه وآله ووارث علمه وحكمته الحسين بن علي عليه السلام أحقّ أن يثور، فإنّي خرجت لهذا الأمر. فيعلن عن سبب وهدف ثورته وهو لأجل «التغيير» أي الثورة ضدّ هذا الوضع السائد.

الدليل الخامس:

٥ ـ لمّا نزل الإمام الحسين عليه السلام «الغريب» التحق به أربعة نفر، فقال لهم الإمام عليه السلام: «**أمّا والله إنّي لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا قُتلنا أم ظفرنا**»[١]. وهذا دليل على قولنا عندما قلنا لا فرق سواء انتصر أو قتل، يجب أداء التكليف.

الدليل السادس:

٦ ـ في أوّل خطبة له عليه السلام عند نزوله بكربلاء، يقول عليه السلام: «**وقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون**» إلى أن يقول: «**ألا ترون إلى الحقّ لا يعمل به وإلى الباطل لا يُتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً...**» إلى آخر الخطبة[٢].

إذن ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت **تأدية لواجب وهو عبارة عن وجوب الثورة على كلّ مسلم حال رؤية تفشّي الفساد في جذور المجتمع الإسلامي بحيث يخاف من تغيير كلّي في أحكام الإسلام**، وكانت الظروف مؤاتية، وعلم بأنّ لهذه الثورة نتيجة، وليس شرطاً البقاء حيّاً وعدم القتل وعدم التعرّض للتعذيب والأذى والمعاناة.

---

(١) تاريخ الطبري: ٣٠٦/٤.

(٢) شرح إحقاق الحق: ٦٠٥/١١.

فالإمام الحسين عليه السلام قد ثار وأدّى هذا الواجب عمليّاً ليكون درساً للجميع، وقد تتوفّر الظروف المناسبة لأي أحد للقيام بهذا العمل على مرّ التاريخ، طبعاً الظروف لم تكن مؤاتية في عصر سائر الأئمة عليهم السلام من بعد الإمام الحسين عليه السلام، وهذا الأمر له تفسير وهو وجود أعمال مهمّة أُخرى وجب القيام بها. فلم تتوفر هذه الظروف بعد ذلك في المجتمع الإسلامي إلى أواخر عصر الإئمة عليهم السلام وبداية عصر الغيبة، لكن قد تتوفّر مثل هذه الظروف في الدول الإسلاميّة على مرّ التاريخ، وقد تكون الأرضيّة في بعض أقطار العالم الإسلامي ـ الآن ـ مهيّئة لقيام المسلمين بذلك أيضاً. فإن قاموا بذلك، فقد صانوا الإسلام وضمنوا بقاءه، وقد يواجه واحد أو اثنان الفشل، لكن عندما يكثر هذا التغيير وهذه الثورة والحركة الإصلاحيّة، فثقوا باجتثاث جذور الفساد والانحراف.

إنّ الإمام الحسين عليه السلام قد علّم التاريخ الإسلامي درساً عمليّاً عظيماً، وضمن بقاء الإسلام في عصره وسائر الأعصار. فأينما وجد مثل هذا الفساد، كان الإمام الحسين عليه السلام حيّاً حاضراً هناك يعلّمنا بأُسلوبه وفعله ما يجب علينا عمله. لهذا يجب أن يبقى إسم الحسين عليه السلام حيّاً وتبقى ذكرى كربلاء حيّة؛ لأنّ ذكرى كربلاء تجعل هذا الدرس العملي نصب أعيننا[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في : ١٠ محرم الحرام ١٤١٦ هـ

هل تحققت آثار ثورة عاشوراء ؟

ماذا كان هدف الحسين عليه السلام من الثورة

الإمام الحسين كان أتقى الأتقياء ولكنّه استشهد مع أنّ الله تعالى يقول: ﴿وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾[١] وقال عزّ من قائل: ﴿وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾[٢] فمن الممكن أن يقول شخص: إذن لماذا لم يتوفّر للإمام الحسين عليه السلام مخرج من المأزق الذي واجهه في كربلاء؟

والجواب: أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يواجه أيّ طريق مسدود في تحرّكه، والمخرج والفرج الذي حصل عليه كان يتناسب مع أهدافه.

فهدف الإمام الحسين عليه السلام من الذهاب إلى كربلاء لم يكن الوصول الى السلطة، بل إنّه عليه السلام وفي مثل تلك الظروف الخاصة التي كانت تعيشها الأمة أراد أن يعطي درساً خالداً لتاريخ الإسلام عمّا يجب فعله واتّخاذه من موقف في مثل تلك الظروف التي يتعرّض فيها الإسلام للخطر؛ ولهذا فإنّ الإمام الحسين حقّق هدفه ونجح في تعليم الأمة ما يجب اتّخاذه من مواقف.

---

(١) سورة الطلاق:٢ .

(٢) سورة الطلاق: ٤ .

إذن لم يكن هدف الإمام الحسين عليه السلام هو تجنّب الشهادة، فالشهادة كانت تعدُّ فوزاً عظيماً لأمثال الإمام الحسين عليه السلام.

وبالطبع لو كان هدف الإمام الحسين عليه السلام هو تجنّب الشهادة لكان يلزمه اتّخاذ بعض التدابير التي لو عمل بها ـ بمعنى إعمال التقوى التي يستلزمها هذا الأمر ـ فسيكون له مخرجاً من دون أيّ ريب.

وبطبيعة الحال فإنّ العمل بالمستلزمات يجب أن يكون عن الطريق الشرعي والصحيح؛ لكي يصدق عليه تقوى الله سبحانه وتعالى[١].

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى كلماته الملهمة للحكمة: «**لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمن**»[٢].

وفي حديث آخر يبيّن لنا عليه السلام هذا المعنى بعبارة أخرى قائلاً: «**من ركب مركب الصبر اهتدى الى ميدان النصر**»[٣].

وفي حرب صفين قال عليه السلام في خطبة يحث ويعبىء الجند: «... **فاستعينوا بالصبر والصلاة والصدق في النية فإن الله تعالى بعد الصبر ينزل النصر**»[٤].

فهل حقاً أن النصر والثبات موجب للوصول الى الهدف؟ وإذا كانت هذه قاعدة عامة وقانوناً ثابتاً لا يقبل التخلف لماذا نشاهد طوال التاريخ أفراداً أو جماعات لم يصلوا الى أهدافهم مع أنهم كانوا في ميادين العزة يبذلون ما ينفع الثبات والمقاومة، ولم يحققوا النصر أو يذوقوا حلاوته؟.

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٢ ربيع الأوّل ١٤١٥هـ

(٢) ميزان الحكمة: ٢ / ١٥٥٩ ـ ٢١٦٩، باب الصبر والظفر.

(٣) بحار الأنوار: ٦٨ / ٩٦ ح ٦١.

(٤) الإرشاد للمفيد: ١ / ٢٦٦.

في صدر الإسلام يوجد حوادث ليست بالقليلة شاهد على هذا الأمر مثل ثـورة الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء، ومثل شهادة زيد بن علي عليه السلام، وثورة التوابين...

ولكي يتضح الجواب عن هذا السؤال الذي يطرحه بعض الناس نحتاج الى شيء من الدقة، فلعل هؤلاء الناس الذين يطرحون مثل هـذا التساؤل ويـعتبرون هـذه الأحداث التاريخية التي لم تثمر أو تصل الى غايتها بحسب الظاهر هي أمور تنقض هذا القانون العام (قانون الصبر والظفر).

إنّ هؤلاء لم يدركوا بشكل صحيح هدف وغاية كل واحد مـن هـذه الحـوادث والوقائع، والتي يكون تحقيقها لهذا الهدف أو تلك الغاية هو الانتصار والفوز.

لهذا لابدّ من الإجابة أولاً عن هدف هذه الحوادث التاريخية ليتضح أن أصحابها لم يهزموا أصلاً.

وكمقدمة ينبغي أن نلتفت الى أن الأهداف تختلف من حيث قربها وبعدها عن التحقق، فبعضها تكون نتيجتها سريعة وقريبة، والآخر يحتاج الى أزمنة طويلة كغرس نبتة وتأمين كل ما تحتاجه حتى تنمو وتثمر.

فإذا توفرت هذه المقدمات ولم يحصل أي تقصير في إعدادها من خلال مواجهة العوامل السلبية المفسدة فإنها ستثمر حتماً.

ولكن بعض الأشجار مثلاً تـحتاج الى أكـثر مـن عشـر سـنوات لتـعطي الثـمار المطلوبة.

نعم المزارع يعتني بهذه الشجرة سنة بعد سنة ويراها تقترب من بلوغ هدفها الى إثمارها لكن المراقب عن بُعد وبعد مرور سنتين مثلاً يخطىء المزارع انطلاقاً مـن اليأس، لأن الشجرة لم تثمر بعد سنتين، ويقول أين الظفر بعد الصبر؟.

وهكذا بالنسبة لثورة عاشوراء وكل الوقائع التي كانت إمتداداً لها، فقد حققت كل

أهدافها .

فهذه الوقائع كانت كل واحدة خطوة ناجحة باتجاه القضاء على السلطات الغاصبة وإقامة المجتمع الاسلامي المنشود، ولا شك أنه بعد هذه الخطوات الأولى لو استمر اللاحقون بالمسيرة لتحققت الغاية المطلوبة من وراء مجموع هذه المساعي والتحركات، أما أن نتوقع تحقق مثل هذا الهدف من شخص واحد أو عدة أفراد في مرحلة ما فإنه في غير محله.

وفي المثال المتقدم يمكن أن نقول لذلك المشاهد القليل الصبر والخبرة: أن أولائك الذين أدركوا متاعب المزارع وأشرفوا على هذه الاعمال يعلمون جيداً أن كل يوم يمضي وكل ساعة ستكون مفيدة ومنتجة وهم يدركون نتائج الصبر في كل لحظة قبل أن تأتي أُختها.

فمرور سنتين من العمل يعني اقتراب الغرسة من النضج، ولو لم يكن هذا السعي في هذه السنتين مثلاً لتأخرت الثمار سنة أو أكثر ولعله يضيع الهدف النهائي ولا يصل الى المطلوب، فهل الواقع غير ما ذكرنا؟.

والى جانب هذه الحقيقة يوجد حقيقة أخرى وهي أنه بعد بروز مانع يمنع المزارع الحريص الصبور من الاستمرار في عمله إذا لم يتابع مزارع أخر عمله ولم يكمل أعمال السنة الثالثة والرابعة فإن هذا الغرسة أو الشجرة لن تنضج أبداً.

ولا شك أن نتيجة الصبر في السنة الاولى قد حصل كما أن قلع أو قطع شجرة متجذرة أو إزالة صخرة كبيرة بدون التجهيزات اللازمة واليد القوية ليس ممكناً، ولن تعطي أية نتيجة بدون وجود الصبر .

ولو أنجزت أول يد قوية وصبورة المقدمات الأولى اللازمة وبسبب مانع ما توقفت ثم أكملت الأيدي الأخرى العمل فإنها ستقترب نحو النتيجة المطلوبة.

وقد قام زيد بن علي عليه السلام بسبب ظهور علامات نصر ولكنه لم ينتصر وإنما حقق ما كان متوقعاً من مثل نهضته فإن قيامه واستشهاده كان ضربة على الصخرة الصلبة لحكم بني أمية، هذه الصخرة التي يتطلب تحطيمها عدة ضربات متتالية، وعندما توالت الضربات على أثر تلك الضربة انهارت هذه الصخرة السوداء التي كانت تجثم على صدر الأمة الإسلامية.

ولا شك بأنه لو لم تكن الضربة الأولى لما حققت الضربات اللاحقة مطلوبها أو أنها ما كانت لتحدث تلك الضربات .

وكأنّ الحديث يشير الى ما نتحدث عنه بأن شهادة الحسين بن علي عليه السلام كانت سبباً لسقوط التيار السفياني وشهادة زيد بن علي عليه السلام سبباً لسقوط الحكم المرواني[1].

---

(١) بتصرف عن بحث حول الصبر، نشر مركز بقية الله الأعظم / الدار الاسلامية.

آثار ثورة عاشوراء التاريخيّة

بركات طريق الإمام الحسين عليه السلام

إنّ طريق الحسين عليه السلام لم يُغلق أبداً في بلادنا وأُمّتنا طوال القرون، ولم يتمكّن المخالفون والمعاندون من فعل شيء.

إنَّ هذا الطريق مليء بالبركات، ولو أنّ علماء الدين والمبلغين والخطباء سعوا في هذا الطريق بما يليق بشهر محرم وأبدعوا وابتكروا وقاموا بجهود مخلصة مصحوبة بالأعمال الفكرية والعلمية القيّمة لازدادت البركات على ما كانت عليه بأضعاف مضاعفة. لذا فعلينا جهد إمكاننا أن نسعى جميعاً في هذا المجال[١].

وقد ظهرت الآثار العميقة والأساسية لهذه الحادثة تدريجياً منذ اليوم الأوّل لوقوعها، فعرف البعض بوظائفه منذ تلك الأيّام، فقامت حركة التوّابين، ووقعت حوادث الجهاد الطويل لبني هاشم وبني الحسن عليهم السلام ، حتى أنّ ثورة العباسيين ـ الذين ثاروا ضد بني أُميّة في أواسط القرن الثاني للهجرة، وأرسلوا الدعاة إلى أطراف العالم الإسلامي آنذاك خصوصاً إلى المناطق الشرقية من إيران كخراسان والتي نجمت في القضاء على الحكومة الأموية الظالمة والمستكبرة والعنصرية،ـ قد

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٦ / ١٢ / ١٤١٦ هـ.

بدأت باسم الحسين بن علي عليه السلام.

فلو طالعتم التأريخ للاحظتم أنّ دعاة بني العباس عندما كانوا ينتشرون في أطراف العالم الإسلامي، كانوا يتّخذون من دم الحسين بن علي عليه السلام واستشهاده ومن الانتقام لدم ابن الرسول صلى الله عليه وآله وبضعة الزهراء عليها السلام وسيلة لتنظيم حملاتهم الإعلامية، حتى أنّ السواد الذي أصبح شعاراً ولباساً رسمياً لبني العباس طوال خمسمائة عامٍ من حكمهم، قد انتخب كلباس حِداد على الإمام الحسين عليه السلام، حيث كانوا يقولون: هذا حداد آل محمّد صلى الله عليه وآله .

هكذا بدأ العباسيّون ثورتهم وأوجدوا هذا التغيير، وإن كانوا قد انحرفوا وانتهجوا نفس سياسة بني أُميّة بعد ذلك.

إذن هذه من تأثيرات عاشوراء، وهكذا كانت على طول الزمان.

وما وقع في عصرنا ـ أي عصر سيطرة الظلم والكفر والإلحاد على العالم أجمع، عصر أصبحت العدالة فيه مخالفة للقانون، والظلم قانوناً على الصعيد العالمي ـ كان أعظم من كل تلك الأحداث؛ فما ترونه من تجبّر القوى الكبرى ورغبتهم في إيجاد نظام عالمي جديد هي عين ذاك الظلم، وما يقع في العالم من الظلم وسحق الحقوق وازدواجية التعامل كلها نتيجة لهذه الأسماء القانونية كالدفاع عن حقوق الإنسان.

وهذا أسوء أنواع طغيان الظلم، أي سيطرة الظلم على العالم بإسم العدالة والحق.

ففي مثل هذا العصر خُرِقت حُجب الظلام وتجلّت شمس الحقيقة ووصل الحق إلى الحكم، وأعلن الإسلام الحقيقي والأصيل تواجده وأجبر العالم على قبول تواجده في شكل نظام إسلامي بعد أن كانت الأيادي كلّها تسعى لإبعاده عن الساحة.

إستطاع إمامنا العظيم (رض) ـ وبالاستعانة بشهر محرم وحادثة عاشوراء ـ أن يوصل نداء الحق النابع من قلبه إلى أسماع الناس ويغيّرهم. وشهداؤنا ـ تلك الأيام ـ

في طهران وورامين وبعض المدن الأُخرى كانوا من معزّي الحسين عليه السلام، فأول الشهداء في حادثة ١٥ خرداد كانوا من الذين تعرّضوا لهجوم أعداء عاشوراء، وقد شاهدتم في عام ١٣٥٧ هـ. ش (١٩٧٨م) كيف آستفاد إمامنا العظيم وآستخلص الدروس من محرم، وطرح قضية انتصار الدم على السيف وحقّق ما أراده، أي تلقّى الشعب الإيراني باتّباعه للحسين بن علي عليه السلام الدرس من عاشوراء فانتصر الدم على السيف.

وإنّنا اليوم ورثة وأمنة هذه الحقيقة التأريخية؛ أي أنّ الناس ترغب في سماع ذكريات حادثة عاشوراء وتتلقّى منها الدروس من على لسان العلماء والمعمّمين والمبلّغين والمبلّغات. فماذا يمكننا فعله في هذا المجال؟ هنا تطرح قضية التبليغ، فالقضية مهمّة جداً. فإن تمكّن الطلبة الشباب والفضلاء في الحوزات العلمية والمبلّغين والخطباء والمدّاحين يوماً ما من الاستفادة من حادثة عاشوراء ـ كحربة لمواجهة الظلامات المتراكمة والمسيطرة على حياة البشر، وخرق حُجب الظلام بهذه الحربة الإلهية القاصمة، وإظهار شمس الحق في صورة حكومة إسلامية كما ظهرت هذه الحقيقة في عصرنا وشوهدت هذه المعجزة، فلماذا لا يتوقّع ويُنتظر أن يشهر علماء الدين والمبلّغون والخطباء ـ في كل عصر ـ سيف الحق وذو فقار علي بوجه كل باطل؟ ولماذا نستبعد هذا الأمر حتى لو كان إعلام العدو في تلك البرهة أقوى وأوسع والظلمات أشد تراكماً؟

صحيح أن الإعلام المعادي قد شغل اليوم أذهان جميع البشر، وصحيح أنّ الأموال الطائلة تصرف لتشويه صورة الإسلام وبالخصوص الشيعة، وصحيح أن كل من له مصالح غير مشروعة في حياة الشعوب والدول، قد وظّف نفسه للتحرّك ضد الإسلام والحكومة الإسلامية، أي أنّ الكفر ـ رغم تفرّقه وتشتّته ـ قد اتّفق على محاربة الإسلام الأصيل؛ حتى أنّهم جعلوا الإسلام المحرّف في مواجهة الإسلام الأصيل، كل ذلك

صحيح، لكن رغم كل هذا الإعلام المعادي الخبيث، ألا يمكن لجناح الحق وجبهة الإسلام الأصيل ـ وببركة روح ونداء وحقيقة عاشوراء ورسالة محرم ـ أن يكرّر تلك المعجزة مرة أُخرى؟! نعم، إنّه عمل شاقّ، لكنّه ممكن وتلزمه الهمّة والتضحيات، وهذه وظيفتنا نحن[1].

(١) من كلمة ألقاها في: ٢٤ ذي الحجة ١٤١٥ هـ

عاشوراء قمة المعارف

عاشوراء بذاتها شعيرة تخلق لدى الإنسان الحماس والحركة والنمو الفكري؛ فعاشوراء ليست شعائر جافة فارغة، وإنما هي مراسم تنطوي على الفكر والتخطيط والهدفية والوعي والمعرفة[1].

إن العالم متعطّش للحقيقة اليوم، وليس هذا كلام عالم دين أو مسلم متعصّب، بل كلام أُناس هم على ارتباط وعلاقة بالثقافة الغربية ممن أحسنوا الظن بتلك الثقافة ومنظّريها يقولون: إنّ الشرائح الحسّاسة في العالم الغربي عطشى لحقيقة الإسلام، والمقصود من الشرائح الحسّاسة هم العلماء والمفكّرين وأصحاب الضمائر والمثقّفين والشباب.

فهؤلاء هم الأجزاء الحسّاسة لهيكل المجتمعات الغربية ـ إنهم عطشى لدرس في الحياة يخلّصهم من آلاف المشاكل الحقيقية والواقعية، فالكثير من مشاكل الحياة ليست مشاكل واقعية، إنّ المشكلة الواقعية هي الشعور بعدم الأمن الروحي، الشعور بالغربة، بالكآبة، بالتزلزل وعدم الاطمئنان والسكينة.

هذه هي المشاكل الحقيقية للبشرية حيث يُجبر شخص ما على الانتحار وهو في قمة الثراء والشهرة، فلماذا ينتحر ذلك الشاب الثري الذي يملك إمكانيات التنعّم والتمتع؟! وأي ألم أصعب من فقد المال وعدم توفّر إمكانيات المتعة الجسمية واللذة الجنسية؟!!

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢١ محرم ١٤٢٣ هـ ـ طهران.

فعدم الاطمئنان وعدم السكينة، عدم وجود نقطة اتكاء روحي، عدم الأُنس والتواصل بين الناس، الشعور بالغربة، والشعور بالإنكسار، كلها آلام ابتليت بها المجتمعات المادية والغربية في العالم اليوم، وتشعر بها الشرائح الحسّاسة أكثر من غيرها؛ لهذا فهم يترقّبون الخلاص من هذه الآلام.

إنّ الأنظار قد توجهت إلى الإسلام أينما توفّر فيه الوعي؛ رغم وجود بعضٍ من غير الواعين الذين لا يعرفون الإسلام، لكن الأرضية مهيّئة لاعتناق الإسلام، فالذين عرفوا الإسلام سوف يتكئون عليه فقط. فأحد المفكرين الإيرانيين الذي انتقل إلى رحمة اللّه أخيراً، قال في أواخر عمره: إنّ الغرب يبحث اليوم عن شخصيات أمثال الشيخ الأنصاري وملا صدرا، فحياتهم ومعنوياتهم وقيمهم قد جذبت الشخصيات والمفكرين الغربيين إليها.

إن النبع الزاخر لهذه القيم والمعارف الإسلامية كامنة هنا، وقمة هذه المعارف هي «عاشوراء»، فيجب معرفة قيمة هذه الأمور إذ أننا نرغب في تقديم هذه المعارف للعالم.

وهنا أشكر جميع الذين أستجابوا لدعوتنا وقاموا بتنزيه مراسم العزاء يوم عاشوراء من التحريف، وإنني أُوكد مرة أُخرى على هذه المسألة، أيّها الأعزاء! أيها المؤمنون بالحسين بن علي عليه السلام! إنّ بإمكان الحسين بن علي عليه السلام أن ينقذ العالم اليوم بشرط أن لا نشوّه صورته بالتحريفات.

لا تدعوا المفاهيم الخاطئة والتحريفات تصرف الأعين والقلوب عن وجه سيد الشهداء عليه السلام المبارك والمنوّر. فيجب التصدي للتحريف .

تبيين ثورة الحسين عليه السلام

يجب متابعة قضية عاشوراء والحسين بن علي عليه السلام من على المنبر وخلال الرثاء، بالصورة التقليدية السابقة، ببيان وقائع ليلة ويوم العاشر، فعادة ما تندثر الحوادث حتى الكبيرة منها مع مرور الزمن، لكن حادثة عاشوراء باقية بكل جزئياتها وذلك ببركة هذه المجالس. طبعاً يجب أن يكون بيان الوقائع بصورة مُتقنة على ما ورد في كتابي اللهوف لابن طاووس والإرشاد للمفيد، لا الأمور المختلقة.

إذن يجب نقل الأحداث و قراءة الرثاء والمديح واللطميات وبيان حادثة عاشوراء وهدف الإمام الحسين عليه السلام من خلالها، كتلك التي وردت في كلمات الإمام عليه السلام مثل: **«إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي»**.

أو قوله الشريف: **«أيّها الناس إنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم اللّه ناكثاً لعهد اللّه فلم يغيّر عليه بقولٍ ولا فعلٍ، كان حقاً على اللّه أن يدخله مدخله»**[1] .

أو قوله عليه السلام: **«فمن كان باذلاً فينا مهجته وموطّناً على لقاء اللّه نفسه فليرحل معنا»**[2].

فالكلام هنا عن لقاء اللّه، والهدف من خلق البشر، و«إنّك كادح إلى ربّك كدحاً فملاقيه». كل هذه المساعي والمشاقّ لأجل هذا الأمر «فملاقيه»، فمن كان موطّناً على لقاء اللّه فليرحل مع الحسين، ولا يجوز له المكوث في البيت والتعلّق بالدنيا ومتاعها

---

(١) شرح إحقاق الحق: ١١ / ٦٠٣.

(٢) أبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام :٢٧.

والغفلة عن طريق الحسين عليه السلام.

فيجب أن نتحرّك، وهذا يبدأ بتهذيب النفس ثم التحرك إلى المجتمع والعالم. فهذه أهداف وخلاصة ثورة الحسين.

إنّ خلاصة ثورة الحسين عليه السلام هي أنه مرّ يومٌ على الإمام عليه السلام كانت الدنيا فيه تحت سيطرة الظلم والجور، ولم يجرؤ أحد على بيان الحقائق، كان الجو والأرض والزمان مظلماً وأسوداً؛ حتى أنّ ابن عباس وعبد اللّه بن جعفر لم يرحلا مع الإمام عليه السلام، فما معنى ذلك؟ ألا يدل على وضع الدنيا حينها؟

فالإمام الحسين عليه السلام قد وقف وحيداً في مثل تلك الظروف ـ طبعاً مع نفر قليل، وحتى وإن لم يبقى النفر القليل ـ بوجه الظلم. افرضوا أنّه عندما قال الإمام عليه السلام ليلة عاشوراء لأصحابه: ليس عليكم منّي زمام، ذهب الجميع وذهب أبو الفضل العباس وعلي الأكبر وبقي الإمام وحيداً، فماذا كان يحدث يوم عاشوراء؟ هل يتراجع الإمام عليه السلام؟ أم أنّه يقف ويقاتل؟

ولقد ظهر في عصرنا رجل قال: لو بقيت وحيداً وتقف الدنيا كلّها بوجهي، فلن أتراجع عن طريقي، وكان ذلك هو إمامنا الخميني، وقد فعل وصدق فيما قاله **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾**[1]، رأيتم ماذا فعل رجل ترعرع في مدرسة الحسين عليه السلام وعاشوراء.

فلو كنا جميعاً من مدرسة عاشوراء، لسارت الدنيا نحو الصلاح بشكل سريع جداً، ولمُهّدت الأرض لظهور ولي الحق المطلق.

إذن يجب بيان هذه المفاهيم للناس من خلال الوعظ والرثاء والمديح، يجب على المبلّغين بيان هدف الإمام الحسين عليه السلام للناس في القرى والمدن، في البلاد وفي

(١) سورة الأحزاب:٢٣.

أرجاء الدنيا، من على المنابر وتأسيس منابر الإلقاء وبالصور المختلفة، ليذكر المبلّغ حديثاً أخلاقياً أو يشرح سياسة البلاد والسياسة العالمية، فلا بأس في ذلك، لكن يجب أن يكون خطابه بشكل بحيث يتم فيه بيان حادثة عاشوراء تصريحاً أو تلميحاً، منفصلاً أو ضمنياً، كي لا تبقى خافية ومكتومة.

إحياء الإسلام وبيان حقائقه

ينبغي الإستفادة من هذه الفرصة للقيام بما قام به الإمام الحسين عليه السلام، أي إحياء الإسلام ببركة جهاده فقد جدّد الإسلام حياته ونال حريّته بفضل ثورة ودم الحسين ابن علي عليه السلام.

واليوم عليكم أنتم ـ وبالاستفادة من ذكر واسم ومنبر الإمام الحسين عليه السلام ـ بيان حقائق الإسلام والتعريف بالقرآن والحديث وقراءة نهج البلاغة للناس، فمن الحقائق الإسلامية هي هذه الحقيقة المباركة التي تجسّدت اليوم في إيران الإسلامية، أي نظام الجمهورية الإسلامية، النظام النبوي والعلوي والولائي، فإنّ حكومة الحق من أسمى المعارف الإسلامية، فلا يتصوّر أحد أنّه يمكن تبيين حقائق الإسلام، مع بقاء حاكمية الإسلام التي تجسّدت اليوم في هذا البلد مغفول عنها[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في: ٢٤ ذي الحجة ١٤١٥ هـ

صبر الإمام الحسين صان الإسلام

إن صبر الإمام الحسين عليه السلام هو الذي صان الإسلام على مر التاريخ حتى يومنا هذا؛ وفي الحقيقة لو أن الإمام الحسين عليه السلام لم يصبر ذلك الصبر التاريخي في كربلاء وقبيلها وأثناء ما سبق واقعة عاشوراء فلا شك في عدم بقاء اسمٍ للإسلام بمرور قرنٍ واحدٍ من الزمان، بيد أن الإمام الحسين عليه السلام أحيا الدين ببركة صبره الذي لم يكن صبراً هيِّناً؛ فالصبر ليس أن يتعرض الإنسان للتعذيب أو يعذبون أبناءه أو يقتلونهم أمام عينيه ويصمد الإنسان ـ وهذه بالطبع مرحلة مهمة من الصبر ـ غير أن الأهم من ذلك الوساوس والتصريحات التي تبدو بظاهرها في نظر البعض منطقية فتصد المرء عن مواصلة الطريق، وذاك ما فعلوهُ مع الإمام الحسين عليه السلام، فقالوا له: إلى أين أنت ذاهب؟ إنك تعرِّض نفسك للخطر؛ وتعرض أهلك للخطر، وتدفع العدو لأن يتجرأ وتتطاول أيديهم على دمائك. وكل من يأتي عند الإمام الحسين عليه السلام يضع إرادة الإمام في مواجهة هذا المحظور الأخلاقي وهو أنك بخطوتك هذه إنما تخاطر بأرواح فئة من الناس وتجعل العدو أكثر تسلطاً وتدفعهم لأن يلطخوا أيديهم بدمائك. وهذه قضية على قدر كبير من الأهمية.

إنها حرب غير واضحة المعالم أن يقول المرء إنني ذاهب كي أُقتل، فثمة محاذير من ورائها، وربما كانت معلومة بالنسبة للإمام الحسين عليه السلام أو أثير عنده أنْ إذا قتلت سيبادرون لإبادة شيعتكم في الكوفة، فيجب أن تبقى حياً لتكون ملاذاً لهم، فأنت سبط النبي صلى الله عليه وآله، وبالمحافظة على حياتك تحافظ على حياة مجموعة من الناس، وقد تكرر هذا بعينه مع الإمام الخميني "رضوان الله عليه".

لستُ أنسى اعتقال الإمام بعد واقعة الخامس عشر من خرداد ووقوع ذلك الحدث الدامي، فقال لي أحد مشاهير الأعلام ومن الشخصيات البارزة: هل إن هذا عمل صحيح، إذ إن كل هؤلاء الشباب الذين تعج بهم البلاد وهم في غالبيتهم فاسدون والأفضل بينهم هم المتدينون، وخيرة المتدينين هم الذين نزلوا إلى الشوارع، وإن فلاناً بحركته هذه قد وضع الخيرة أمام حراب العدو فأُريقت دماؤهم!

أمنطق هذا؟ من يتغلب على هذا المنطق ويلتزم الصبر أزاء هذا المنطق الرهيب يكون قد صبر صبراً عظيماً، وإنه لصبر الإمام الحسين عليه السلام الذي تحلّى به الإمام الخميني (رض)[1].

عاشوراء وبقاء الإسلام

تدبّروا عوامل بقاء الإسلام، فأحد عوامل البقاء قضية عاشوراء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ففي كل مجتمع ينشأ فساد إذ لا يخلو مجتمع بشري منه، فكيف يمكن القضاء على هذا الفساد؟ البعض ما أن تقع عينه على الفساد حتى يقول: إذن أين المسؤولون حتى يقضوا على الفساد! طبعاً ما يُرى من الفساد بالعين أقل غالباً بكثير من المفاسد التي لا يمكن مشاهدتها ممّا يحصل في الأزقة والطرق العامة والأسواق ولا يعرفها إلا المطلعون، لكن هذا البعض ما أن يرى هذا المقدار البسيط حتى يبحث عن المسؤولين ! كلا، على المجتمع أن يطوي ويزيل الفساد الذي في داخله كما تصنع تيّارات الماء الهدّارة.

تدبّروا أنهار العالم العظيمة تجدون أن تيّاراتها الهدّارة تطوي كل ما يُلقى فيها من الأدران والأقذار وتبدّلها إلى مواد حيوية فيطهر الماء.

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٩ ذي الحجة ١٤٢٢هـ / طهران.

فعلى المجتمع أن يكون كذلك وأن يصل إلى المستوى الذي يقضي فيه حتى على قطرة الفساد الواحدة[١].

بقاء الدين حيّ بفضل تضحية الحسين عليه السلام

إنّ فرصة التبليغ في شهر محرم الحرام فرصة ثمينة وفريدة، والفضل فيها يعود لسيد الشهداء وأبي الأحرار أبي عبدالله الحسين عليه السلام وأصحابه الغرّ الميامين. لقد بقي أثر تلك الدماء ـ التي أريقت ظلماً ـ خالداً على مدى التاريخ؛ لأن الشهيد ـ الذي يضع روحه على طبق الاخلاص ويجود بها في سبيل الغايات النبيلة للدين ـ لابد وأن يتّسم بالاخلاص والنقاء. وأيّ مخاتل ومخادع مهما بلغت به القدرة على تطويع اللغة والبيان على إظهار نفسه وكأنّه مناصر للحق، لابد وأن يتراجع عندما تتعرض مصالحه الذاتية لأيّ تهديد، وخاصة إذا كان في ذلك التهديد خطورة على نفسه وأنفس أعزائه، ولا يبدي عند ذلك أيّ استعداد للتضحية والبذل.

وأمّا من يسير على طريق التضحية والفداء ويجود بنفسه بصدق وإخلاص في سبيل الله، كان حقاً على الله أن يكتب له الحياة، إذ أنه قال في كتابه الكريم: **﴿وَ لَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَ لَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾**[٢] وقال أيضاً **﴿وَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾**[٣] وأحد أبعاد الحياة هو هذه المعالم التي لا يُمحى أثرها ولا ينتكس لواؤها.

أجل، إنّها قد تبهت ألوانها لمدّة من الزمن بفعل أساليب القهر والعنف التي

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٦ / ١٢ / ١٤١٦ هـ.

(٢) سورة البقرة: ١٥٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٦٩.

تمارسها القوى المتجبّرة المستبدة، إلّا أنّ الله تعالى كتب لها البقاء والخلود. وقد قضت سنّة الله بديمومة سبيل النزهاء والصالحين والمخلصين؛ فالإخلاص صفة ذات آثار مدهشة، ولهذا بقي الدين حيّاً بفضل تضحية الحسين بن علي عليه السلام وبفضل دمه ودماء أصحابه التي أريقت ظلماً وعدواناً.

من غير المرتجى طبعاً أن يقتات جيل ما على مواريث مفاخر ومآثر الأجيال الأخرى، وإذا ما كان هناك مثل هذا الجيل فهو بلا ريب آيل إلى الانحطاط، إذ مادامت هذه الحركة متسارعة في سيرها يفترض بالأجيال البشرية المؤمنة أن يؤدّي كل منها دوره المطلوب فيها، ولا شك طبعاً في أن دور المؤمنين والمخلصين يختلف بإختلاف الأزمان وحسب متطلبات كل عصر؛ وتلك الأداور على ما فيها من التفاوت تعتبر كلها جهاداً في سبيل الله، لأن الكل فيها معرّضون للبذل والتضحية ومن جملتها التضحية بالنفس؛ وقد يكون ذلك في ميدان الحرب تارة وفي الحوزات العلمية تارة أخرى، وقد تكون التضحية على غرار تضحية الشهيدين الأول والثاني مرّة، أو قد تكون في الساحة السياسية مرّة أخرى، أو في ميدان التقدم الاجتماعي، أو أثناء أحداث ثورة كبرى كهذه الثورة الإلهية، وقد تكون ثالثة لأجل تبيين حقائق الدين، كما هو الحال بالنسبة للشهيدين مطهّري وبهشتي؛ إذ أنّ لكّل عصر متطلباته.

أجل، إنّ هذا الطريق دائم لا نهاية له، ولكن من الذي ينهض بمهمة ديمومة هذه الحركة ؟ [١].

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٥ ذي الحجة ١٤١٩ هـ ـ طهران.

تحقيق الحسين متطلبات الإنسان في ظل أحكام الدين

وواصل عليه السلام كلامه بالقول: "**ويُعمل بفرائضك وأحكامك وسننك**"[١].

إني أتساءل من أين يأتي البعض ـ رغم عدم معرفتهم بمبادئ الإسلام ولا بكلمات الإمام الحسين ولا باللغة العربية ـ بآراء يزعمون فيها أنّ الإمام الحسين عليه السلام ثار من أجل كذا غاية أو كذا هدف.

فهذا كلام الإمام الحسين عليه السلام بين أيدينا ويقول فيه "**ويُعمل بفرائضك وأحكامك وسننك**". بمعنى أنّ الإمام الحسين عليه السلام ضحى بنفسه وبنفوس أكرم وأطهر الناس في عصره من أجل أن يعمل الناس بأحكام الدين، لأن السعادة رهينة بالعمل بأحكام الدين، والعدالة متعلقة بالعمل بأحكام الدين، وحرية الناس منوطة بالعمل بأحكام الدين؛ فمن أين لهم الإتيان بالحرية؟ إن جميع متطلبات الإنسان تتحقق في ظل أحكام الدين.

إنّ إنسان اليوم لا يختلف في متطلباته الأساسية عن إنسان ما قبل ألف سنة، ولا حتى عن إنسان ما قبل عشرة آلاف سنة، لأن متطلبات الإنسان الأساسية واحدة؛ فهو يتطلع إلى الأمان، والمعرفة، والحرية، والحياة الرغيدة، وينفر من التمايز والظلم. أمّا المتطلبات الأخرى العارضة أو الطارئة في حياة الإنسان، فيمكن ضمان تحقيقها في ظل وفي إطار تلك المتطلبات الأساسية.

وهذه المتطلبات الأساسية يمكن ضمانها في ظل دين الله فحسب، وليس هنالك

---

(١) تحف العقول: ٢٣٩.

من مذهب من المذاهب البشرية ذات التسميات الرنانة له القدرة على استنقاذ الإنسان وحتّى إذا افترضنا أن لديهم القدرة على توفير الأموال لعدد من الناس، فهل المال هو كل ما تتطلبه حياة الإنسان؟ وهل حياة الإنسان اليوم تتطلب أن يبلغ الإنتاج القومي الكلّي في بلد معيّن مبلغاً خيالياً، في حين يعجز هذا الإنتاج القومي الكلّي عن أن يفي بالمستلزمات الغذائية لذلك الشعب؟ فهل نقنع بهذا؟ وهل هذا هو كل ما نطمح إليه؟!

ما فائدة أن يكون بلد ما غنيّاً، في حين يوجد فيه جياع كثيرون؟ ويكون لديه إنتاج وافر، ولكنه يضجّ بالتمييز بين أبناء الشعب؟ وتستطيع فئة صغيرة الاستعانة بتلك الثروات لإنزال الظلم بحق جموع كثيرة من ذلك الشعب والتسلط عليهم واستغلالهم؟ وهل لمثل هذه الظروف يعمل الإنسان؟ ولمثل هذه الأوضاع يبذل ويضحّي؟! إنّ التضحية يجب أن تكون في سبيل العدالة والحرية والسعادة؛ وهذا هو ما يضمن الدين تحقيقه. والتضحية يجب أن تكون في سبيل أن يتحلّى الناس بالفضائل والأخلاق الحسنة، ولتشيع في أجواء الحياة معاني الإخلاص والنقاء. ولمثل هذا يجب أن يعمل العاملون، ويجب أن ينصبّ عملكم التبليغي والاعلامي في هذا الاطار[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٥ ذي الحجة ١٤١٩ هـ - طهران.

أوّل استفادةٍ من عاشوراء

لقد استغلّت هذه التجربة (**عاشوراء**) مرّة واحدة بشكل صحيح وتحقّق فيها النصر المطلق، ألا وهي الثورة الإسلامية في عصرنا، لقد خلق الباري تعالى إمامنا العظيم بشكل لم تكن تلك الشخصية تشعر بالتعب والهزيمة، ولم يكن للفشل أثر على روحه أبداً، بل كان يحاول التقدّم حتّى في أصعب الظروف، فقد رأيتم عن قرب طوال الأعوام الثمانية من الحرب أنّ الذي لم يقرّر الإنسحاب في أصعب الظروف هو شخص الإمام (ره)، فكان صامداً كالجبل الراسخ، والإنسان يجاهد بسهولة لو كان وراءه جبل راسخ كالإمام، وقد كان الإمام هكذا في مرحلة الكفاح أيضاً، فاستمرّ في الكفاح رغم الكثير من الهزائم والصعاب والتعذيب والضغوط والنفي وكبر السنّ، حيث لم يكن الإمام شابّاً عندما دخل ساحة الكفاح، بل كان يبلغ ثلاثة وستين عاماً عندما بدأ الكفاح، وأتذكّر في خطاباته عام ١٣٤١ هـش ١٩٦٢(م) حيث كان يقول: لماذا وممّ أخاف؟ فإن قتلوني فعمري ٦٣ وسأموت وأنا في عمر النبي الأكرم ﷺ وأميرالمؤمنين عليه السلام ، فأيّة سعادة أعظم من هذه؟ هكذا كان منطقه.

لقد بدأ الإمام الكفاح وهو كبير في السنّ حيث كان يبلغ ثلاثة وستين عاماً، وبما أنّ ذلك اليوم كان مناسباً، فقد استطاع تحمّل جميع المشاقّ في الكبر، وعندما تسلّم قيادة الثورة العظيمة كان في الثمانين من عمره، وقادها بتبعاتها العظيمة التي شاهدتموها حتّى سنّ التسعين. ولم تهزّ هذا الجبل الراسخ أبدا تهديدات أمريكا والإتحاد السوفياتي واتحاد القوتين العظميين وحرب الثمان سنوات والهجوم على طبس والحظر الاقتصادي والإعلامي والسياسي وغيره، «لا تحرّكه العواطف»، لهذا

استطاع أن ينتصر.

لقد استغلّت هذه التجربة مرة واحدة وهي في ثورتنا، واصطفّ الشعب والمناضلون خلف هذا الرجل ورصّوا الصفوف حتّى أنّ أضعف الناس قد التحق بهم، وبالتالي انهزم العدو.

إنّ العدو منهزم منّا ومن ثورتنا الإسلامية اليوم، فهذا الصخب والضجيج الإعلامي والتظاهر بالقوة دليل على هزيمتهم أمام الثورة، وتسابق زعماء أمريكا للتصريح ضدّ الجمهورية الإسلامية والنظام الإسلامي ووضع الخطط واتّخاذ القرارات دليل على شعور تلك القوة العظمى بالهزيمة أمام الثورة الإسلامية، ودليل على صمود وانتصار الشعب الإيراني المسلم في هذا الميدان العظيم طوال سبعة عشر عاماً.

لكن العدو يراقب بشدّة الثورة، فإن رأى ـ ولو للحظة ـ ضعفاً في الشعب، هاجم دون أدنى رحمة.

والأمور التي تطرح في هذه الأيام لا تعتبر هجوماً، وليست لها أدنى أهمية أو اعتبار. يقولون نفرض عليكم حظراً اقتصادياً!! أفلم يقوموا بذلك من قبل؟!

إنّ العالم اليوم ليس كالسابق لترضخ فيه أوروبا وبلدان آسيا الكبرى للساسة الأمريكان الوقحين والطامعين وسيّيء الخلق، لأنّ لكلّ شعب اليوم موقع ومكانة في العالم، حتّى أنّ الشعوب الصغيرة أيضاً لو كان يحكمها زعماء جيّدون لما كانت مستعدّة للرضوخ لأمريكا، فمن يهتمّ بهم ويرضخ لهم؟!

وعلى فرض نجاح وانتصار واستمرار رؤساء أمريكا في أهدافهم الخبيثة، فذاك يعدّ بداية لانتصار الشعب الإيراني، فالشعب الإيراني لا يحتاج إلى أحد، إنّ شعبنا بحاجة إلى ثقة بالنفس والبحث عن الذات، إنّ الشعب الإيراني بحاجة إلى أن يُجرّب نفسه في الميادين الصعبة حتّى يكتشفها، فهو شعب عظيم ويتمتّع باستعدادات

عظيمة، وهنا تكمن القيم السامية، لكن الأعداء لم يسمحوا لنا بالتفرّغ لأنفسنا وترتيب أوضاعنا.

فهنيئاً لليوم الذي يفكّر الشعب بنفسه ويتدبّر أمره ويراجع إمكانياته وقدراته مثلما حدث ذلك في فترة الحرب نظراً للحاجة، وقد شاهدنا ثمراته الطيّبة، وبناءاً على ذلك فإنّنا لا نخسر شيئاً في مثل هذه الأحداث.

إنّ المشكلة هي وجود قوة على رأس القوى في العالم لا تعير أدنى أهمية للفضائل الإنسانية الحقيقية، إنّ قادة أمريكا اليوم بصدد توسيع نفوذهم وبسط سيطرتهم على العالم، ولا يعيرون أدنى أهمية لأي من المبادى والقيم الإنسانية، إنّهم لا يعيرون أهمية لأنين الشعب الفلسطيني وسائر الشعوب الإسلامية أينما يسحقون في العالم، ولا قيمة عندهم للديمقراطية التي توصل جماعة لا تصغي لأوامرهم إلى الحكم، إنّهم يريدون الديمقراطية متى ما عادت عليهم بالنفع، وأوصلت إلى الحكم جماعة تصغي إليهم وتكون رهن إرادتهم، وفي غير ذلك لا يعترفون بالديمقراطية أبداً!!

لقد ازدادت مراكز الصمود ـ ولله الحمد ـ ضدّ هذه السياسة اليوم في العالم، فإن كانت الجمهورية الإسلامية بالأمس وحيدة، لكن هناك اليوم شعوب أُخرى صامدة ترفض الرضوخ لهم[١].

---

(١) من كلمة ألقاها بمناسبة ولادة أبي الأحرار الحسين بن علي عليه السلام في: ٣ شعبان ١٤١٦ هـ

أسباب واقعة الطف

دراسة علل ثورة الإمام الحسين عليه السلام

من المهم دراسة علل ودوافع ثورة الإمام الحسين عليه السلام والأسباب التي حدت به إلى الثورة؛ أي تحليل الدوافع الدينية والعلمية والسياسية لهذه الثورة. وسبق لنا وأن تحدثنا فيما مضى عن هذا الموضوع بالتفصيل، إضافة إلى ما للفضلاء والأكابر من دراسات قيّمة فيه[١].

الدروس المستقاة من عاشوراء

مع وجود كل ما قيل بشأن واقعة عاشوراء وما قلناه نحن وسمعناه ولكن لا يزال هناك مجال للحديث والتأمل والتدبر والإعتبار بهذه الحادثة. فهذه الحادثة العظيمة يمكن التأمل فيها من جهتين[٢].

إن بحث الدروس المستقاة من عاشوراء بحث حيّ وخالد على مر الزمن ولا يختص بزمن معين دون سواه. فدرس عاشوراء هو درس التضحية والشجاعة

---

(١) من كلمة ألقاها في ١١ محرم ١٤١٩ هـ ق ـ طهران.

(٢) من كلمة ألقاها في بتاريخ ١٣ محرم ١٤١٣هـ

والمواساة، ودرس القيام لله، والايثار والمحبّة. وأحد دروس عاشوراء هي هذه الثورة الكبرى التي فجرتموها أنتم أبناء الشعب الإيراني امتثالاً لنداء حسين العصر وحفيد أبي عبدالله الحسين عليه السلام. وهذا بحد ذاته واحد من دروس عاشوراء[١].

لعاشوراء بيانات ودروس. عاشوراء علمتنا أنه يجب أن نضحي لأجل الدين، علمتنا أنه يجب التغاضي عن كل شيء في سبيل القرآن، علمتنا أنّ جميع الأشخاص من صغير أو كبير ومن رجل أو امرأة ومن كهل أو شاب ومن شريف أو وضيع ومن إمام أو رعية يقفون صفاً واحداً في ميدان الصراع بين الحق والباطل.

علمتنا أنّ جبهة العدو مع كل قدراتها الظاهرية فإنها تتصدع، كما تصدعت جبهة بني أُمية بواسطة قافلة سبايا عاشوراء في الكوفة والشام والمدينة وأخيراً انجرَّ الأمر الى إنهيار الجبهة السفيانية بالثورة الحسينية.

تعلمنا عاشوراء أنّ البصيرة لازمة للإنسان في دفاعه عن الدين أكثر من أي شيء آخر، فإن عديمي البصيرة ينخدعون من دون علم ويقعون في جبهة الباطل كما كان هناك أشخاص في جبهة إبن زياد ولم يكونوا فساقاً ولا فجاراً بل عديمي بصائر، هذه هي دروس من عاشوراء، بالطبع فإن هذه الدروس تكفي لنقل أُمة من الذلة الى العزّ، هذه الدروس تستطيع أن تهزم جبهة الكفر والاستكبار، وهي دروس حياتية. هذه هي الجهة الأُولى من قضية عاشوراء.

العبر العاشورائية

من الجهات المتعلقة بعاشوراء هي العبر المستفادة منه، فعاشوراء مضافاً الى دروسه هو ساحة للعبر.

---

(١) من كلمة أُلقاها في ١١ محرم ١٤١٩ هـ ق ـ طهران.

فيجب أن ينظر الإنسان في هذه الساحة فيعتبر.

ما معنى أخذ العبرة؟ معناه أن يقيس نفسه مع ذلك الوضع ويدرك أنه في أي وضع وحال. ما الذي يهدده؟ وما هي الأشياء التي تلزمه؟ هذه هي العبرة.

فمثلاً عندما تعبر الشارع وترى سيارة مقلوبة أو مصطدمة بأُخرى وقد تضررت للغاية وقضي على ركابها فإنك تتوقف لترى ما هو السبب حتى تعتبر، وتعرف أية سرعة وأية قيادة تؤدي الى هذا المصير.

وهو نوع آخر من الدورس ولكنه درس عن طريق الإعتبار، والآن نريد أن نبحث هذا الأمر بدقة أكثر[1].

والبحث في عبر عاشوراء يختص بالزمن الذي تكون فيه الحاكمية للإسلام. ويمكن القول ـ على أدنى الاحتمالات ـ أنّ مثل هذا البحث يختص الجانب الأساسي منه بمثل هذا الزمن الذي يوجب علينا وعلى بلدنا أخذ العبرة.

ورأينا طرح هذه القضية وفقاً للصيغة التالية، وهي كيف أنّ المجتمع الإسلامي الذي التفّ حول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأحبّه وآمن به وامتلأ بالدين حبّاً وشغفاً، ونشأ وتنامى في ضوء الأحكام التي سنتحدث لاحقاً عن شيء منها، وفيه مَن أدرك عصر رسول الله صلى الله عليه وآله، كيف وصل به الحال بعد خمسين سنة أن يجتمع ويقتل سبط الرسول أبشع قتلة؟ وهل هناك ارتداد ونكوص وانحراف أشد من هذا؟!

ألقت زينب الكبرى (سلام الله عليها) في سوق الكوفة خطبة عصماء بليغة تمحورت حول هذا، قالت فيها: «**ألا يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟**» وذلك لأنهم حينما شاهدوا رأس الحسين عليه السلام على الرمح، وبنت علي عليه السلام مسبيّة، ولمسوا

---

(١) من كلمة ألقاها في بتاريخ ١٣ محرم ١٤١٣هـ

عمق المأساة ضجّوا بالبكاء. «**فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنّة**، ..» ثم قالت: «**إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة انكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم**»[١].

وهذا هو النكوص والارتداد والتراجع القهقرى. فأنتم في الحقيقة كالمرأة التي غزلت الصوف ومن بعد ما أتمته نقضت الغزل وعادت إلى ما كانت عليه، وأنتم في حقيقة الأمر نقضتم غزلكم وأعدتموه صوفاً، وهذا هو التراجع. وهذه عبرة.

كل مجتمع إسلامي معرّض لمثل هذا الخطر. لقد كانت أكبر مفخرة لإمامنا الخميني أنه حفّز الأمة على العمل بأحاديث الرسول الأعظم ﷺ.

وهل يمكن مقارنة غير الأنبياء عليهم السلام وغير المعصومين بشخصية عظيمة كشخصية الرسول الأعظم ﷺ الذي بنى ذلك المجتمع؟! ولكن انتهى الحال بذلك المجتمع إلى اقتراف تلك الجريمة. فهل كل مجتمع إسلامي معرّض للإنسياق لمثل هذه الخاتمة؟

من الطبيعي أنه إذا اعتبر لا ينتهي إلى مثلها، ولكنه إذا لم يعتبر فمن الممكن أن يتسافل إلى هذا الحد. فهذه عبر عاشوراء.

أما نحن فقد وفّقنا في هذا العصر بحمد الله وفضله لاقتفاء السبيل من جديد، وإحياء اسم الإسلام في العالم، ورفع راية الإسلام والقرآن عالية. وكانت هذه المنقبة من نصيب الشعب الإيراني الذي مرت على ثورته عشرون سنة تقريباً وهو ما انفكّ مرابطاً وصامداً على هذا النهج، إلا أننا إذا انتابتنا الغفلة ، ولم نحترس أو نحاذر ونثبت على المسار كما ينبغي، فمن الممكن أن ننتهي إلى نفس ذلك المصير. وهنا يتضح معنى العبرة من عاشوراء[٢] .

---

(١) الإحتجاج: ٢/٣٠.

(٢) من كلمة ألقاها في ١١ محرم ١٤١٩ هـ ق ـ طهران.

ما حلّ بالمجتمع حتى يضطر الحسين للتضحية

أول عبرة تلفت إنتباهنا في قضية عاشوراء هي أن نلاحظ ماذا حدث بعد خمسين سنة من وفاة الرسول الأعظمﷺ بحيث وصل الحد الى أن يضطر مثل الإمام الحسينعليه السلام الى أن يضحي بنفسه لأجل إنقاذ المجتمع الإسلامي، تارة تكون هذه التضحية بعد ألف عام من صدر الإسلام أو تكون في مركز الدول والشعوب المعاندة للإسلام والمعارضة له وهذا كلام آخر، ولكن الذي يجدر بالبحث والتأمل هو أن تكون هذه الثورة في مركز الإسلام وفي المدينة ومكة (مركز الوحي) وبواسطة الإمام الحسين بن علي عليه السلام بحيث لا يجد وسيلة غير التضحية بنفسه تضحية دموية عظيمة.

إذن فأي وضع كان بحيث يشعر الحسين بن عليعليه السلام أن حياة الإسلام مرهونة بالتضحية بنفسه، وإلا سيفرّط بالإسلام؟

العبرة هنا، نحن يجب أن ننظر ونلاحظ الذي حدث حتى آل الأمر الى أن يصبح شخص كيزيد حاكماً على المجتمع الإسلامي؟ المجتمع الإسلامي الذي كان النبي الحاكم في مكة والمدينة يعطي فيه الرايات بيد المسلمين فيذهبون الى أقصى نقاط جزيرة العرب وحدود الشام ويهددون الإمبراطورية الرومانية ويفرّ جنود العدو أمامهم كذلك ويرجع المسلمون مؤزرين بالنصر (كما حدث في تبوك) كيف أصبح هذا المجتمع الإسلامي الذي كان يعلو في مسجده وشوارعه صوت تلاوة القرآن ويقرأ فيه شخصية كالنبيﷺ الآيات القرآنية بلحنه وأنفاسه ويعظ فيه الناس ويقودهم الى الصراط القويم.

ماذا حلّ بهذا المجتمع وهذا البلد وهذه المدن بحيث ابتعدوا عن الإسلام لدرجة أن يتأمر عليهم شخص كيزيد؟

لماذ يحلّ ظرف بحيث يكون فيه مثل الحسين بن علي عليه السلام مضطراً الى هذه التضحية العظيمة والتي لا نظير لها في التاريخ.

ما الذي حصل حتى وصلوا الى هذه الحالة؟ هذه هي العبرة. يجب أن نبحث هذا الأمر بدقة.

نحن اليوم مجتمع إسلامي. ويجب أن نرى ماهي الآفة التي حلت بذلك المجتمع الإسلامي بحيث أوكل أمره الى يزيد. ما الذي حصل؟ حتى آل الأمر الى رفع رؤوس أولاد أمير المؤمنين عليه السلام على القنا وأن يطاف بها في المدينة التي كان يحكم فيها قبل عشرين سنة !

الكوفة هي نفس تلك المدينة التي كان أمير المؤمنين عليه السلام يتجول في أسواقها، ويحمل سَوطه على عاتقه ليأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر. وهناك كانت تعلو أصوات تلاوة القرآن في أناء الليل وأطراف النهار من المسجد. هذه هي المدينة التي يطاف فيها ببنات وحرم أمير المؤمنين عليه السلام أُسارى في سوقها.

ما الذي حدث حتى وصل الحال الى هنا بعد عشرين عاماً ؟!

مرض المجتمع الإسلامي الخطير

الجواب هو وجود مرض في المجتمع له القدرة على أن يوصل خلال بضع عقود مجتمعات كان يترأسها أمثال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام الى هذا الوضع المأساوي.

إذن فهذا مرض خطير يجب أن نكون على حذر منه. فعندما كان إمامنا العزيز يعد نفسه تلميذاً من تلامذة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فإنّه كان يفتخر بذلك. لقد كان الإمام

يفتخر بأنه قادر على إدراك أحكام النبي ﷺ أُبتلي بعد عدة سنوات بذلك الوضع.

ولذا يجب أن يحذر مجتمعنا من الإبتلاء بهذا المرض. العبرة هاهنا. يجب أن نحدد هذا المرض ونعتبره خطراً جدياً ونتجنب عنه.

وفي نظري فإن نداء عاشوراء هذا أشد فورية لنا اليوم من سائر دروس ونداءات عاشوراء. يجب أن ندرك أيّ بلاء حلّ على المجتمع بحيث يطاف برأس الحسين بن علي عليه السلام السبط الأول في العالم الإسلامي وابن خليفة المسلمين علي بن أبي طالب عليه السلام في نفس المدينة التي كان يتربع والده على منبر الخلافة فيها ومن دون أن يتحرك ساكن يجب أن نفهم كيف جاء أشخاص من تلك المدينة الى كربلاء ليقتلوه هو وأصحابه عطاشى ويسبوا حرم أمير المؤمنين عليه السلام.

آفتان ومرضان للإنحراف

الكلام كثير في هذا المجال. ولكنني أعرض آية قرآنية في مقام الجواب عن هذه التساؤلات. لقد أعطى القرآن الجواب وحدده للمسلمين في آفتين ومرضين. وهذه هي الآية: **﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾**[1].

إذن هناك عاملان هما أساس للضلالة والإنحراف العام، أحدهما الإبتعاد عن ذكر الله والذي يتجلى في الصلاة والعبادة، والذي يعني الغفلة عن الله والمعنويات وفصل الحياة عن المعايير المعنوية، إهمال التوجه الى الله تعالى والذكر والدعاء والتوسل وطلب التوفيق منه، والتوكل عليه وفصل الحسابات الإلهية عن الحياة.

والعامل الآخر هو إتباع الشهوات والملذات، وبعبارة واحدة: السعي وراء الدنيا

---

(١) سورة مريم:٥٩.

والإشتغال بجمع الثروة والمال والوقوع فريسة للشهوات الدنيوية وإعتبارها أساساً ومبدأً ونسيان الأهداف الحقيقية.

هذا مرض رئيسي وخطير ويمكن أن نبتلي نحن به أيضاً. فلو أنّ الحالة المبدئية تزول أو تضعف عندنا وكل منا يفكر بأن ينتزع حصته من الغنيمة حتى لا نتخلف في دنيانا عن الآخرين، ويقول في نفسه أن الآخرين قد جمعوا لأنفسهم ويجب أن نذهب نحن أيضاً لنجمع لأنفسنا ونضع مصالحنا فوق مصالح المجتمع.

فمن المعلوم حينئذ أن يصل بنا الحال الى ذلك الوضع. فسر وجود النظام الإسلامي وبقاءه وتطوره هو الإيمان والهمم العالية والإهتمام بالمبادئ وإحياءها. ومعلوم أنّ توهين الأهداف واللامبالاة في أُصول الإسلام والثورة وفهم كل الأُمور والتعامل معها بذهنية مادية سوف يصل بالمجتمع الى تلك الوضعية.

ولهذا السبب إبتلي بها أُولئك الناس، ففي وقت كان المسلمون يهتمون بتطوير الإسلام ورضا الله وتعليم الدين والمعارف الإسلامية والإطلاع على القرآن والأُنس بمعارفه، وكان الجهاز الحكومي والإداري للبلاد جهازاً زاهداً في الدنيا نقياً، لا يعير أهمية لزخارف الدنيا والشهوات الشخصية، فكانت النتيجة حينذاك تلك الحركة العظيمة التي توجه الناس فيها الى ربهم.

في تلك الوضعية يبرز مثل علي ابن أبي طالب عليه السلام خليفة للمسلمين ومثل الحسين بن علي عليه السلام شخصية مرموقة.

والسبب هو أنّ تلك المعايير تتجسد فيهم أكثر من غيرهم. عندما يكون المعيار هو الله والتقوى والإعراض عن الدنيا والجهاد في سبيل الله، فإن الذي يتواجد في الساحة حينئذ هم الأفراد الواجدون لهذه المعايير. هؤلاء هم الذين يأخذون مقاليد الأمور بأيديهم ويصبح المجتمع مجتمعاً إسلامياً.

ولكن عندما تتبدل المعايير الإلهية فسوف يستلم الأمور كل مَنْ هو أحرص على الدنيا وأشد في إتباع الشهوة وتحصيل المنافع الشخصية وأبعد عن الصدق والحقيقة، حينذاك تكون النتيجة صيرورة أمثال عمر بن سعد والشمر وعبيد الله بن زياد أُمراء، وذهاب أمثال الحسين بن علي عليه السلام الى المذبح وإستشهاده في كربلاء وهذه قضية منطقية فـ (٢+٢=٤).

لا ينبغي أن يسمح الأشخاص الحريصون بتبدل المعايير في المجتمع. فلو أُبدل معيار التقوى في المجتمع فمما لا شك فيه أن يراق دم إنسان تقي كالإمام الحسين بن علي عليه السلام.

ولو أنّ الدهاء والانغماس في الشؤون الدنيوية والإيقاع بالآخرين والدجل وعدم الإهتمام بالقيم الإسلامية،اعتبرت ملاكاً في الأفضلية، فإن شخصاً كيزيد يجب أن يكون على رأس السلطة ويجب أن يصبح شخص مثل عبيد الله الرجل الأول في العراق.

لقد كان همّ الإسلام هو تغيير هذه المقاييس وكل همّ ثورتنا كان الوقوف بوجه هذه المقاييس المادية العالمية الباطلة والخاطئة وتغييرها.

أثر التخلي عن القيم والفضائل: حاكميّة يزيد

دنيا اليوم هي دنيا الدجل والقوة وإتباع الشهوات ودنيا تفضيل القيم المادية على القيم المعنوية. هكذا هي الدنيا ولا يختص الأمر بأيامنا هذه. فلقرون متمادية كانت المعنويات تتجه نحو الضعف والأُفول. لقد سعى المستكبرون لمحو المعنوية.

أصحاب القدرة وعبدة المال والأثرياء نسجوا نظاماً وبساطاً مادياً ترأسه قوة عظمى كأمريكا أكثر الجميع دجلاً ومكراً وأقلهم رعاية للفضائل الإنسانية ورحمة بالبشرية.

هكذا قدرة في الرأس ويليها أصدقاؤها على الترتيب هذا وضع الدنيا. الثورة الإسلامية تعني بعث الإسلام من جديد وإحياء مبدأ ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[١] والثورة جاءت لتحطيم هذا الترتيب العالمي الخاطئ وتنشىء مكانه ترتيباً جديداً.

لو كان الترتيب العالمي ترتيباً مادياً فلا ريب في مجيء أفراد فاسدين، أتباع شهوات، ضالين وأشقياء مثل محمّد رضا على رأس الأمور، وحينئذ ينبغي أن يكون شخص فاضل ومُتنوّر مثل الإمام في السجن أو المنفى. فليس للإمام مكان في مجتمع بهذا الوضع.

عندما تسود القوة والفساد والكذب والرذيلة فإن إنساناً فاضلاً وصادقاً ونيراً وعارفاً ومتوجهاً الى الله إما أن يكون في السجون أو في المقاصل والمجازر.

وعندما يترأس الأمور شخص كالإمام فمعنى ذلك قلب الأوراق، وانزواء أتباع الشهوات وحب الدنيا والتعلق بها والفساد، ومعناه عودة التقوى والزهد والصفاء والنورانية والجهاد والحرص على الناس والرحمة والمروءَة والأُخوة والإيثار والصفح عن الآخرين.

عندما يحكم الإمام فإن هذه الخصال والفضائل سوف تسود في المجتمع، وهذه القيم هي التي سوف تطرح للناس. إذا حافظتم على هذه القيم فسوف يبقى نظام الإمامة، وحينئذ لن يؤتى بأمثال الحسين بن علي عليه السلام الى المذبحة.

ولكن كيف إذا تخلينا عن هذه الأمور؟ كيف إذا فقدنا الروحية؟ وكيف إذا انشغلنا بأمور الرفاهية الشخصية بدلاً من التوجه الى الوظيفة والتكليف والهدف الإلهي؟ كيف إذا أجبرنا الشاب (التعبوي) المؤمن والمخلص على الإنزواء وهو لا يريد منا سوى

(١) سورة الحجرات:١٣ .

تهيئة ساحة يجاهد بها في سبيل الله، وسلّطنا على الأُمور أفراداً ذوي وقاحة وجشع، وطمّاعين خبثاء؟ في هذه الحالة سيتبدل كل شيء.

فلو كانت الفترة الفاصلة بين رحلة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وشهادة فلذة كبده في صدر الإسلام خمسين سنة فمن الممكن أن تكون هذه الفترة أقصر بكثير في زماننا هذا، وترتقي الفضائل وأصحاب الفضيلة على المقاصل بسرعة أكبر. يجب أن لا نسمح بوقوع أمر كهذا. يجب أن نواجه الإنحراف الذي يمكن أن يفرضه أعداؤنا علينا. هذا هو الإعتبار من عاشوراء[١].

---

(١) من كلمة ألقاها في بتاريخ ١٣ محرم ١٤١٣هـ

نظرة إلى دقائق التاريخ

إنّ قضية الإمام الحسين عليه السلام عبرة لنا، والعبرة أن يرى الإنسان كيف أنّ الحسين بن علي عليهما السلام الّذي كان يجلس على كتف رسول الله صلى الله عليه وآله أمام أنظار المسلمين، يُقتل بتلك الصورة الفجيعة بعد مرور نصف قرن من ذلك. فهذا الطفل الّذي يُبجَّل إلى هذا المدى من قبل النبيّ صلى الله عليه وآله أمام أعين النّاس، ولم يقل النبي صلى الله عليه وآله في حقّه إنّني أُحبّه فحسب ـ فالإنسان قد يحبّ شخصاً اليوم لكن قد يخرج حبّه من قلبه غداً لمشكلة بينهما ـ بل قال صلى الله عليه وآله : "**سيدا شباب أهل الجنّة**"، والجنّة ثمرة لعاقبة العمل، فقد يكون الكثير صالحين في وسط الطريق لكنهم يتهاوون في النهاية، فعندما يقال: سيد شباب أهل الجنّة، فمعناه أنك تذهب من الدّنيا سيّداً ومحبوباً عند الله وتصبح سيّد شباب أهل الجنّة، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله ذلك بحقّ الحسن والحسين عليهما السلام ، في حين أنّ هذه الأُمّة قتلت الحسين بن علي عليهما السلام بتلك الصورة الفجيعة أمام أعين الّذين رأوه على كتف النبيّ صلى الله عليه وآله.

أليس من الهزل أن تساق بنات رسول الله صلى الله عليه وآله في الأسواق والطرقات وتهان إمرأة كزينب عليها السلام ، فكيف آلَ الأمرُ إلى هذا الحدّ؟

إنّها عبرة، وأعظم من درس. إنّها نظرة إلى أعماق الروح ودقائق التاريخ والأحداث.

الحسين عليه السلام والارتداد

إنّ زينب الكبرى عليها السلام قد أشارت في الكوفة إلى هذا المرض (الردّة والارتداد) فقالت: "**إنّما مثلكم كمثل الّتي نقضت غزلها من بعد قوّة انكاثاً**"، وهذا هو الارتداد.

أي أنّ الخطر متربّص بأُمّة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله بمقدار ما كان متربّصاً بأُمّة موسى عليه السلام. وإنّكم ـ ولله الحمد ـ فقد رأيتم الإمام (ره) عن قرب، ورأيتم كيف كان الإمام الخميني (ره) وببيان يهيب بالشعب على إنجاز عمل ما، وتتذكّرون ما كان يحدث عندما كان الإمام (ره) يقول شيئاً في الحوادث المهمّة. فمثلاً لو ضاعفنا شخص الإمام (ره) إلى ما لا نهاية، لأصبح النبي صلى الله عليه وآله هذا الإنسان المتّصل بالوحي الإلهي والعالم بجميع الحوادث الصغرى والكبرى، وكانت توحى إليه الآيات القرآنيّة، لكن على الرغم من أنّه صلى الله عليه وآله بنى المجتمع بكلّ صراحة ووضوح ودون أدنى إبهام إلّا أنّه وقع بعده ارتداد فجيع وأليم لا يُنسى في التاريخ أبداً.

فهذه هي جرثومة الردّة والارتداد[١].

---

(١) من كلمة ألقاها في بتاريخ ٣ شعبان ١٤١٥هـ

سبب واقعة كربلاء

إنّ العامل الرئيس في وقوع هذه القضيّة هو استشراء حبّ الدنيا والفساد والفحشاء بحيث سلبت الغيرة الدينية والشعور بالمسؤولية الإيمانية، فإنّنا عندما نؤكّد على قضيّة الفساد والفحشاء، والجهاد والنهي عن المنكر وأمثال هذه الأمور، فإنّ أحد أسبابها الرئيسية هو تسبّبها في تخدير المجتمع، فالمدينة المنوّرة التي كانت القاعدة الأولى لتأسيس الحكومة الإسلامية تحوّلت بعد فترة قصيرة إلى مركز لأفضل الموسيقيين والمغنّين وأشهر الراقصات، بحيث عندما كان يراد دعوة أفضل المغنّين إلى بلاط الشام، كانوا يبعثون على أفضل المغنّين والعازفين في المدينة.

وهذا التجاسر لم يحدث بعد مائة أو مائتي عام، إنّما في زمان استشهاد بضعة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وقرّة عين الرسول ﷺ، بل حتى قبل ذلك، أي في زمن معاوية، ولهذا أصبحت المدينة مركزاً للفساد والفحشاء، ووقع أبناء الشخصيات والأعيان حتّى بعض شباب بني هاشم في الفساد والفحشاء أيضاً، وقد أدرك رجال الحكومة الفاسدة ما يجب فعله ووضع البنان عليه والترويج له، وهذه البلية لم تنفرد بها المدينة فقط، بل وقعت فيها مناطق أُخرى.

ومن هنا تظهر أهمية التمسّك بالدين والتقوى والمعنوية والورع والعفة، ولأجل ذلك كنّا نكرّر ونكرّر لصفوة شباب هذا العصر توصياتنا وتأكيداتنا بالحذر من تيّار الفساد.

إنّ الباري تعالى قد حفظ ـ ولله الحمد ـ قداسة ومعنوية هذه الثورة إلى اليوم، فالشباب أطهار وأتقياء، لكن اعلموا أنّ زينة الدنيا وبهرجها أمر خطير ، تهزّ القلوب

الراسخة وتزلزل الأقوياء، فيجب الصمود أمام هذه الوساوس، وهذا هو ما يعبّر عنه بالجهاد الأكبر، فلقد أدّيتم الجهاد الأصغر بالصورة المطلوبة، وبلغتم اليوم هذه المرحلة، فعليكم بأداء الجهاد الأكبر على النحو المطلوب أيضاً.

إنّ الأعداء يرغبون في إلهاء الشعوب الإسلامية بعيش يسوده الذلّ والغفلة والغرق في مستنقع الفساد والرضوخ لسلطة الأجانب، مثلما كان عليه شعبنا قبل الثورة، وما عليه كثير من شعوب العالم اليوم.

سبب آخر لواقعة كربلاء

العامل الآخر الذي أدّى إلى وقوع هذا الأمر ـ حيث يشاهد الإنسان هذا المعنى في حياة الأئمة (عليهم السلام) ـ هو إعراض وعدم اهتمام اتباع الحقّ الذين كانوا يشكّلون الأركان الحقيقيّة للولاية والتشيّع بمصير العالم الإسلامي، فقد تظاهر البعض بالحماس والثورة فترة، فضايقهم الحكّام، كقضيّة الهجوم على المدينة في عهد يزيد، حيث ثار هؤلاء ضدّ يزيد، فبعث إليهم رجلاً ظالماً قام بمقتلة عظيمة، فتركت هذه الجماعة كل شيء جانباً ونست القضية، وهذه الجماعة لم تشمل كلّ أهل المدينة، وكانت الخلافات قائمة بينها، فافتقدوا إلى الوحدة والتنظيم والارتباط الكامل بين الأفراد، أي عملوا خلافاً للتعاليم الإسلامية تماماً، وكانت النتيجة أنّ هاجمهم العدو بكل شراسة، فتراجع هؤلاء في أول خطوة.

وهذه نقطة مهمة؛ لأنّ من البديهي أن تتقاتل جبهتا الحقّ والباطل وتوجّهان الضربات إلى بعضهما البعض، فكما أنّ جبهة الحقّ توجّه الضربات إلى الباطل، كذا الباطل يوجّه الضربات إلى جبهة الحقّ، فتتبادل الضربات، وتظهر نتيجته عندما تتعب إحدى الجبهتين، فالجبهة التي تتعب بشكل أسرع تنهزم.

إنّ رمز استمرار تعاليم الأنبياء منذ البداية حتّى النهاية هو كلمة التوحيد والفضائل

والقيم الدينية التي كرّروها، وقد ملئت الدنيا بهذه التعاليم اليوم، وأينما تلقون أبصاركم تجدون تعاليم الأنبياء رغم القمع الذي واجهه الأنبياء عدا بعض منهم، فقد آذوا موسى عليه السلام كثيراً، وطاردوا عيسى بن مريم عليه السلام وضيّقوا عليه، لكن رغم كلّ ذلك بقيت تعاليمهم إلى يومنا هذا، والسرّ الرئيسي هو عدم تقهقر الأنبياء عليهم السلام، وهزيمة أحدهم لم تسبّب تراجع الآخر عن محاربة الباطل، فقد تلقّى جميع الأنبياء عليهم السلام في حياتهم ـ عدا البعض منهم ـ الضربات من الأعداء، لكن كانت نتيجة عمل هذه المجموعة ـ الذين إمّا أن قتّلوا أو حرّقوا أو سجنوا أو قطّعوا بالمناشير وهم أحياء، أو عذّبوا من قبل المتسلّطين ـ أنّ العالم يعيش اليوم تحت ظلّ تعاليم الأنبياء (عليهم السلام) وتعاليمهم مطروحة أينما تذهبون، وكلّ الأخلاق الحسنة والمسمّيات الجميلة كالعدالة والصلح و... سببها تعاليم الأنبياء عليهم السلام، والسرّ في ذلك هو عدم شعورهم بالتعب وتقهقرهم.

لكن هذه القاعدة كانت مفقودة في عهد الإمام الحسين عليه السلام وفي ذلك المقطع من تاريخ الإسلام الذي وقعت فيه الكثير من الفجائع؛ وذلك لعدم وجود ارتباط وعلاقة بينهم، وشعورهم بالهزيمة والتعب سريعاً، وإخلائهم الساحة ليتقدّم العدوّ[1].

---

(١) من كلمة ألقاها بمناسبة ولادة أبي الأحرار الحسين بن علي عليه السلام في: ٣ شعبان ١٤١٦ هـ

الماضي مثالاً للحاضر

ولكن قد يأتي البعض ويتفلسف بأن الماضي لا يمكن أن يكون مثالاً للحاضر. هذه الآراء يثيرها البعض ويتصور أنه قادر على صياغتها كاطروحة فلسفية، لكنه لا يستطيع ذلك! ولا شأن لنا بأمثال هؤلاء.

القرآن صادق مصدّق وهو يدعونا إلى استقاء العبرة من التاريخ.

والاعتبار بالتاريخ يعني حالة القلق، لأن التاريخ تكتنفه أُمور لو أردنا الاعتبار بها لساورتنا بعض الهواجس، وهذه الهواجس ذات صلة بالمستقبل، ولكن لماذا؟ وما سبب هذه الهواجس؟ وما الذي جرى عبر التاريخ؟

الواقعة التي حدثت كانت في صدر الإسلام. والأُمة الإسلامية حريّ بها أن تفكر في السبب الذي وصل بالبلاد الإسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله بخمسين سنة فقط إلى أن يجتمع أبناؤها من وزير وأمير وقائد وعالم وقاضي وقارئ للقرآن في الكوفة وكربلاء، ويمزقوا كبد رسول الله صلى الله عليه وآله بتلك الطريقة الفجيعة.

على الإنسان أن يطيل النظر في الأسباب التي انتهت إلى تلك الحالة.

ماذا حصل في كربلاء

إنّ الأُمور وصلت إلى الحد الذي جعلهم يأتون بحرم الرسول الأكـرم ﷺ إلى الشوارع والأسواق أمام انظار الناس ويسـمونهم بِسـمة الخـوارج. والخـوارج فـي الإسلام مصطلح يطلق على من يخرج على الإمام العادل ويشق عليه عصا الطاعة، ويستحق لعنة اللّه ورسوله والمؤمنين، هذا هو معنى الخوارج. ولهـذا السـبب كـان المسلمون آنذاك يتنفّرون من الخوارج **«من سلّ سيفه فدمه هدر»**[١]، هذا مع أنّ الإسلام يولي أهمية فائقة لدماء الناس.

لقد أشاعوا أن سبط رسول اللّه، ابنَ فاطمة وابن أميرالمؤمنين، خارج على الإمام العادل ـ وذلك الإمام العادل هو يزيد بن معاوية ـ وصدّقهم الناس!!

إنّ أفراد السلطة الحاكمة أُناس ظلمة يقولون ما يحلو لهم، ولكن لماذا يصدّقهم الناس؟ ولماذا يلتزمون الصمت أزاءهم؟ إن ما يثير هواجسي هو هذا الجـانب مـن القضية، لماذا وصلت الأُمور إلى هذا الحد؟ ولماذا أُصيبت الأمة الإسلامية وهي على تلك الدرجة من التدقيق في تفاصيل الأحكام الإسـلامية والآيـات القـرآنـية، لمـاذا أصيب بهذه الحالة من الغفلة والتهاون والتراخي الذي انتهى إلى بروز فاجعة كهذه؟ هذه المسألة تشغل فكر الإنسان.

وهل نحن أقوى عزماً وأشد شكيمة من مجتمع عهد الرسول الأعظم ﷺ وعهد أميرالمؤمنين عليه السلام وماذا نفعل حتى لا يجري مثلما جرى ؟

---

(١) نوادر الراوندي: ١٧١.

طبعاً السؤال الذي أثرته حول تلك الأسباب، لم يجب عليه أحد، ولكن جوابه عندي.

وأُشير إلى أن أحداً لم يتحدث في هذا الموضوع؛ أو أنهم قد تحدثوا حوله ولكن ليس بالشكل الوافي والكافي.

ماذا حصل في مجتمع النبي حتى ذبحوا ابنه ؟

إذا لم نقف أنا وأنتم بوجه الرذائل والإنحرافات، فلا تعجبوا إذا رأيتم مجتمعنا الإسلامي وصل إلى تلك الحالة التي كانت في المجتمع الإسلامي في عهد الحسين عليه السلام، ربما بعد خمسين سنة أو بعد خمس سنوات أو بعد عشر سنوات، إلّا إذا كانت هناك أبصار حادّة تسبر أغوار الأُمور، وعين أمينة تدل على الطريق، وأصحاب فكر يوجهون الأُمور، وإرادة صلبة تساند هذا المسار، ليتكون عند ذاك ساتر متين وقلعة حصينة لا يستطيع أحد اختراقها، وإلّا فستتكرر الحالة ذاتها فيما إذا أهملنا، وعندها ستذهب كل هذه الدماء هدراً.

بلغت الأُمور في ذلك العهد حداً تربع فيه أبناء وأحفاد من قُتلوا يوم بدر على يد أميرالمؤمنين عليه السلام وحمزة وبقية قادة الإسلام، في مكان الرسول، ووضع أمامه رأس مهجة رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وصار يضرب على ثناياه بعود من الخيزران وينشد:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

هنا يأمر القرآن بالاعتبار ويقول: **﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾**[1] انظروا ما الذي وقع، والتزموا جانب الحذر.

ولأجل أن يسري هذا المعنى إن شاء اللّه في الثقافة الحالية لبلدنا على يد

---

(١) سورة الروم:٤٢.

المفكرين والباحثين وأصحاب الرأي، سأتعرض إليكم باقتضاب لهذا الموضوع.

أقسام الناس في المجتمعات إذا نظرتم إلى المجتمع البشري؛ أي مجتمع كان، وفي أية مدينة أو بلد، تجدون الناس فيه يُقسمون ـ من وجهة نظر معينة ـ إلى فئتين:

فئة تسير عن فكر وفهم ووعي وإرادة، وهي تعرف طريقها وتسلكه ـ ولا يهمنا في المقام أنّ هذه الفئة على صواب في مسلكها أو أنه مسلك خاطئ ـ هذه الفئة يمكن تسميتها بالخواص.

وفئة أُخرى لا تنظر لترى ما هو الطريق الصحيح، وما هو الموقف الصائب، ولا يهمّها أن تفهم وتحلّل وتقيس وتدرك، بل تتبع الجو السائد والهوى العام، ولنُسَمِّ هذه الفئة بالعوام، إذن فالمجتمع يمكن تصنيفه إلى خواص وعوام. دققوا النظر، أريد الاشارة إلى نقطة بشأن العوام والخواص ويجب أن لا يقع فيها أي إلتباس.

أثر الخواص والعوام

من هم الخواص؟ هل هم طبقة خاصّة؟ كلا لأن هذه الفئة التي نسمّيها بالخواص تضم بين أفرادها أشخاصاً متعلمين وآخرين غير متعلمين، فقد يكون أحياناً بين الخواص شخص غير متعلم لكنه يفهم ما ينبغي عليه فعله، وهو يعمل وفقاً لتخطيط وإرادة حتى وإن لم يكن قد دخل المدرسة أو لديه شهادة أو يرتدي زي العلماء، لكنه متفهم لحقيقة الأُمور.

في أيام اندلاع الثورة ـ وقبل انتصارها ـ كنت في المنفى في مدينة «إيرانشهر» وكان في إحدى المدن القريبة منها عدّة أشخاص من بينهم سائق، كان هؤلاء الأشخاص من ذوي الثقافة والمعرفة، رغم أنهم يصنّفون ظاهرياً في عداد العوام، إلّا أنهم في الحقيقة كانوا من الخواص؛ كانوا يأتون للقائنا في إيرانشهر بشكل منتظم، وينقلون لي حوارهم مع عالم الدين في مدينتهم، وقد كان الآخر رجلاً طيّباً إلّا أنه كان من العوام!

لاحظوا، سائق الشاحنة من الخواص، بينما ذلك العالم المبجّل إمام الجماعة كان من العوام! كان العالم يقول: لماذا حينما يذكر اسم النبي صلى الله عليه وآله تصلّون عليه مرّة واحدة، في حين إذا ذكر اسم السيد الخميني تصلّون على النبي ثلاث مرّات؟ ألا تفهمون؟! فكان السائق يرد عليه بالقول: يوم نفرغ من المجابهة، يوم يكون الإسلام قد ساد كل الأرجاء، وإذا انتصرت الثورة فإنا سنترك الصلاة عند ذكر اسم الخميني، ثلاث مرّات، بل لا نصلي ولا مرّة واحدة؛ هذه الصلوات الثلاثة أسلوب من أساليب المجابهة. لاحظوا أنّ هذا الرجل يفهم مع أنه سائق، لكن ذلك العالم لا يفهم.

ذكرت هذا المثال لتعلموا أننا حينما نقول الخواص، فلا يعني ذلك أنهم فئة ترتدي زيّاً بعينه؛ فقد يكون رجلاً وقد يكون إمرأة، وقد يكون ثرياً وقد يكون فقيراً، وقد يكون من العاملين في الأجهزة الحكومية وقد يكون من المعارضين لأجهزة الحكومة الطاغوتية. وكلمة الخواص نقصد بها طبعاً الصالح والطالح منهم، ثم إننا سنصنّف الخواص إلى أقسام أُخرى أيضاً.

الخواص هم الذين عندما يؤدون عملاً يتخذون موقفاً، والنهج الذي يختارونه، يختارونه عن فكر وتحليل، أي أنهم يفهمون ويقررون ويعملون. هؤلاء هم الخواص. والذين يقفون في الجانب المقابل لهم هم العوام.

العوام هم الذين يسيرون مع مسير الماء، ليس لديهم تحليل للمواقف، حينما يشاهدون الناس يهتفون «يعيش» يهتفون معهم، وحينما يهتف الناس «الموت لـ..» يرددون نفس الهتاف. عندما تكون الأجواء في وضع معين يأتون هنا، وحينما تكون على منوال آخر يذهبون هناك!

نفترض أنّ مسلم بن عقيل دخل الكوفة، تراهم يقولون: لقد وفد ابن عم الإمام الحسين عليه السلام، لقد جاء مبعوث بني هاشم، وهو عازم على الثورة والنهوض،

فيُستثارون ويلتفون حوله ويبايعونه؛ بايعه ثمانية عشر ألفاً. وبعد خمس أو ست ساعات دخل رؤساء القبائل إلى الكوفة وقالوا للناس: لماذا اتخذتم هذا الموقف؟ عمّن تريدون الدفاع؟ وضد من؟ إنكم ستدفعون الثمن غالياً! إنسحب أولاً زعماء القبائل كل إلى داره. وبعدما حاصر جنود ابن زياد دار طوعة للقبض على مسلم، إنبرى أولئك الناس أنفسهم لمحاربة مسلم! هؤلاء هم العوام. سلوكهم لا ينطلق عن تفكير، ولا ينبثق عن تشخيص، ولا هو قائم على تحليل صائب، بل يتحركون وفقاً لما يمليه الجو العام.

إذن في كل مجتمع هناك خواص وهناك عوام. لنترك قضية العوام جانباً، ونبحث في وضع الخواص.

أقسام الخواص

ويُقسم الخواص طبعاً إلى فريقين: خواص فريق الحق، وخواص فريق الباطل، أليس كذلك؟ أهل الثقافة والفكر والمعرفة منهم يعملون لصالح جبهة الحق. عرفوا الحق، وعلموا أنّ الحق مع هذا الجانب فهم يتحركون ويعملون لأجله، إذن فهم يعرفون الحق، وقادرون على تشخيصه، هؤلاء يمثلون فريقاً. أمّا الفريق الآخر فهم الذين يقفون على الطرف الضد لطرف الحق.

وإذا ماعدنا إلى صدر الإسلام ثانية؛ فهناك فريق أصحاب أميرالمؤمنين والإمام الحسين عليه السلام وبني هاشم. وفريق آخر هم أصحاب معاوية، كان فيهم من الخواص، كان فيهم أشخاص أذكياء من ذوي الرأي والتدبير يناصرون بني أمية، وهؤلاء من الخواص أيضاً.

إذن خواص كل مجتمع على نمطين: الخواص من أنصار الحق، والخواص من أنصار الباطل. وماذا ترجون من الخواص المشايعين للباطل؟ لا تتوقعوا منهم سوى

التآمر ضد الحق وضدكم. وهذا ما يفرض عليكم محاربتهم؛ حاربوا الخواص من أنصار الباطل، هذا أمر لا نقاش فيه.

خواص أنصار الحق

نأتي الآن إلى الخواص من أنصار الحق، وأنا أتحدث إليكم الآن، انظروا إلى أنفسكم لتروا في أي موضع أنتم. وحينما نقول أنّ الأصل هو الفكر والاتباع عن رؤية لا نخلط بين التاريخ والقصّة، التاريخ وجه آخر لسيرتنا الذاتية.

التاريخ معناه أنا وأنتم، معناه نحن الموجودون اليوم هنا. وإذا كنا نحن الذين نقوّم ونشرح التاريخ، فلابدّ أن ينظر كلّ منا محله من هذه القصّة، وفي أي موضع منها. ثم لنرى ما الذي فعله من كان يومذاك في مثل موضعنا حتى كان نصيبه الخسران، لخطئه؟ حتى لا نقع في الخطأ نفسه. مثل ما هو متعارف في دروس التعليم العسكري، يفرض جهة معادية، والأُخرى جهتنا، ثمّ يلاحظ خطأ خطة جهتنا.

وتجدون أنّ العقل الذي وضع الخطّة قد أخطأ في هذا المكان، إذن حينما تريدون أنتم وضع الخطّة يجب أن لا تقعوا في ذلك الخطأ نفسه. أو يفرض أنّ الخطة كانت صحيحة إلا أنّ الآمر أو المخابر أو المدفعي أو المراسل أو جندياً عادياً في جبهتنا ارتكب خطأ، تدركون أنتم وجوب عدم الوقوع في ذلك الخطأ. هكذا هي مسيرة التاريخ. والآن عليكم العثور على ذاتكم في هذا المشهد الذي أتحدث عنه في صدر الإسلام.

بعض الناس من طبقة العوام، ولا قدرة لهم على اتخاذ القرار، وأمرهم منوط بالفرصة المتاحة أمام الخواص، فإذا صادف أن كانوا في زمن يتصدى لزمام الأُمور إمام ـ كالإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، أو كالإمام الراحل (ره) ـ ويسير بهم نحو الجنّة، فخير

على خير.

وأمثال هؤلاء يسوقهم الصالحون، وينتهي بهم الأمر إن شاء اللّه إلى الجنّة. أما إذا صادف وعاشوا في زمن من يصفهم القرآن بقوله: **﴿وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾**[١] أو **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾**[٢]، يكون مصيرهم إلى النار.

إذن احذروا أن تكونوا من العوام، ولا نقصد بكلامنا هذا وجوب اكمال مراحل دراسية متقدمة، أبداً، وقد قلت أن معنى العوام ليس هذا؛ فما أكثر الذين أنهوا مراحل دراسية عليا، لكنهم يُحسبون في عداد العوام، وما أكثر من درسوا العلوم الدينية وهم من العوام، وما أكثر الفقراء أو الأغنياء الذين يدخلون في عداد العوام. إنّ صفة العوام رهن إرادتي وإرادتكم، ولهذا علينا أن ننتبه ولا نكون من العوام، أي يجب أن يكون كل فعل نفعله، عن بصيرة، ومن لا يعمل عن بصيرة فهو من العوام، ولهذا ورد في القرآن الكريم على لسان رسول اللّه ﷺ **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِى أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِى وَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**[٣].

إذن انظروا أولاً هل أنتم من فئة العوام أم لا؟ فإذا كنتم من تلك الفئة فسارعوا إلى الخروج منها، حاولوا أن تكون لكم قدرة على التحليل والدراية والمعرفة.

أمّا إذا كنا في عداد الخواص، فلنرى هل نحن من خواص أنصار الحق أم من خواص أنصار الباطل؟ والمسألة هنا واضحة؛ فالخواص في مجتمعنا من أنصار الحق بلا ريب، لأنهم يدعون الناس إلى القرآن وإلى السنة وإلى العترة وإلى سبيل اللّه، وإلى

---

(١) سورة القصص: ٤١ .

(٢) سورة إبراهيم: ٢٨ .

(٣) سورة يوسف: ١٠٨ .

القيم الإسلامية، هذه هي طبيعة الجمهورية الإسلامية. إذن فلا نتحدث الآن عن الخواص من أنصار الباطل ولا شأن لنا بهم حالياً، بل تمام الكلام في الخواص من أنصار الحق، والمشكلة كلها تبدأ من هنا.

أقسام أنصار الحق

إعلموا يا أعزائي أنّ خواص أنصار الحق يُقسمون إلى فريقين:

الفريق الأول هم الذين يتغلبون في الصراع مع مغريات الدنيا والحياة من الجاه والشهوة والمال واللذة والرفاه والسمعة. والفريق الآخر هم الذين يخفقون في هذا الصراع. هذه ـ أي اللذة والسمعة والجاه وما شابه ـ كلها أمور حسنة، وكلها من مباهج الدنيا **﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾**[(١)].

والقرآن حينما يصفها بأنها متاع الحياة الدنيا فلا يعني ذلك أنها قبيحة، فالمتاع جعله الله ليتمتّع به الإنسان؛ ولكن إذا انغمس فيها إلى الحد الذي يعجز معه عن اجتنابها فيما إذا استدعت التكاليف الصعبة منه ذلك، فهذا شيء، وإذا استمتع فيها إلى الحد الذي يستطيع معه الكف عنها بكل سهولة عند حصول أي امتحان عسير، فهذا شيء آخر.

هذه الأُمور تستدعي إعمال النظر فيها، وتستلزم الدراسة والدقّة؛ لأن أفراد المجتمع، والنظام، والثورة لا يمكن ضمان مستقبلهم اعتباطاً، فكل مجتمع يوجد فيه هذان النمطان من أنصار الحق. إذا كان الفريق الصالح منهما، أي الذين يستطيعون عند

---

(١) سورة آل عمران : ١٤ .

الحاجة الانتهاء عن متاع الدنيا، هم الأكثر، فلن يقع المجتمع بما وقع فيه على عهد الإمام الحسين عليه السلام، وكونوا على ثقة أنّ المستقبل سيكون مضموناً إلى الأبد.

أما إذا كانوا قلّة، وكان ذلك الفريق من الخواص، أي المناصرين للحق ولكن في الوقت نفسه تنهار معنوياتهم أمام المغريات الدنيوية، بما فيها من ثروة، ودار وشهرة ومنصب وجاه، والذين يعرضون عن سبيل اللّه لأجل أنفسهم، فيلتزمون الصمت حيثما يجب قول الحق، حفاظاً على أرواحهم أو مناصبهم أو أعمالهم أو ثرواتهم أو لحب الأولاد والأسرة والأقارب والأصدقاء، هؤلاء إذا كانوا هم الكثرة، فالويل الويل حينئذ، عندها ينزل السائرون على خطى الحسين عليه السلام إلى أرض الشهادة ويقادون إلى مسالخ الذبح، ويتسلط أتباع يزيد على مقاليد الأُمور، وسيحكم بنو أمية الدولة التي أسسها رسول اللّه صلى الله عليه وآله ويطول حكمهم ألف شهر، وتتحول الإمامة إلى ملك وسلطان !

المجتمع الإسلامي مجتمع الإمامة، أي يكون الإمام فيه على رأس السلطة وهو الشخص الذي يكون بيده زمام الأُمور، والناس ينقادون له انقياداً قلبياً نابعاً من الإيمان.

أما السلطان فهو على خلاف ذلك؛ يحكم الناس بالقهر والغلبة، والناس لا يعتقدون به ولا يقبلون حكمه ولا يميلون إليه، والمقصود من الناس هنا ذوو الفهم والوعي.

لقد بدّل بنو أمية الإمامة في الإسلام إلى سلطنة وملكية، وحكموا هذه الدولة الإسلامية الكبرى ألف شهر أي تسعين سنة. حينذاك وضعت أُسس بناء هشّ انتهى إلى الثورة ضد بني أُمية الذين انقرضوا وجاء من بعدهم بنو العباس، وحكموا العالم الإسلامي ستة قرون أي ستمائة سنة على أساس أنهم خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله !

بنو العباس الذين كان خلفاؤهم أو بتعبير أدق ملوكهم يمارسون الفساد والفسق

وشرب الخمور والفجور والفحشاء والخبائث وجمع الثروات واللهو والملذات وآلاف أنواع المفاسد الأُخرى، كانوا يحضرون المساجد أيضاً ـ كما هو حال سائر الملوك في العالم ـ ويأمّون الناس في الصلاة. وكان الناس يصلون خلفهم اضطراراً ـ وإن لم يبلغ اضطرارهم ذلك الحد ـ أو من باب الاعتقاد المغلوط، وهو ما أدى بالنتيجة إلى تخريب معتقدات الناس!

إذا أصبح الخواص المناصرون للحق في مجتمع ما ـ كلهم أو أكثرهم ـ يخافون على حياتهم وعلى فقدان الأموال والمناصب والجاه والمكانة الاجتماعية ويخشون العزلة، بسبب تعلقهم بالدنيا، حينذاك لا يناصرون الحق ولا يضحّون بأنفسهم. وحينما تصير الأُمور إلى هذا الحال ، حينئذ يقع في طليعة الأُمور استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بتلك الصورة المأساوية، ويكون آخرها تسلط بني أُمية والعصابة المروانية ومن بعدهم بنو العباس، ثم سلسلة السلاطين الذين حكموا العالم الإسلامي إلى يومنا هذا.

انظروا اليوم الى العالم الإسلامي، وإلى مختلف البلدان الإسلامية، انظروا إلى محل بيت اللّه والمدينة المنورة ولاحظوا من يحكمهما، وهكذا في بقية الأماكن. ومن هنا تقولون في زيارة عاشوراء: «**اللّهم العن أول ظالم ظلم حق محمّد وآل محمّد**»[1]، وهذه هي الحقيقة.

حسناً، اقتربنا شيئاً من تحليل واقعة عاشوراء ذات العبر الكثيرة، وبعدما سمعتم هذه المقدّمة ننتقل إلى التاريخ.

بدأ انزلاق الخواص المؤيدين للحق بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بست أو سبع أو ثمان سنوات، وحديثي هنا مع غض النظر عن مسألة الخلافة تماماً، قضية الخلافة

---

(١) مصباح المتهجد: ٧٧٦.

على حدة، بل أتحدث الآن حول هذا النهج بسبب ما يتصف به من خطورة. القضايا بأجمعها وقعت بعد وفاة الرسول بسبع سنوات، وبرزت أُولى مؤشراتها في قولهم: لا يجوز أن يستوي ذوو السابقة في الإسلام ـ وهم أصحاب الرسول ومن شهد منهم حروبه ـ مع سائر الناس؛ هؤلاء يجب أن تكون لهم امتيازات! فمنحت لهم امتيازات مالية من بيت المال!

كانت هذه هي اللبنة الأولى، وهذا هو حال سائر التيارات المنحرفة؛ تبدأ من نقطة صغيرة ثم يستفحل شأنها ويتفاقم مع كل خطوة. الانحرافات بدأت من هنا إلى أن بلغت عهد عثمان، حيث آلت الأوضاع في أواسط عهد الخليفة الثالث إلى حالة صار فيها كبار صحابة رسول اللّه صلى الله عليه وآله أثرى الأثرياء في زمانهم. أي أنّ كبار الصحابة من ذوي الأسماء المعروفة ـ كطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وأمثالهم ـ الذين كان لهم مفاخر، باتوا من رأسماليي الطراز الأول! بحيث أن أحدهم لمّا مات وأرادوا تقسيم أمواله بين وارثيه اضطروا إلى كسر الذهب ـ الذي أذابه وحوله إلى سبائك ـ بالفؤوس، كالحطب الذي يكسر بالفؤوس، فكم كان مقدار الذهب إذن حتى يكسر بالفؤوس؟ والحال أنّ الذهب يوزن بالمثاقيل، هذا ما سجّله التاريخ!

هذا ليس مما يقال أنّ الشيعة سطّروه في كتبهم، أبداً، هذا ما كتبه الجميع، فالمبالغ التي خلفوها من الدنانير والدراهم كانت مبالغ خيالية! وهذه الحالة هي التي أدت إلى وقوع تلك الأحداث على عهد أميرالمؤمنين عليه السلام، أي بما أنّ البعض صار يولي أهمية فائقة للمنصب، لذلك فقد دخلوا في صراع معه.

مرحلة أمير المؤمنين عليه السلام

هذا وقد مرت خمس وعشرون سنة على وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وقد بدأت الكثير من الأخطاء والاشتباهات. إن نفس أميرالمؤمنين عليه السلام هي نفس الرسول صلى الله عليه وآله، ولولا

هذه الفترة ـ الخمس وعشرون سنة ـ لما كانت تواجه علياً عليه السلام أية مشكلة في بناء ذلك المجتمع، إلا أنه عليه السلام جوبه بمثل هذا المجتمع الذي يوصف بعض أفراده بأنهم «**يتخذون مال اللّه دولاً وعباده خولاً ودينه دخلاً بينهم**»[١].

مجتمع ضاعت القيم فيه في خضم حب الدنيا، مجتمع يواجه فيه أميرالمؤمنين عليه السلام مصاعب جمّة عندما يريد قيادة الناس إلى الجهاد.

كان أكثر الخواص في عهد أميرالمؤمنين عليه السلام من المناصرين للحق؛ أي من الذين كانوا يعرفون الحق، ولكنهم يرجحون الدنيا على الآخرة. وهو ما أدى به إلى خوض ثلاث معارك، وانهى فترة حكمه التي استمرت أربع سنوات وتسعة أشهر في هذه المعارك الثلاثة! إلى أنّ استشهد في نهاية المطاف على يد أحد الأشقياء.

إنّ دم أميرالمؤمنين عليه السلام غال كدم الإمام الحسين عليه السلام. تقرأون في زيارة عاشوراء: «**السلام عليك يا ثار اللّه وابن ثاره**». أي أنّ اللّه تعالى هو ولي دم الإمام الحسين عليه السلام وولي دم أبيه أميرالمؤمنين عليه السلام، ولم يرد مثل هذا التعبير لأحد غيره.

من البديهي ان لكل دم يراق ولي، وهو ما يسمى بولي الدم؛ فالأب ولي دم ولده، والولد ولي دم أبيه، والأخ ولي دم أخيه، ويسمى هذا عند العرب ثأراً، المطالبة بالدم ومالكية حق الدم يسمونها بالثأر.

والذي يطالب بدم الإمام الحسين عليه السلام هو اللّه تعالى، كما أنه هو المطالب بدم أميرالمؤمنين عليه السلام، إذن وليّ دم هاتين الشخصيتين هو اللّه تعالى.

---

(١) نهج البلاغة: ١٢٠/٣.

مرحلة الإمام الحسن عليه السلام

لقد استشهد أميرالمؤمنين عليه السلام بسبب تلك الأوضاع. ومن بعده جاء ابنه الحسن عليه السلام الذي لم يتسنّ له الصمود بوجه تلك الحالة أكثر من ستة أشهر، إذ تخلى عنه أنصاره وتركوه فريداً وحيداً؛ فرأى أنه إذا سار لمحاربة معاوية بهذه الثلّة القليلة واستشهد فلن يطالب أحد حتى بثأره نتيجة لاستشراء الانحطاط الأخلاقي في المجتمع الإسلامي، وبين هؤلاء الخواص! وإن دعاية معاوية وأمواله وحيله ستستحوذ على الجميع، وسيقول الناس بعد مضي سنة أو سنتين: إنّ الإمام الحسن عليه السلام لم يحسن صنعاً ـ أساساً ـ حين تحدّى معاوية، ومعنى هذا أنّ دمه سيذهب هدراً، لذلك تحمل جميع المصاعب ولم يُلق بنفسه في ميدان الشهادة.

الفرق بين زمن الحسن وزمن الحسين عليهما السلام

أنتم تعلمون أنّ الشهادة تكون أحياناً أسهل من البقاء على قيد الحياة. وهذا المعنى يدركه جيداً أهل الحكمة والدقة والآفاق المعنوية. أحياناً تصبح الحياة والعمل في أجواء معيّنة أصعب بكثير من القتل والشهادة ولقاء اللّه، لكن الإمام الحسن عليه السلام سلك هذا السبيل الأصعب.

في تلك الأوضاع كان الخواص في حالة انهيار ولم يكونوا على استعداد للقيام بأي تحرّك. ولهذا السبب حينما استلم يزيد السلطة ثار عليه الإمام الحسين عليه السلام؛ لأن يزيد بما يتصف به من صفات سيئة كان من السهولة محاربته، وفيما لو قتل أحد في محاربته لا تذهب دماؤه هدراً.

كانت الأوضاع في عهده لا خيار فيها إلّا خيار الثورة، على العكس من زمن الإمام

الحسن عليه السلام الذي فيه خياران خيار الشهادة وخيار الحياة، وكان البقاء على قيد الحياة أكثر ثواباً وجدوى ومشقة من القتل، والإمام الحسن عليه السلام اختار هذا المسلك الأوعر. ولكن الوضع لم يكن على هذه الصورة في عهد الإمام الحسين عليه السلام ولم يكن هناك إلّا خيار واحد! والبقاء على قيد الحياة الذي يعني عدم الثورة ما كان له آنذاك أي معنى، كان لابد له من الثورة، سواء انتهى به الأمر إلى القبض على الحكم أم كان مصيره إلى الشهادة. كان عليه أن يرسم الطريق ويركز لواء الدلالة عليه، ليكون واضحاً أنّ الأمور إذا بلغت هذا الحد لابدّ وأن يكون التحرك في هذا الاتجاه (الثورة).

تكليف الخواص

وعندما ثار الإمام الحسين عليه السلام لم يأت الكثير من هؤلاء الخواص لنصرته مع ما كانت له من منزلة عظمى في المجتمع الإسلامي! لاحظوا مدى الضرر الناجم عن وجود هؤلاء الخواص في المجتمع؛ الخواص الذين يرجّحون دنياهم حتى على مصير العالم الإسلامي لقرون مقبلة، مع ما كان للإمام الحسين عليه السلام من مكانة وشهرة.

كنت أنظر في قضايا ثورة الإمام الحسين عليه السلام وحركته من المدينة، ولاحظت أنه في الليلة التي سبقت مسيره من المدينة كان عبدالله بن الزبير قد خرج من المدينة أيضاً، وفي الحقيقة كان كلاهما في وضع واحد، ولكن أين الإمام الحسين عليه السلام من عبدالله بن الزبير؟ حديث الإمام الحسين، كلامه، خطابه، أجبر والي المدينة آنذاك ـ وهو الوليد ـ على أن يرقّق كلامه ولا يتبع الغلظة مع الحسين عليه السلام، وما إن تفوّه مروان بكلمة، إلّا والحسين عليه السلام يرد عليه مهدداً غاضباً، ولا حيلة لمروان إلّا السكوت ذليلاً.

هؤلاء الأشخاص أنفسهم ذهبوا وحاصروا دار عبدالله بن الزبير، فأخرج إليهم أخاه، فاستأذن منهم أن يسير معهم إلى دار الإمارة في تلك اللحظة، فأهانوه وهددوه إن هو لم يخرج إليهم قتلوه، حتى خضع لهم وتوسل إليهم في أن يأذنوا له أن يرسل

أخاه، وغداً يأتيهم بنفسه.

ومع أنّ عبدالله بن الزبير كان شخصية بارزة أيضاً إلا أن موقفه كان يختلف إلىٰ هذا الحد مع موقف الإمام الحسين عليه السلام. لم يكن أحد يتجرأ على التصرف مع الإمام الحسين عليه السلام أو مخاطبته بهذا الاسلوب لما له من حرمة وما يتسم به من عظمة وشخصية وهيبة وقوّة روحية.

وفي طريقه إلى مكة كان كل من يلقاه ويتكلم معه يخاطبه بالقول: جُعلت فداك، أو بأبي انت وأُمي، أو عمّي وخالي فداك. هكذا كانوا يكلمون الإمام الحسين عليه السلام، وهكذا كانت له مكانة ممتازة وبارزة في المجتمع الإسلامي.

جاءه عبدالله بن مطيع وهو بمكة وقال له: «**يا ابن رسول الله، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً إن قُتلت لنسترقن من بعدك**»[1]. أي أنّ هؤلاء القوم يحجزهم عن أذانا خشيتهم لك وهيبتهم منك، وإنك إذا ثرت عليهم وقُتلت اتخذونا رقيقاً لهم.

كانت للإمام الحسين عليه السلام مكانة وعظمة يخضع لها حتى عبدالله ابن عباس، وعبدالله بن جعفر وحتى عبدالله بن الزبير ـ مع أنه لم يكن ينظر للإمام الحسين عليه السلام بعين الارتياح ـ كان يبدي له غاية التبجيل والاكرام.

جميع الأكابر والخواص من أنصار الحق، أي الذين لم يكونوا إلى جانب الحكومة الأموية ولم يدخلوا جبهة الباطل، وحتى من بينهم الكثير من الشيعة الذين يقرّون بإمامة أميرالمؤمنين عليه السلام ويعتبرونه الخليفة الأول شرعاً، هؤلاء بأجمعهم حينما أحسوا ببطش السلطة الحاكمة، تخاذلوا رغبة في الحفاظ على أنفسهم وأموالهم ومناصبهم. ونتيجة لتخاذل هؤلاء، مال عوام الناس إلى جانب الباطل.

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٤١٤.

خواص أهل الكوفة وفعلهم

لو نظرنا إلى أسماء أهل الكوفة الذين كاتبوا الإمام الحسين عليه السلام ودعوه للقدوم إليهم، وكان كلهم طبعاً من طبقة الخواص ومن أكابر القوم ووجهاء الناس، وكان عدد الرسائل هائلاً بلغ مئات الصفحات، وربّما ملأت عدّة خروج. والذين كتبوها غالباً من الأعيان والوجهاء، يتبيّن من خلال لهجة تلك الرسائل كم عدد الخواص من أنصار الحق، من كان على استعداد للتضحية بدينه من أجل دنياه، ومن منهم كان حريصاً على التضحية بالدنيا في سبيل الدين. وهذا ما يمكن أن يُستشف من خلال الرسائل.

ولكن بما أن عدد الذين كانوا يميلون إلى التضحية بالدين في سبيل الدنيا كان أكبر، آلت النتيجة إلى مقتل مسلم بن عقيل في الكوفة بعدما كان قد بايعه ثمانية عشر ألفاً من أهلها. وبعد ذلك خرج منها عشرون أو ثلاثون ألفاً لقتال الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء.

معنى هذا أنّ حركة الخواص تجلب في أعقابها حركة العوام. لا أدري هل عظمة هذه الحقيقة التي تلازم الناس الواعين على الدوام، تتبين لنا بشكل واضح صحيح أم لا؟ لابدّ وأنكم سمعتم بما جرى في الكوفة؛ إذ كان القوم قد كتبوا الرسائل إلى الإمام الحسين عليه السلام أن أقدم علينا معززاً، فأوفد إليهم مسلم بن عقيل ليطلع على حقيقة الموقف؛ إن كان خيراً سار إليهم بنفسه.

سار مسلم إلى الكوفة، ودخل دور كبار الشيعة؛ وتلا عليهم كتاب الإمام الحسين عليه السلام إليهم، فأخذ الناس يفدون عليه زرافات ويعلنون عن ولائهم. وكان النعمان بن بشير والي الكوفة آنذاك شخصاً ضعيفاً ومسالماً، فأعلن أنه لا يقاتل إلا من يقاتله؛ ولم ينهض لمجابهة مسلم بن عقيل، فرأى الناس أنّ المجال مفسوح

أمامهم، فجاءوا إلى مسلم وبايعوه.

بعث بعض الخواص المؤيدين للباطل ـ من أنصار الأمويين ـ رسالة إلى يزيد يعلمونه فيها إن كانت له في الكوفة حاجة فليوّلي عليها رجلاً حازماً، وإن النعمان بن بشير لا طاقة له على مجابهة مسلم بن عقيل.

كتب يزيد إلى عبيد اللّه بن زياد الذي كان والياً على البصرة حينذاك يعلمه فيها بأنّه عيّنه والياً على الكوفة مع احتفاظه بولاية البصرة. وانطلق عبيداللّه من ساعته يحث السير من البصرة إلى الكوفة. ويتضح دور الخواص أيضاً من خلال مجيئه إلى هناك.

نموذج للعوام

وصل عبيد اللّه إلى مشارف الكوفة ليلاً، وما أن رأى الناس رجلاً ملثماً قادماً ومعه الخيل والعدّة، حتى ظنه العوام أنه الإمام الحسين عليه السلام، فتقدموا إليه بكل بساطة وحييّوه قائلين: «السلام عليك يا ابن رسول اللّه». هذه صفة عوام الناس؛ ليست لأحدهم قدرة على التحليل أو النظر في الأمر، فما أن رأوا شخصاً قادماً ومعه الخيل والعدّة حتى ظنّوه الإمام الحسين عليه السلام حتى قبل أن يتحدث معهم بكلمة وحدة. وأخذ الجميع يردد: إنه الإمام الحسين عليه السلام. كان الجدير بهم أن يتأملوا ليعرفوا من هو.

لكن هذا القادم لم يلتفت إلى الناس، وسار إلى دار الإمارة وعرفهم بنفسه ودخل القصر.

وبدأ يخطط من هناك للقضاء على وثبة مسلم بن عقيل، وتركزت مساعيه على استخدام أشد أساليب الضغط والتهديد والتعذيب ضد أنصار مسلم بن عقيل. واحتال على هاني بن عروة واستقدمه إلى القصر، وشجّ رأسه ووجهه. ولما احتشد بعض الناس حول القصر نجح بتفريقهم بأساليب الحيلة والكذب. وهنا أيضاً يتضح

دور الخواص الفاسدين الذين يسمّون بأنصار الحق، وهم الذين عرفوا الحق وميّزوه، لكنهم رجّحوا دنياهم على الدين.

مسلم ضحيّة العوام

وبعد أن سار مسلم بن عقيل بحشد كبير من أنصاره ـ جاء في كتاب ابن الأثير ان عددهم بلغ ثلاثين الفاً، والذين أحاطوا بداره فقط بلغ عددهم أربعة آلاف يحملون السيوف دفاعاً عنه، كان هذا في اليوم التاسع من ذي الحجة ـ سارع ابن زياد إلى بث بعض خواص الباطل بينهم لأجل إثارة الخوف والرعب فيهم، ويشيعوا بينهم أنّ لبني أمية كل شيء؛ السلاح والمال والقوّة، وإنّ هؤلاء لا شيء عندهم. فاستشرى الذعر بين الناس وأخذوا يتفرقون عنه تدريجياً، وما إن حان وقت صلاة العشاء حتى لم يبق مع مسلم أحد.

ونادى منادي ابن زياد: يجب أن يحضر الجميع إلى مسجد الكوفة عند صلاة العشاء ليصلوا معه! وجاء في المصادر التاريخية أنّ المسجد امتلأ بالناس للصلاة خلف ابن زياد.

تخاذل أنصار الحق

حسناً، لماذا آلت الأمور إلى ذلك المآل؟ إنني حينما أنظر أرى أنّ ذلك يُعزى إلى الخواص من أنصار الحق الذين سلك بعضهم مسلكاً اتسم بغاية التخاذل، من أمثال شريح القاضي! شريح هذا لم يكن من بني أمية وكان يعرف حقيقة الأوضاع ويدرك الحق مع مَن.

فحينما جاءوا بهاني بن عروة وشجّوا رأسه وجرحوا وجهه وألقوه في السجن،

هبّت عشيرته وحاصرت قصر ابن زياد، فخشي ابن زياد اجتماعهم؛ إذ يرون أن قاتل هاني هو ابن زياد، لذلك أمر شريحاً أن يذهب ليرى بعينه أنّ هاني حيّ.

اطلع شريح على حياة هاني بنفسه ولكنه وجده مجروحاً، فيما أن رأى هاني شريحاً القاضي حتى استغاث بالمسلمين (مخاطباً لشريح) أين قومي؟ هل ماتوا؟ لماذا لا يأتون وينقذوني مما أنا فيه؟

يقول شريح: اردت أن أذهب وأبلغ المجتمعين حول قصر الإمارة بمقالة هاني، لكن للأسف كان هناك جاسوس ابن زياد، فلم أستطع! ماذا يعني (لم استطع)؟ يعني ترجيح الدنيا على الدين.

أثر كذبة شريح القاضي على التاريخ

لعل شريح لو كان فعل ذلك لتغير التاريخ، لو قال للناس إنّ هاني حي ولكنه في السجن، وابن زياد يريد قتله ـ ولم يكن ابن زياد قد استولى على الأُمور بعد ـ لهجموا وانقذوا هاني وأصبحوا أكثر قوّة وشكيمة ولقبضوا على ابن زياد وقتلوه أو أخرجوه من هناك، ولاستتب أمر الكوفة للحسين عليه السلام، ولما وقعت حادثة كربلاء! ولو لم تقع حادثة كربلاء لانتهى الأمر إلى استلام الإمام الحسين عليه السلام لزمام الحكم، ولو أنّ هذا الحكم استمر تسعة أشهر ـ وربما كان يمتد لفترة أطول ـ لكانت له بركة كبيرة في التاريخ.

قد تؤدي حركة ما أحياناً إلى تبديل وجه التاريخ. وقد تقود حركة أُخرى مغلوطة وناتجة عن الخوف والضعف وحب الدنيا والحرص على الحياة، إلى جعل التاريخ يتمرغ في مهاوي الضياع. أنت (يا شريح القاضي) لماذا لم تشهد بالحق حينما رأيت هاني على تلك الحالة؟! هذا هو دور الخواص الذين يفضّلون الدنيا على الدين.

حينما أمر ابن زياد رؤساء القبائل أن يذهبوا ويعملوا على تفريق الناس من حول

مسلم، لماذا أطاعوا أمره؟ فهم لم يكونوا بأجمعهم من الأمويين، ولم يكونوا قد قدموا من الشام، بل أن بعضهم كان ممن كتب الرسائل إلى الإمام الحسين عليه السلام كشبث بن ربعي الذي كان قد كتب له رسالة ودعاه إلى القدوم! هذا الرجل كان من جملة الذين أمرهم ابن زياد بالسعي لتفريق الناس، فذهب وأخذ يثبط الناس ويستخدم أساليب التهديد والتخويف والإغراء، وساهم في تفريق الناس عنه. لماذا فعلوا هكذا؟

أثر تخاذل شبث بن ربعي

لو أن شخصاً كشبث بن ربعي خشي اللّه في لحظة مصيرية، بدلاً من خشية ابن زياد، لتبدّل وجه التاريخ! لكن هؤلاء انبروا لتثبيط الناس؛ فتفرق العوام.

ولكن لماذا تفرق الخواص المؤمنون المحيطون بمسلم؟ مع أنهم كان من بينهم شخصيات خيّرة وصالحة وبعضهم سار في ما بعد إلى كربلاء واستشهد هناك. لكنهم أخطأوا في ذلك الموقف.

من الطبيعي أنّ الذين استشهدوا في كربلاء قد كفّروا عن خطئهم ذلك. ونحن هنا لا نتحدث عنهم ولا نذكر أسمائهم. ولكن أيضاً كان من بينهم من لم يأتِ إلى كربلاء! لم يستطيعوا أو لم يوفقوا، لكنهم انخرطوا في ما بعد في صفوف التوابين.

أثر التحرك في وقته

ولكن ما فائدة ذلك بعدما وقعت فاجعة كربلاء وقتل سبط الرسول صلى الله عليه وآله، وبدأت حركة التاريخ بالانتكاس؟ ولهذا السبب كان عدد التوابين عدّة أضعاف شهداء كربلاء. شهداء كربلاء صرعوا كلهم في يوم واحد، والتوابون صرعوا كلهم في يوم واحد

أيضاً.

ولكن تلاحظون أنّ الأثر الذي تركه التوابون في التاريخ لا يعدل واحداً من ألف مما خلفه شهداء كربلاء! وذلك لأنهم لم يبادروا إلى ذلك العمل في وقته، ولأن تشخيصهم وقرارهم قد جاء متأخّراً.

أثر تخلي الخواص عن مسلم

لماذا تركوا مسلم وحده، بعد ما جاء إليهم كمندوب عن الإمام الحسين عليه السلام، وبعدما بايعوه والكلام هنا للعوام لا للخواص لماذا حينما جنَّ عليه الليل تركوه يلتجئ إلى دار طوعة؟!

لو أنّ الخواص لم يتخلوا عن مسلم، ولو وقف الى جانبه على سبيل المثال مائة رجل، وآووه في دار أحدهم ودافعوا عنه، ومسلم حتى حينما كان وحده حينما أرادوا اعتقاله بقي يقاوم عدّة ساعات، واستطاع بعد أنّ هجموا عليه عدة مرّات ـ ورغم كثرة عددهم ـ أن يردهم على أعقابهم، ولو كان معه مائة رجل، هل كان بإمكانهم القبض عليه؟! كلا؛ لأن الناس سيهبون لنجدتهم.

إذن الخواص قصّروا هنا إذ لم يهبّوا لمؤازرة مسلم.

أثر موقف الخواص في الوقت المناسب

لاحظوا أينما تذهبون تصطدمون بموقف الخواص. من الواضح أنّ قرار الخواص في الوقت المناسب، ورؤيتهم الصائبة للأُمور في الوقت المناسب، وتجاوزهم عن الدنيا في اللحظة المناسبة، وموقفهم في سبيل اللّه في الفرصة المؤاتية، هو الذي يستنقذ التاريخ ويصون القيم.

وهذا ما يوجب اتخاذ الموقف المناسب في اللحظة المناسبة، أما إذا فات الأوان،

فلا جدوى في ما وراء ذلك.

نموذج تاريخي معاصر

بعد الانتخابات التي جرت في الجزائر وفازت فيها الجبهة الإسلامية، سيطر الجيش على مقاليد الحكم بتحريض من أمريكا وغيرها.

في اليوم الأول لمجيء حكومة العسكر إلى السلطة، لم تكن لها أية قوّة، فلو أن مسؤولي الجبهة الإسلامية قادوا الناس إلى الشوارع منذ اليوم الأول ـ وقد أعلنت لهم ذلك ـ حين لم تكن الحكومة العسكرية يومذاك على درجة من القوّة، ولا قادرة على أي عمل، لقضوا عليها ولأقاموا حكماً إسلامياً، ولكانت في الجزائر اليوم حكومة إسلامية. ولكنهم لم يتخذوا قراراً كهذا. بعضهم أخذته الرهبة، والبعض الآخر انتابه الضعف، والبعض قال: لنا الرئاسة، أو لهذا أو لذاك!

نموذج تاريخي معاكس

عصر يوم الحادي والعشرين من بهمن عام ١٣٥٧ هـ ش أعلنت الأحكام العرفية في طهران، لكن الإمام دعا الناس للنزول إلى الشوارع ولو لم يتخذ الإمام هذا القرار في تلك اللحظة لكان محمّد رضا لا يزال يحكم هذا البلد.

ولو أنّ الناس حين إعلان الأحكام العرفية لزموا منازلهم، لبدأوا أول ما بدأوا بالإمام ومن بعده مدرسة الرفاه ثم بقية المناطق، ولقضوا على كل شيء، ولكانوا قتلوا في طهران خمسمائة ألف شخص، وانتهى كل شيء! على غرار ما حصل في أندونيسيا

حيث قتلوا مليون شخص ثم عاد كل شيء إلى محلّه، والإمام اتخذ القرار اللازم في اللحظة الحاسمة، في موقعه.

أثر تقصير الخواص

لو أنّ الخواص شخّصوا ما ينبغي عمله في الظرف المناسب، وطبقوا ذلك لتغير وجه التاريخ، ولما سيق أمثال الحسين بن علي عليه السلام إلى ميادين كميدان كربلاء. وإذا كان الخواص قد أساءوا الفهم، أو أبطأوا في الفهم، أو فهموا ولكن اختلفوا، وحتى إذا كان المتصدون للعمل كفوئين، إلا أنّ طبقة الخواص لم تتجاوب معهم، وقال أحد أفرادها نحن مشغولون حالياً وقال غيره لقد انتهت الحرب، دعونا نتفرّغ لأعمالنا ونكسب لقمة عيشنا وجمعوا خلال بضع سنوات إمكانات هائلة وإننا قد سئمنا القتال والتجوال بين هذه الجبهة وتلك؛ تارة في جبهة الغرب وتارة في جبهة الجنوب، إذا تصرف الخواص بهذه الصورة، فاعلموا أنّ التاريخ ستتكرر فيه وقائع كواقعة كربلاء!

النصر مشروط بالتضحية

وعد اللّه تعالى بنصرة من ينصره، إن قام أحد للّه وبذل جهده يكون النصر حليفه لا بمعنى يكتب النصر لكل واحد من الأشخاص، بل معناه أنّ أية جماعة عندما تتحرك تنال النصر، ومن الطبيعي أنّ مسارها تحفّه المصاعب والقتل والآلام، ولكن فيه انتصار أيضاً.

يقول الباري تعالى: ﴿وَ لَيَنْصُرَنَّ اَللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1] ولا يقول ننصركم دون أن يدمى أنف أحدكم، لا أبداً، وإنما يقول ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِى التَّوْرَاةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2]. ولكن ينتصرون، هذه سنّة إلهية.

حينما نخاف على دمائنا، وعلى كرامتنا، وعلى أموالنا، ولأجل عوائلنا وأحبائنا، وحينما نخشى على الراحة والمعيشة الوادعة، ونحرص على الكسب وعلى الحصول على دار فيها غرفة أكثر من غرف الدار السابقة، عندما تُعيقنا أمثال هذه الأُمور عن الحركة، يصبح من الواضح حينها أنه حتى لو كان أشخاص كالإمام الحسين تزعموا الطريق، لاستشهدوا عن آخرهم، مثلما استشهد أميرالمؤمنين عليه السلام، وكما استشهد الحسين عليه السلام.

الخواص، الخواص، طبقة الخواص. أُنظروا يا أعزائي أين موقعكم؛ إن كنتم من الخواص ـ وأنتم فعلاً منهم ـ فحاذروا.

عدم إنقياد الخواص للدنيا

في كل زمن كان يجب فيه على الخواص العمل بتكاليفهم وآجتناب انقيادهم لمغريات الدنيا، ويجب البحث في كيفية عدم الانقياد للدنيا، مع ذكر الأمثلة والمصاديق على ذلك.

إنّ السير على طريق اللّه له معارضون على الدوام. ولو أن شخصاً من هؤلاء

(١) سورة الحج: ٤٠.

(٢) سورة التوبة: ١١١.

الخواص الذين تحدثنا عنهم أراد أن يقدم على عمل ـ إنّ هو أراد ذلك ـ لانبرى له جماعة آخرون من أولئك الخواص أنفسهم باللوم والتعنيف والتقريع على موقفه ذاك.

مثلما كانوا يفعلون في أيام ثورتنا. لكن الخواص يجب عليهم أن يقاوموا؛ هذه إحدى ضرورات جهاد الخواص، وهي الصبر على اللوم والتقريع، لأنهم يتلقون من المعارضين التهم والاساءات على الدوام.

إنّ أي عمل يؤديه الخواص وفي أي قطاع كان، وقد يكون من القضايا الهامّة التي قد تطرأ في المستقبل، ـ وما ذكر كان نموذجاً مصغراً ـ سيؤدي إلى إثارة الاعتراضات والتساؤلات من قبل البعض ![1].

---

(١) من كلمة ألقاها في ١ محرم ١٤١٧ هـ.

أثر المفاهيم الخاطئة على المجتمعات

نماذج من التاريخ

سأستخرج نموذجين حتى تتبينوا كيف أنّ هذه المفاهيم الخاطئة بإمكانها تقسيم المجتمع إلى فئتين:

الأول في حرب صفين؛ فبعدما تغلّب جيش أمير المؤمنين عليه السلام على جيش معاوية، فإن معاوية وأتباعه رفعوا المصاحف على أسنّة الرماح، فوجدوها قد أحدثت خلافاً بين جنود أمير المؤمنين عليه السلام، حيث إن هذه الحركة تعني أنّ القرآن بيننا وبينكم، فانهار البعض قائلين لا طاقة لنا بمحاربة القرآن! في حين قال البعض الآخر بأنّ أساس قتال هؤلاء هو ضد القرآن، فرفعوا القرآن شكلاً لكنهم يحاربون معناه وهو أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي النهاية دبّ الخلاف بين صفوف جيش المسلمين فتفرقوا وضعفوا، وكانت هذه هي حيلة العدو.

وأما النموذج الثاني فهو أيضاً من نفس هذه الحرب، فعندما ألزموا أمير المؤمنين عليه السلام بقبول التحكيم، برزت طائفة من داخل معسكر المؤمنين ـ وكانت من جماعته ـ ورفعت شعار "لا حكم إلّا لله". وواضح أنه لا حكم إلا لله كما ورد في

القرآن الكريم، فماذا أرادوا أن يقولوا؟ لقد أرادوا بهذا الشعار خلع أمير المؤمنينعليه السلام من الخلافة! ولكن أمير المؤمنين كشف النقاب عن خطتهم، وقال: إنّ الحكم و الحكومة لله، ولكنهم لم يعنوا ذلك، بل عنوا "لا إمرة الا لله"، أي أنه لا داعي لوجود أمير المؤمنينعليه السلام، بل إن على الله أن يأتي متمثلاً ومجسداً ليدبر شؤونكم! فهذا الشعار أخرج مجموعة من معسكر أمير المؤمنينعليه السلام فالتحقت بتلك الفرقة الجاهلة الضالة السطحية وربما المغرضة، ومن هنا نشأت قضية الخوارج.

رأي الإسلام في العنف

إن هذه الأحداث تقع الآن بيننا وللآسف؛ فثمة شعارات تُرفع، بعضها واضح وجيد، ولكن العدو يستغلها. وإنني سأتحدث عن مصطلحين راجياً بذلك ألاّ يستطيع ذوو القلوب المريضة التفريق بيننا وبين أبناء الأمة الإسلامية بعد اليوم أبداً. فأحدهما "العنف" والثاني "الإصلاح". فما هو المقصود بالعنف؟

إنّ العنف هو القتل والضرب والسجن وسوء الخلق والحدّة، وهو أمر واضح ومعنى بديهي. وهناك سؤال ما زال يثار حول ما إذا كان العنف أمراً جيداً أم سيئاً، أو ما إذا كان هذا الشخص يقبل العنف وذلك الآخر يرفضه، أو ما إذا كان الإسلام يقول به أو لا يقول به! فهل هذا الموضوع معقد هكذا وبالغ الأهمية، أو أنّ هناك نوايا أخرى خلف الستار؟!

إن للإسلام رأياً واضحاً وصريحاً حول العنف؛ فالإسلام لم يجعل العنف أصلاً من حيث المبدأ، ولكنه لم ينفه أيضاً في الحالات التي يكون فيها قانونياً.

العنف القانوني

إن لدينا نوعين من العنف، أحدهما قانوني، أي أنّ القانون يستخدم العنف عند

الضرورة فينص على حبس هذا الشخص إذا ارتكب هذه الجناية أو الجريمة. فهذا عنف، لكنه ليس سيئاً، لأنه يحول دون الاعتداء على حقوق البشر ويقمع الخارجين على القانون ويجازي المعتدي. فإذا لم يستخدم العنف ضد المعتدين لازدادت الجرائم في المجتمع، فهو ضروري في هذه الحالة.

العنف غير القانوني

والثاني عنف غير قانوني، أي أن يعتدي أحد على حقوق الآخرين كما يهوى وبلا سبب ولا دليل وخلافاً للقانون والدستور، كأن يصفع شخصاً، فهل هذا جيد أم سيّئ؟! واضح أنه سيّئ وبلا شك.

إن الإسلام يصف سلوك الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وخلقه الشخصي، فيقول **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾**[1] كما يقول القرآن الكريم في موضع آخر مخاطباً النبي صلى الله عليه وآله: **﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾**[2] فالجذر الثلاثي "غلظ" الذي ورد في الآية السابقة جاء في هذه الآية أيضاً، سوى أن الآية الأولى تتحدث عن طبيعة التعامل مع المؤمنين وعن السلوك الفردي، وأما الثانية فتدور حول تطبيق القانون وإدارة المجتمع واستقرار الهدوء والنظام؛ فالغلظة في الأولى أمر سيّئ، لكنها أمر جيد في الثانية، أي أنّ العنف سيّئ في الأولى وجيد في الثانية.

لقد دخل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله مكة فاتحاً، والتقى أولئك الذين آذوه وكذبوه على مدى ثلاثة عشر عاماً وجرّوا عليه كافة أنواع الويلات، ولكنه خاطبهم قائلاً: إذهبوا

---

(١) سورة آل عمران:١٥٩.

(٢) سورة التوبة:٧٣.

فأنتم الطلقاء .. ولم ينتقم منهم.

وفي نفس الوقت فإنه ﷺ ذكر جماعة بالإسم وقال اقتلوهم حيث ثقفتموهم! وكان من بينهم أربع نساء وأربعة رجال. فهاهنا كان يلزم العنف، وأما هنالك فالرفق واللين.

إن الإسلام يوضح الآثام والذنوب، فيقول لا تتجسسوا، ولا تتبعوا عورات الآخرين وخطاياهم، ولا تتهموهم ظلماً وعدواناً. ولكن عندما تثبت الجريمة فإنه يقول: ﴿**ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله**﴾[1].

فالإسلام دين شامل وليس أحادي الجانب؛ فعندما تقف الحكومة الإسلامية لمواجهة القوة والإعتداء والإضطرابات والهجمات والخروج عن القانون فلابد لها من القوة والصرامة والعنف دون خشية من هذه الكلمة. وبالعكس، أي عندما تتعامل مع أفراد الشعب والرعيّة، فعليها بالرفق واللين ﴿**عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾[2]؛ فلكل مقام مقال.

وعندما توجه الرسول الأعظم ﷺ إلى مكة في العام الثامن للهجرة في حجه الأخير ـ حجة الوداع ـ فإن أمير المؤمنين عليه السلام كان على رأس بعثة في اليمن لتعليم أهله الدين وجمع أموال الزكاة، فكان من بينها عدد من البُردات اليمنية، وهو نوع من الألبسة اليمنية الممتازة والمفضّلة يومذاك. ولم يكن لدى أمير المؤمنين عليه السلام الوقت الكافي ليتحرك مع هذه القافلة، فوضع عليها أحد الأشخاص وأمره بالمجيء بهذا المتاع، وأسرع هو للالتحاق برسول الله ﷺ ليكون معه في أداء مناسك الحج.

فلما وصلت القافلة إلى مكة ذهب أمير المؤمنين عليه السلام ليستطلع أمرها، فاكتشف

---

(١) سورة النور:٢ .

(٢) سورة التوبة: ١٢٨.

عدم وجود تلك الألبسة اليمنية وأنهم قسموها فيما بينهم في غيابه، فارتدى كل واحد منهم بردة له! فقال ليس من الجائز تقسيمها قبل وصولها إلى رسول الله ﷺ ـ وبتعبير آخر وصولها إلى الخزانة كما هو الحال في زماننا هذا ـ وإن هذا خلاف الشرع والدين! فأمرهم بخلعها، ومن لم يشأ تسليمها أخذها منه بالقوة. وبالطبع فإن المرء سيشعر بالضيق إذا جُرد من شيء ما إلّا إذا كان شديد الإيمان؛ فذهب بعضهم إلى رسول الله ﷺ واشتكوا إليه أمير المؤمنين! فسألهم ماذا حدث، ولماذا هذه الشكوى؟

فأجابوا لقد جردنا أمير المؤمنين من تلك الملابس. فقال لهم رسول الله ﷺ: لا تلوموا عليّاً على ذلك «**إنه خشن في ذات الله**»[1].

فالعنف القانوني هو ذلك الحد الذي يشرّعه الإسلام. وهو أمر ضروري فضلاً عن أنه جيد.

وأما العنف غير القانوني فهو جريمة فضلاً عن أنه سيّئ، وينبغي مواجهته، وهذا هو رأي الإسلام؛ فلا نقاش فيه ولا جدال حتى يأتي البعض بدون معرفة بالأسس الإسلامية وعلم بحقيقة الأمور ويملأوا صفحات بعض الصحف بعناوين بارزة ومثيرة ومبهرة ومضلّلة!

وبالتأكيد فإن الأعداء الذين يريدون إشعال الساحة بنار البحث والجدال حول هذا الموضوع لهم أهداف أخرى. إنهم يعتبرون العنف أمراً كلّياً، ولا يفرقون بين العنف القانوني وغير القانوني، وليسوا على وفاق مع العنف القانوني؛ وهم يقولون إذا أثار أحد الاضطرابات في شوارع طهران، وسلب الناس أمنهم وراحتهم، وبدد أموالهم، وعرض أبناءهم للخطر، فلا تصطدموا به لأن هذا عنف، بينما هم يمارسون أشد

---

(١) شرح إحقاق الحق: ١٥/٤٤٢.

أنواع العنف والوحشية في كافة أنحاء العالم!

إنّ الكيان الصهيوني ـ الذي تعتبر إذاعته من مروّجي معارضة العنف والتي ترفع باستمرار ذلك شعاراً ـ يقصف جنوب لبنان كل يوم فيقتل النساء والأطفال والكبار والصغار، وهكذا يفعل أيضاً رفاقهم في كافة بقاع العالم وهم الذين يسيطرون على وسائل الإعلام العالمية!

إنني لا أنسى ألمي الشديد منذ عام ونصف لدى اغتيال الشهيد لاجوردي، ذلك الشهيد الرفيع المنزلة والسيد العزيز العظيم والرجل صاحب الشخصية البارزة والذي قدم الكثير في مرحلة النضال السلبي والقمع، وهم لا يدرون كم عانى هذا الرجل وكيف عاش وكم تحمل من آلام السجن والاعتقال وكم قاسى من الشدائد، وكيف أنه تقبل الكثير من المسؤوليات الصغيرة في ظاهرها والعظيمة والشاقة في حقيقتها بعد انتصار الثورة ثم ختم جهاده بالشهادة.

ومع هذا فإن إحدى الصحف الألمانية تكتب في تلك الأيام وتقول: إن اغتيال لاجوردي ليس اغتيالاً! أي أنهم حرفوا أيضاً معنى الاغتيال، فلماذا؟! لأن الذي قام به هم المتمردون في الداخل! وهكذا هي وسائل الإعلام العالمية حيث تسيطر الامبراطورية الإستكبارية الخبرية على اتجاه الرأي العام العالمي وأفكاره. فكفاح الشعب الفلسطيني من أجل استرداد أراضيه المغتصبة يعتبر إرهاباً، ونضال الشعب اللبناني لطرد المحتلين الصهاينة من أرضه يعدّ إرهاباً، وأما دخول المجرمين الصهاينة إلى لبنان وقيامهم بعمليات الاختطاف والقتل وهدم القرى فليس إرهاباً! إن هذا هو منطقهم، فيجب أن لا يخدعنا العدو بما يبثّه من دعايات، بل علينا أن نفكر ونستخدم عقولنا.

إن الاستقلال الفكري هو أسمى مظاهر استقلال الإنسان؛ فانظروا ماذا يقول الإسلام، وتدبروا المنطق السليم. هل العنف سيئ أم جيد؟ والجواب هو أنه ليس سيئاً

ولا جيداً، وهو أيضاً سيئ وجيد في نفس الوقت. فالعنف القانوني جيد وضروري، وأما غير القانوني فهو سيئ وقبيح وإجرام.

إنهم يثيرون هذا الموضوع يومياً لكي يجعلوا الأجواء متوترة في البلاد، وهم دائماً وبلا نهاية ينقلون كلاماً عن هذا وكلاماً عن ذاك ويحرفون أقوال بعض الشخصيات البارزة ليقول أحد الشباب إنّ العنف جيد، بينما يقول الآخر كلا، بل قبيح، ويتهم الواحد الآخر بالعنف، فيتهمه الآخر أيضاً بالعنف! فلماذا يفعلون كل هذا؟ إن شبابنا ليسوا من أنصار العنف، والمؤمنون والمتدينون عندنا ليسوا من أنصار العنف. ولكن العنف سيُستخدم عندما يقتضي القانون ذلك.

إنّ القانون قانون وليس أمراً خافياً. وعندما أصدر الرسول ﷺ أوامره بقتل أولئك النفر فإنه لم يقل ذلك في الخفاء، بل صرح به وأعلنه على الملأ، وقال من رأى هند فليقتلها، ومن رأى فلاناً فليقتله. كما أن الإمام الخميني (رضوان الله عليه) قال أيضاً من وجد سلمان رشدي فليقتله.

والآن أيضاً فإن القائد إذا رأى أن الأمر يقتضي ذلك فسيعلنه على رؤوس الأشهاد ولن يفعله في الباطن ولا في الخفاء ! [1].

---

(١) من كلمة ألقاها في الجمعة ٩ محرم ١٤٢١ هـ ـ طهران .

بداية الإنحراف

ركائز بُنية النظام النبوي

أُشير أولاً وكمقدّمة للموضوع إلى أنّ الرسول الأعظمﷺ أرسى أُسس نظام كانت بنيته الأساسية تقوم على عدّة ركائز.. تعتبر أربعة منها الثقل في ذلك البناء، وهي: **الأول:** المعرفة المتقنة الخالية من الغموض في شؤون الدين، ومعرفة الأحكام، والمجتمع، والتكليف، ومعرفة اللّه والرسول، ومعرفة الطبيعة. وهذه هي المعرفة التي انتهت إلى تراكم العلوم وبلغت بالمجتمع الإسلامي في القرن الرابع للهجرة ذروة المدنية والحضارة العلمية.

فالرسول الكريمﷺ لم يترك أي إبهام وغموض. ولدينا في هذا الصدد آيات مدهشة من القرآن الكريم لا مجال هنا لذكرها. وحيثما كان هناك موضع غموض أو التباس، كانت تنزل آية تجليه.

الثاني: العدالة المطلقة التي لا محاباة فيها سواء في حقل القضاء، أم في حقل الاستحقاقات العامّة ـ لا ما يتعلق بحقه الشخصي إذ كان ﷺ يعفو عن حقّه ـ أي العدل التام فيما يتعلق بعامة الناس ويجب تقسيمه بينهم بالعدل. وكذا العدالة في تطبيق حدود اللّه، وفي توزيع المناصب وتفويض المسؤوليات، وتحمل المسؤولية.

الفرق بين العدل والمساواة

ومن البديهي أنّ العدالة غير المساواة. لا يلتبس الأمر عليكم، فقد يكون في المساواة ظلم أحياناً.

بينما العدالة تعني وضع كل شيء في نصابه، وإعطاء كل شخص حقّه. فقد كان العدل حينذاك عدلاً مطلقاً لا تشوبه شائبة. ولم يكن في عهد الرسول استثناء لأي شخص يجعله خارج إطار العدالة.

الثالث: العبودية الخالصة للّه والخالية من أي شرك؛ أي العبودية للّه في العمل الفردي .. العبودية في الصلاة حيث يجب أن يكون فيها قصد التقرب إليه. وكذلك العبودية له في بناء المجتمع وفي النظام الحكومي وفي نظام الحياة، والعلاقات الاجتماعية بين الناس. وهذا موضوع يستلزم بحد ذاته شرحاً مستفيضاً.

الرابع: المحبّة الغامرة والعاطفة الفياضة. وهذه من السمات الأساسية للمجتمع الإسلامي.. حبُّ اللّه، وحبّه تعالى للناس قال سبحانه: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اَللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اَللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[١]، **﴿وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِى الْمَحِيضِ وَ لَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اَللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾**[٢]، **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اَللَّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ**

---

(١) سورة المائدة:٥٤ .

(٢) سورة البقرة:٢٢٢ .

ذُنُوبَكُمْ وَ اَللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١].

الحب .. حب الزوجة وحب الأولاد

من المستحب تقبيل الأولاد، وتستحب محبتهم، ويُستحب حب الزوجة، ويُستحب حبُّ الأُخوة المسلمين والتحبب إليهم، والأعظم هو حب الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام قال تعالى: **﴿ذَلِكَ الَّذِى يُبَشِّرُ اَللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾**[٢]. لقد رسم الرسول صلى الله عليه وآله هذه الخطوط العريضة وأرسى ركائز المجتمع على أساسها، ووضع معالم الحكومة عشر سنوات على هذا المنوال. ومن الواضح طبعاً أن تربية الناس تأتي على نحو تدريجي ولا تتحقق جملة وحدة.

وقد بذل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قصارى جهده على امتداد هذه السنوات العشرة لترسيخ تلك الأُسس، والعمل على مد تلك الجذور في أعماق الأرض.

إلا أن فترة العشر سنوات تعتبر قصيرة جداً إذا ما أريد بها تربية الناس على خلاف ما كانوا قد ترعرعوا عليه من سجايا وخصائص، فقد كان المجتمع الجاهلي في كل شؤونه على النقيض تماماً من مضامين هذه الركائز الأربعة؛ لأنه كان فارغاً من أية معرفة وغارقاً في حيرة الجهل والضلال، ولم تكن لديه أية عبودية للّه، بل كان مجتمع تجبّر وطغيان، وكان مجتمعاً بعيداً عن العدالة ومليئاً بألوان الظلم والتمييز.

رسم أميرالمؤمنين عليه السلام في الخطبة الثانية من نهج البلاغة صورة فنية رائعة عمّا كان سائداً في العصر الجاهلي من ظلم وتمييز، جاء فيها: «**في فتن داستهم بأخفافها**

---

(١) سورة آل عمران:٣١ .

(٢) سورة الشورى:٢٣ .

ووطأتهم بأظلافها»[١].

كان المجتمع آنذاك مجرداً من معاني المحبّة، كانوا يئدون بناتهم، وكانت كل قبيلة تثأر لقتيلها من أي رجل تجده من قبيلة القاتل، سواء كان مستحقاً للقتل أم غير مستحق، وسواء كان مجرماً أم بريئاً، وسواء كان عالماً بتلك القضية أم لا.. كان يسودهم الاضطهاد والقسوة والغلظة والفضاضة المطلقة.

مَن نشأ في تلك الحالة يمكن أن يصلُح ويُهذّب على مدى عشر سنوات ـ إن تحققت شروط ذلك ـ ويمكن إدخاله في الإسلام، ولكن لا يمكن غرس هذه القيم والمفاهيم في أعماق نفسه إلى الحد الذي يجعل لديه القدرة على إيجاد نفس هذا التأثير على الآخرين.

دخل الناس في الإسلام أفواجاً أفواجاً، ودخل في الإسلام أُناس لم يعايشوا الرسول صلى الله عليه وآله ولم يدركوا تلك السنوات العشرة مع النبي صلى الله عليه وآله.

وهنا تتجلّى أهمية مسألة الوصية التي يعتقد بها الشيعة، ويكمن منشأ الوصية والنص الإلهي، من أجل ديمومة ذلك النهج التربوي؛ وإلا فمن الواضح أنّها ليست من سنخ أنواع الوصايا الأُخرى المتداولة في هذا العالم، فكل إنسان يوصي قبل وفاته لابنه، إلا أنّ القضية هناك تعني لزوم استمرارية نهج الرسول صلى الله عليه وآله من بعده.

لا أُريد الدخول في المباحث الكلامية بل أُريد تناول التاريخ بشيء من التحليل ولتتناولوه أنتم أيضاً بمزيد من التحليل. لهذا البحث ـ طبعاً ـ صلة بالجميع ولا يختص بالشيعة وحدهم، فهو للشيعة وللسنّة ولجميع الفرق الإسلامية على حد سواء. ونظراً لما يتصف به من الأهمية، يجب أن يحظى إذن باهتمام من قبل الجميع.

---

(١) الإمامة والتبصرة:٦.

المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله

وأما عن الوقائع التي جرت من بعد رحيل الرسول الأعظم، فما الذي حدى بالمجتمع الإسلامي خلال تلك الخمسين سنة للنكوص عن تلك الحالة إلى هذه؟ وهذا هو أصل القضية .. ويجب أن يلاحظ متن التأريخ بشأنها.

من البديهي أنّ البناء الذي بناه الرسول ما كان لينهار بهذه السهولة. ولهذا نلاحظ أن من بعد رحيل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله استمرت عامة الأمور ـ باستثناء قضية الوصية ـ على ما كانت عليه.

فكانت العدالة في وضع حسن، والذكر في حالة حسنة، والعبادة على ما يرام. وإذا نظر المرء إلى الهيكل العام للمجتمع الإسلامي في سنواته الأولى يجد الأمور كما كانت ولم يرجع شيء القهقرى. نعم كانت تقع بعض الحوادث بين الفينة والأُخرى إلا أنّ ظواهر الأمور كانت تعكس بقاء نفس الأُسس والركائز التي وضعها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله.

بيد أنّ ذلك الوضع لم يدم طويلاً، فكلما كان الوقت يمضي كان المجتمع الإسلامي ينحدر تدريجياً صوب الضعف والخواء[1].

(١) من كلمة ألقاها في ١١ محرم ١٤١٩ هـ ق ـ طهران.

مواجهة الإمام الحسين في كربلاء مع عالم من الانحراف

إنّ الوقت الذي استغرقته واقعة كربلاء لم يتجاوز نهار أو زاد عليه قليلاً، واستشهد فيها عدة أشخاص ـ إثنان وسبعون وأكثر أو أقل بقليل ـ والحال أنّ مَن استشهد أو يستشهد كثير. فشموخ واقعة كربلاء ـ وهي أهل لهذا الشموخ والعظمة، بل هي أسمى وأعظم وقد نفذ أثرها وبركاتها في عمق الوجود البشري – لم يكن إلاّ لحقيقة وروح هذه الواقعة، فهي بكل القضية وجسمها لم يكن ذا حجمٍ يذكر، فهناك أطفال قتلوا في كل بقعة من العالم، بينما قتل في كربلاء رضيع لستة اشهر. الأعداء أبادوا الأهالي في بعض الأماكن وقتلوا مئات الأطفال. القضية ليست مطروحة هنا في بعدها المادي، بل تكمن أهميتها في روحها ومعناها.

روح القضية هي أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يكن يواجه في تلك الواقعة جيشاً كبيراً جرّاراً ولم تكن مواجهته مع الجمع الغفير ـ وإن زاد عدده مائة ضعف ـ بل إن مواجهة الإمام الحسين عليه السلام مع عالم من الانحراف والظلمة، وهذا هو المهم. وهو في الوقت الذي كان يواجه فيه ذلك العالم من الظلمة والظلم والانحراف، كان ذلك العالم يملك كل شيء، ولديه المال والذهب والقوة والكتّاب والشعراء والمحدثون والخطباء.

يا له من موقف رهيب، ترتعد له فرائص الإنسان، ولكن لم يرتعش للإمام الحسين قلب ولا قدم.

ولم تساوره مشاعر الضعف ولم يتردد، وبرز إلى الميدان وحيداً فريداً. عظمة القضية تكمن في أنّ القيام كان للّه.

تشابه موقف النبي والإمام الحسين عليهما السلام

يمكن تنظير موقف الإمام الحسين عليه السلام ومقايسته مع موقف جده رسول اللّه محمّد بن عبداللّه صلى الله عليه وآله في بعثته؛ فكما واجه النبي هناك عالماً بأسره، وقف الإمام الحسين في كربلاء بمواجهة عالم بأسره. فالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لم يعتريه أي خوف، بل صمد وسار إلى الأمام، وكذلك الحال بالنسبة للإمام الحسين عليه السلام الذي لم يرهبه شيء بل ثبت وسار قدماً.

الحركة النبوية والحركة الحسينية كدائرتين متحدتين في المركز متجهتين نحو مسار واحد. وهنا يظهر معنى «حسين مني وأنا من حسين». هذه عظمة موقف الإمام الحسين.

عندما قال الإمام الحسين عليه السلام ليلة العاشر من محرم: «**إذهبوا فأنتم في حل مني وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كل واحد منكم بيد واحد من أهل بيتي فالقوم يطلبوني...**»[1].

لم يكن يمزح في قوله ذاك. نفترض لو أنهم وافقوه وانصرفوا وبقي وحده أو برفقة عشرة اشخاص، هل كان ذلك ينقص من عظمة عمله؟ كلا، بل تبقى له هذه العظمة بعينها.

ولو كان بدل هؤلاء الإثنين والسبعين، اثنان وسبعون ألفاً حول الحسين، هل كان ذلك ينقص من عظمة موقفه؟ أبداً إنّ عظمة موقف الحسين عليه السلام تكمن في ثباته

---

(١) أبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ١٦٤.

واطمئنانه وهو يواجه دنيا تعترضه وتدعي في حقه، فلم يتزلزل، والحال أنّ موقفاً كهذا، يضطرب فيه عامةُ الناس، وحتى المُميزين المتفوقين منهم.

إن عبد اللّه بن عباس ـ وهو شخصية كبيرة مرموقة ـ وجميع أمراء قريش، كانوا في غاية الاستياء من ذلك الوضع. وهكذا كان حال عبداللّه بن الزبير، وعبداللّه بن عمر، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وأبناء كبار الصحابة، وبعض الصحابة. كان في المدينة عدد كبير من الصحابة، وكانوا من ذوي المروءة ـ لا يتصوّرن أحد أنهم لم يكن لهم مروءة وغيرة ـ وهم أنفسهم الذين تصدوا لمسلم بن عقبة وقاتلوه في وقعة «الحرّة» حينما هجم على المدينة وارتكب المذابح فيها بعد سنة من واقعة كربلاء. لا تتصوروا أنهم كانوا جبناء، بل كانوا فرساناً وشجعاناً.

لكن شجاعة البروز إلى ساحة الحرب مسألة، وشجاعة مواجهة عالم برمّته مسألة أُخرى. والموقف الذي خاضه الحسين عليه السلام هو الثاني، وكانت حركته لأجله.

ومن هنا فإنّ حركة إمامنا الكبير كانت حركة حسينية؛ لقد انطوى موقف إمامنا الكبير في عصرنا الحالي على نفحة من حركة الحسين عليه السلام. قد يقول قائل ان الحسين قُتِلَ في صحراء كربلاء عطشاناً، وإمامنا قد حكم وعاش بعز، ولما رحل شيّعته الجماهير.

لكنّ هذا ليس شاخص القضية ومعلمُها بل الأساس هو مواجهة غول عظيم ـ فارغ المحتوى ـ يرافقه كل شيء.

وقد ذكرت في ما مضى ما كان لدى أعداء الإمام الحسين من مال وقوة وفرسان وخطباء، ومبلّغين[١].

---

(١) من كلمة ألقاها في ٣ شعبان ١٤١٧ هـ

الإنحراف في زمن أمير المؤمنين عليه السلام

النظام الإسلامي إنما يعتريه التزلزل حقّاً متى ما نسي امتلاكه لنموذج ومثال عظيم كعلي بن أبي طالب عليه السلام. فيجب أن يكون الحكم العلوي نصب أعيننا على الدوام ونتحرك باتجاهه ونصبو إليه ونعمل من أجله، فأحلام من قاسى الظلم على مر العصور إنما ستتحقق في ظل حكومة تدار بالسيرة العلوية ليس إلّا.

ما الذي قاسته البشرية على امتداد قرون تاريخها الطويل وأية آلام عانتها؟ لقد قاست البشرية من الإجحاف والتمييز والغطرسة وهيمنة القوى الغاصبة وكذلك من القسوة والتقاتل.

ولقد عانت البشرية من الجهل، حيث أطبقت القوى الظالمة على مقدرات البشر، وناءت على الدوام بالجهل والظلم والتمييز، ومنها نجمت أغلب أنواع الحرمان على مر التاريخ، نجمت عن تسلّط الظالمين والغرباء وعن الطبيعة الهمجية والقسوة وإشعال الحروب، وبقيت البشرية تعاني الحرمان من حقوقها الأُصلية والطبيعية؛ والحكومة العلوية تحقق للبشرية العدالة والاستقرار والإيمان بالمعنويات والصفاء والأخوة والسلام والصداقة الحقيقية، لا كالذين يرددون اسم وشعار السلام عالمياً لكنهم هم الذين يؤججون نيران الحروب وهم الذين يثيرون الفتن بين البشر.

إن النظام العلوي والحكومة العلوية تجعل الناس ـ ببركة العدل ـ يعيشون الأمن والاستقرار الحقيقيين، ولو منح أمير المؤمنين عليه السلام الفرصة لَبنا عالماً زاهراً مادياً ومعنوياً ملؤه العدل والإستقرار والسلام الحقيقي لم يسبق للبشرية أن رأت مثله؛

واليوم من المستعصي بلوغ تلكم الأماني إلّا في ظل مثل هذه السيرة. وبناءً على هذا فإن السيرة العلوية تعد درساً أبدياً بالنسبة لنا، لا تتوقف على عام واحدٍ.

وبطبيعة الحال فإن الأهداف الكبرى إنما يتيسر تحقيقها بما يناسبها من الزمن المديد والسعي والمجاهدة، ولا يمكن بلوغها بالخلود إلى الدعة ومجاناً، بل لابد من بذل الجهد والتخطيط.

هنالك اتجاهان فيما يتعلق بمكافحة الفساد: أحدهما إفراط والآخر تفريط؛ فالبعض عندما يجري الحديث عن مكافحة الفساد يتصور أنها ذريعة سياسية لقمع هذا أو ذاك، وهذا خطأ، فمكافحة الفساد هي مكافحة للفساد.. فإذا ما حدد مكمن الفساد في أي من المجتمعات وجرى القضاء عليه توقف الفساد، وإلّا فإنه يستفحل..

والفارق بين النظام الإسلامي والنظام الصالح وبين الأنظمة الفاسدة الهزيلة بوجه استشراء الفساد، هو أن كبار المسؤولين في بلادنا من الغيارى على الشعب ومن ذوي الصلاح، وإن الصلاح هو السائد على برامج البلاد ومسيرتها.

ومن الطبيعي وجود من هو فاسد أيضاً، غاية الأمر أنه يتوجب التصدي له، وهذا النوع من التصدي هو الذي يحدو بالبعض لأن يتصوروا أن مكافحة الفساد عبارة عن حركة سياسية، وهو تصور خاطئ، فهي ليست حركة سياسية، وإنما هي حركة حقيقية وأمر ضروري. فيما يقف آخرون في مقابل ذلك ديدنهم الإفراط؛ فإذا ما جرى الحديث عن الفساد تصوروا أنّ الفساد عمّ الأرجاء! كلا، فليس الأمر كذلك، فما يحفزنا هو وجود الفساد ولو في مفصل واحد أو زاوية واحدة وعلى أيدي أناس معدودين، ونحن نعلم بأنه لو لم تكافح هذه الظاهرة فإنها ستتجذر وتتعمق وبالتالي يستعصي القضاء عليها واستئصالها، وذلك لا يعني استيلاء العناصر الفاسدة والمفسدة على زمام الأمور في كافة الأماكن. كلا، فكثيرة هي العناصر الصالحة المؤمنة الغيورة تتولى عملية التنفيذ وإنجاز مهماتها على أفضل وجه، غاية الأمر أن مفسداً أو

مخرباً واحداً يشوه صورة الآخرين[١].

أنواع النِعم

ثمة نقطة في سورة الحمد. فحينما يدعو الإنسان ربّه: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[٢] يوضح بعدها معنى ذلك الصراط المستقيم في قوله: ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّالِّينَ**﴾[٣] فهو تعالى قد أنعم على كثير من الأقوام والأمم؛ فأنعم على بني اسرائيل: ﴿**يَابَنِى إِسْرَاءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَ إِيَّاىَ فَارْهَبُونِ**﴾[٤] والنعمة الإلهية لا تختص بالأنبياء عليهم السلام والصالحين والشهداء: ﴿**وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً**﴾[٥] هؤلاء أيضاً نالوا النعمة، وكذلك بنو إسرائيل نالوا النعمة.

والذين يُنعم عليهم فريقان:

فريق حينما ينال النعمة لا يتعرض لغضب اللّه، ولا يحقق دواعي الغضب الإلهي ولا يضل سبيل الهداية، وهؤلاء هم الذين ندعوا اللّه أن يهدينا سبيلهم. وعبارة ﴿**غير المغضوب عليهم**﴾[٦] تمثل في الحقيقة صفة ﴿**الذين أنعمت عليهم**﴾ أي أنّ صفة (الذين) هي (غير المغضوب عليهم).

---

(١) من كلمة ألقاها في: ١٤ محرم ١٤٢٣هـ ـ محافظة خوزستان (معسكر دوكوهه).

(٢) سورة الفاتحة: ٥ .

(٣) سورة الفاتحة: ٦.

(٤) سورة البقرة: ٤٠ .

(٥) سورة النساء: ٦٩ .

(٦) سورة الفاتحة: ٧.

أما الفريق الآخر فهم الذين حينما أنعم اللّه عليهم، بدلوا النعمة وتمردوا عليها، ولهذا حلَّ عليهم غضبه. أو أنهم إئتموا بأولئك فضلّوا السبيل.

وتشير رواياتنا إلى أنّ المراد من ﴿**المغضوب عليهم**﴾ هـم اليـهود، وهـذا البـيان مصداق لتلك الحقيقة. لأن اليهود وحتى زمن النبي عيسى عليه السلام، كانوا يحاربون النبي موسى وأوصياءه عن علم وقصد.

أمّا ﴿**الضالين**﴾ فهم النصارى.. إنهم ضلوا بادئ بدء أو ضل أكثرهم على أدنى الاحتمالات، حينما أنعم اللّه عليهم.

أمّا المسلمون فأنزل اللّه عليهم نعمته.. إلّا أنّ النعمة تبدّلت ـ نتيجة لما اقترفوه ـ صوب المغضوب عليهم وصوب الضالين. ولهذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**لما قتل الحسين اشتد غضب اللّه على أهل الأرض**»[١] وذلك لأنه إمام معصوم.

ويفهم من هذا أنّ المجتمع الذي ينال النعمة الإلهية قد يسير في اتجاه يجلب عليه غضب اللّه. ولهذا يجب توقّي أقصى درجات الدقّة والحذر في المسير، وهـو أمـر عسير طبعاً ويستلزم الإنتباه واليقظة.

---

(١) مكيال المكارم: ١/١٢١.

نماذج الإنحرافات قبل عصر الحسين عليه السلام

أورد في ما يلي بعض الأمثلة. فالخواص والعوام أصبح لكل منهما وضعه الخاص به، فإذا ضلَّ الخواص قد يدخلون في خانة «المغضوب عليهم»، أما العوام قد يصبحون في فئة «الضالين». وكتب التاريخ زاخرة طبعاً بالمصاديق والأمثلة. وسأنقل لكم ـ من هنا فصاعداً ـ مما جاء في تاريخ ابن الأثير، وأجتنب النقل من أي مصدر شيعي، بل ولا أنقل حتى من مصادر التاريخ السنيّة التي يشكك السنّة في رواياتها، مثل ابن قتيبة الدينوري؛ إذ جاء في كتابه «الإمامة والسياسة» أمور وقضايا تثير الحيرة.

حينما ينظر المرء إلى مضامين كتاب ابن الأثير الموسوم بـ«الكامل في التاريخ» يشعر بوجود عصبية أموية وعثمانية فيه، وأحتمل أنه انتهج ذلك الأسلوب مداراة لبعض الاعتبارات، فقد نقل هذا المؤرخ عن أحداث مقتل عثمان، إنّ عثمان قتله أهل مصر والكوفة والبصرة والمدينة وغيرهم. وبعدما نقل نصوص وأخبار تاريخية مختلفة يقول: وقد تركنا كثيراً من الأسباب التي جعلها الناس ذريعة إلى قتل (عثمان) لعلل دعت إلى ذلك.

وعند نقله لقصة أبي ذر وكيف أن معاوية حمله إلى المدينة من الشام بغير وطاء، ونفاه من المدينة إلى الربذة بصورة شنيعة، قال: وقد حصلت أمور لا يصح نقلها. وعلى هذا فإمّا أن يكون هذا المؤرخ قد انتهج أسلوباً من الرقابة الشخصية ـ حسب التعبير المعاصر ـ وإمّا أن يكون متعصباً. وهو على كل الأحوال لم يكن شيعياً ولا يميل إلى التشيع، بل يحتمل أنه كان أُموي وعثماني الهوى. وأؤكد ثانية على أنّ كل ما سأورده بعد الآن إنما أنقله عن ابن الأثير هذا.

أنقل في ما يلي أمثلة عن الخواص؛ كيف كان الخواص على امتداد هذه السنوات الخمسين بحيث وصلت الأمور إلى هذا الحد؟ وحينما أُدقق النظر في أحداث وظروف ذلك العصر أُلاحظ أنّ هذه الركائز الأربعة: العبودية، والمعرفة، والعدالة، والمحبة.. قد تزعزعت. واضرب لكم بعض الأمثلة كما وردت في التاريخ عيناً.

كان سعيد بن العاص من بني أُمية ومن أقارب عثمان. وقد تولى بعد الوليد بن عقبة بن أبي معيط ليصلح ما كان قد أفسده الوليد.

قال ذات يوم رجل في مجلسه: «ما أجود طلحة!» ولابدّ أنّ طلحة كان قد وهب أحداً مالاً أو تكرم على شخص. فقال سعيد: «إن من له مثل النشاستج لحقيق أن يكون جواداً» وكانت النشاستج ضيعة كبيرة قرب الكوفة يملكها صحابي الرسول صلى الله عليه وآله، طلحة بن عبدالله الذي كان يعيش حينذاك في المدينة. ثم أردف قائلاً: **«والله لو أنّ لي مثله لأعاشكم الله به عيشاً رغداً»**[1].

قارنوا بين هذا الوضع وبين حالة الزهد في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله والفترة الأولى من بعد رحيله ولاحظوا طبيعة الحياة التي كان يعيشها الأكابر والأمراء والصحابة في تلك السنوات وكيف كانوا ينظرون إلى الدنيا. لقد وصلت الأمور إلى هذا الحد من بعد مضي عشر سنوات أو خمس عشرة سنة فقط!

المثال الآخر هو أبو موسى الأشعري.. والي البصرة ـ وهو الاشعري صاحب الموقف الشهير في قضية التحكيم ـ فقد صعد المنبر ذات يوم، حينما كان والياً على البصرة، كان الناس يستعدون لاحدى الغزوات، فنادى في الناس وحضّهم على الجهاد وذكر شيئاً في فضل الجهاد ماشياً، فترك نفر دوابهم وأجمعوا أن يخرجوا رجّالة طمعاً في الثواب. «فحملوا على فرسهم» أي طردوها من أمام عيونهم لأنها

---

(١) تاريخ الطبري:٣/٣٦١، والكامل في التاريخ:٣/١٣٨.

تحرمهم من الثواب إلا أن جماعة آخرين من العقلاء فضلوا التأمل ومشاهدة حقائق الأمور وقالوا لا نعجل في شيء حتى ننظر ما يصنع؛ فإن أشبه قوله فعله، فعلنا كما يفعل.

جاء في نص عبارة ابن الأثير في هذا الصدد: «**فلما خرج أخرج ثقله من قصره على أربعين بغلاً**»[١].

كانت تلك ممتلكاته الثمينة وكان مضطراً إلى اصطحابها حيثما حل وارتحل وحتى في ميادين الجهاد. وسبب ذلك أنه لم تكن ثمة مصارف أو بنوك في ذلك العصر، أضف إلى أنّ الحكومات لا اعتبار لها، فقد يأتيه الأمر من الخليفة وهو في ساحة الجهاد بعزله من منصبه، وإذ حصل ذلك لا يمكنه الرجوع إلى البصرة وأخذ تلك الأموال، لذلك كان مضطراً لحملها معه. فحمل ممتلكاته الثمينة على أربعين بغلاً وأخذها معه إلى ميدان الجهاد.

فلما خرج جاءه قوم وتعلّقوا بعنانه وقالوا: احملنا على بعض هذه الفضول وارغب في المشي كما رغّبتنا، فضرب القوم بسوطه، فتركوا دابته فمضى. إلا أنهم طبعاً لم يتحملوا ذلك منه بل ذهبوا إلى المدينة وشكوه إلى عثمان، فعزله.

إن أبا موسى الذي كان من صحابة الرسول عليه السلام ومن طبقة الخواص، كان على مثل هذا الحال!

المثال الثالث هو سعد بن أبي وقاص الذي عيّن والياً على الكوفة فروي أن سعداً اقترض مالاً من بيت المال. لم يكن بيت المال بيد الوالي، لأنهم كانوا في ذلك العصر ينصبون الوالي للقيام بأمور الحكومة وإدارة شؤون الناس، وينصبون شخصاً غيره

---

(١) تاريخ الطبري:٣/٣٢٠ ط. الأعلمي، والكامل في التاريخ لابن الأثير:٣/٩٩،ط. دار صادر.

للشؤون المالية وهو مسؤول أمام الخليفة مباشرة. وحينما عين سعد بن أبي وقاص والياً على الكوفة، كان خازن بيت المال عبدالله بن مسعود وكان صحابياً جليلاً.

بعدما اقترض سعد من عبدالله بن مسعود من بيت المال مالاً، تقاضاه ابن مسعود بعد مدّة، فلم يتيسّر له قضاؤه، فارتفع بينهما الكلام، واشتد النزاع وكان هاشم بن عتبة ابن أبي وقّاص حاضراً ـ وهو من أصحاب أميرالمؤمنين وكان رجلاً شريفاً ـ فقال: إنكما لصاحبا رسول الله ﷺ والناس ينظرون إليكما، لا تتنازعا وحاولا حل القضية بينكما على نحو ما.

فخرج ابن مسعود ـ وكان رجلاً أميناً ـ ثم استعان بأناس على استخراج المال من دار سعد بذلك، وهذا يعني أنّ المال كان موجوداً.

ولما علم سعد إستعان – هو الآخر– بأُناس آخرين على منع أولئك. ونتجت عن مماطلة ابن أبي وقّاص في رد الأموال منازعة شديدة.

فإذا كان سعد بن أبي وقاص وهو من أصحاب الشورى الستّة قد وصل به الأمر إلى هذا الحد بعد بضع سنوات بحيث وصف ابن الأثير تلك الحادثة بالقول: «فكان أول ما نُزع به بين أهل الكوفة». فأول نزاع يقع بين أهل الكوفة ـ بتعبير ابن الأثير ـ سببه رجل من الخواص تغلب عليه حب الدنيا إلى هذا الحد.

المثال الآخر هو أنّ المسلمين لما فتحوا بلاد أفريقية وقسموا الغنائم في الجيش، كان يجب عليهم إرسال خمس تلك الأموال إلى المدينة، وكان مقدارها هائلاً. نقل ابن الأثير في موضع آخر أنّ هذا المبلغ حينما أرسل إلى المدينة اشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار. وكان هذا المبلغ ضخماً جداً إضافة إلى أنّ قيمة ذلك الخمس كانت أكبر من ذلك المبلغ بكثير. وكان هذا مما أُخذ على الخليفة عثمان في ما بعد.

وكان عثمان يعتذر عن ذاك طبعاً ويقول: إنه رحمي، وأنا أصل به رحمي لأنه يعيش في ضنك وأنا أُريد مساعدته! وخلاصة القول هي أنّ الخواص كانوا يتهافتون على جمع الأموال.

والقضية الأُخرى هي أنه عزل (عثمان) سعد بن أبي وقاص عن الكوفة واستعمل الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان الأخير من أقارب الخليفة. ولما دخلها تعجب أهلها من تولية هذا الشخص عليهم لأنه كان معروفاً بالحماقة والفساد، وفيه نزلت الآية الشريفة: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾**[١] أي أنّ القرآن وصفه بالفسق، لأنه جاء بخبر عاد بالضرر على البعض في عهد الرسول صلى الله عليه وآله.

أُنظروا إلى المعايير والمقاييس وتبدّل أحوال الناس. فهذا الشخص الذي سماه القرآن الذي كان الناس يقرؤونه يومياً ـ فاسقاً أصبح والياً. وحتى إنّ سعد بن أبي وقاص نفسه، وعبدالله بن مسعود تعجّبا حين شاهداه قادماً إلى الكوفة والياً، وقال له عبدالله بن مسعود لما وقع بصره عليه: «ما أدري أصلحت بعدنا أم فسد الناس ؟ »[٢].

وكانت دهشة سعد بن أبي وقاص من بُعد آخر، حيث قال له: «أكسْت[٣] بعدنا أم حمقنا بعدك؟» فقال له الوليد: «لا تجزعنَّ أبا اسحق، كل ذلك لم يكن إنما هو الملك يتغدّاه قوم ويتعشّاه آخرون»[٤].

فتألم سعد بن أبي وقاص من هذا الكلام؛ فهو من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال

---

(١) سورة الحجرات:٦.

(٢) الغارات:١/٢٥١.

(٣) أكست: من الكيّس وهو العقل والفطنة وجودة القريحة، انظر مجمع البحرين: ٤ / ١٠١.

(٤) البحار: ٣١ / ١٥٢، وشرح إحقاق الحق : ٣٠ / ١١٠.

له: «أراكم جعلتموها ملكاً!».

وروي أنّ عمر سأل سلمان ذات مرّة: «أملك أنا أم خليفة؟». وكان سلمان شخصية كبيرة ومحترمة وهو من الصحابة الكبار ولرأيه وزن كبير. فقال له سلمان: إنّ أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر ووضعته في غير حقّه فأنت ملك لا خليفة. لقد بيّن له المعيار.

قال ابن الأثير: فبكى عمر[1]. فقد كانت موعظة عميقة المغزى حقّاً. فالقضية قضية خلافة، والولاية والخلافة معناها الحكومة المقرونة بالمحبّة وبالتلاحم مع الجماهير، ويواكبها عطف وحنو على أبناء الشعب، وهي ليست تسلط أو تحكم، في حين لا تحمل الملكية مثل هذا المعنى ولا شأن لها بشؤون الناس؛ فالمَلِك حاكم متسلط يفعل ما يشاء.

هكذا كان حال الخواص، وإلى هذا الحد انتهى بهم المآل خلال تلك السنوات.

وهذا ما حصل طبعاً في عهد الخلفاء الراشدين الذين كانوا يولون أهمية للتمسك بالأحكام، بسبب معايشتهم فترة طويلة لعهد الرسول الأعظم الذي لازال صداه ﷺ يدوي في المدينة حتى ذلك الحين، وكان شخص كعلي بن أبي طالب عليه السلام حاضراً في ذلك المجتمع. ولكن بعد انتقال مركز الخلافة إلى دمشق تجاوزت القضية تلك الحدود كثيراً.

كانت هذه أمثلة بسيطة لما كانت عليه أحوال الخواص. ولو نقّب شخص في تاريخ ابن الأثير أو المصادر التاريخية الأُخرى المعتبرة لدى الأخوة المسلمين لعثر على آلاف ـ وليس مئات ـ الأمثلة من هذا القبيل[2]. لأنه من الطبيعي حينما تضيع

---

(١) الكامل لابن الأثير: ٥٩/٣، ط. دار صادر.

(٢) لقد ذكرنا تفصيل ذلك في موسوعة أهل البيت عليهم السلام.

العدالة، وحينما تزول عبودية اللّه، يصبح المجتمع مجتمعاً خاوياً وتفسد النفوس.

فذلك المجتمع حين يصل به التهافت على حطام الدنيا واكتناز الثروة إلى ذلك الحد، والشخص الذي ينقل فيه المعارف للناس هو كعب الأحبار اليهودي الذي أسلم لاحقاً ولم يدرك عهد الرسول الأعظم ﷺ؛ فهو لم يدخل الإسلام في عهد الرسول ولا في عهد أبي بكر وانّما في عهد عمر، وتوفي في عهد عثمان.. ما بالُك بذلك المجتمع؟!

يقول البعض إن تسمية هذا الرجل بكعب الأخبار خطأ، وإنما هو «كعب الأحبار»، والأحبار جمع حبر، والحبر هو عالم اليهود. فهذا الرجل كان قطب علماء اليهود.. وثب فدخل في الإسلام، ثم أخذ يتحدث في مسائل الإسلام. وكان ذات يوم جالساً في مجلس عثمان إذ دخل أبو ذر، فقال قولاً أغضب أبا ذر، فقال أبو ذر: مالك ههنا؟ أتعلّمنا الإسلام وأحكامه ونحن سمعناها من رسول اللّه ﷺ ؟

حينما تفتقد المعايير وتضيع المقاييس وتتقوّض القيم، وتفرغ القضايا من المحتوى .. وتقتصر على الظواهر، وحينما يستولي حب الدنيا وجمع المال على أُناس قضوا عمراً مديداً بالعزة والزهد في زخارف الدنيا وقُيّض لهم نشر تلك الراية عالياً، حينها يتصدى لشؤون الثقافة والمعرفة مثل ذلك الشخص الذي اعتنق الإسلام لاحقاً ويطرح باسم الإسلام ما يراه هو شخصياً لا ما يقوله الإسلام، ثم يريد البعض تقديم قوله على قول مُسلِمٍ لهُ سابقة في الإيمان!

هذا حال الخواص.

ثم إنّ العوام يتبعون الخواص ويسيرون وراءهم حيثما ساروا. ولهذا فإنّ من أكبر الجرائم التي ترتكبها الشخصيات البارزة المتميّزة في المجتمع هو انحرافها؛ لأن انحرافها ينتهي إلى انحراف الكثير من الناس الذين إذا رأوا القيم قد خُرقت وأن الأعمال تناقض الأقوال وتناقض ما جاء في سنة الرسول، تجدهم يسيرون هم أيضاً

في هذا المسار أُسوةً بالخواص.

وأنقل لكم مثلاً عن عامة الناس.. كتب والي البصرة إلى الخليفة يذكر له كثرة أهل البصرة وعجز خراجهم عن المصارف، وسأله أن يزيد أهل البصرة خراج مدينتين. ولما بلغ أهل الكوفة ذلك سألوا واليهم عمار بن ياسر ـ الرجل النبيل الذي بقي صامداً كالطود الشامخ.. ولا شك في أنه كان هناك أشخاص لم تهزّهم الهزاهز إلا أنّ عددهم كان قليلاً ـ أن يكتب للخليفة يطلب منه أن يزيدهم خراج مدينتين. إلا أنه رفض تلبية طلبهم فأبغضوه لذلك وشكوه إلى الخليفة، فعزله عن الولاية.

ووقع مثل هذا لأبي ذر ولآخرين، ولعل عبدالله بن مسعود كان أحدهم. فحينما لا تراعى مثل هذه الجوانب يتجرد المجتمع حينها من القيم. وهنا تكمن واحدة من تلك العبر.

أهمية التقوى

إعلموا يا أعزائي أنّ المرء لا يقف على حقيقة مثل هذه التطورات الإجتماعية إلا بعد مرور وقت طويل. وهذا ما يوجب علينا الإنتباه والحذر والمراقبة؛ وهو معنى التقوى.. فالتقوى معناها أنّ يتحرّز على نفسه من ليس له سلطان إلا على نفسه، وأن يتحرّز على نفسه وعلى غيره من له سلطان على غيره أيضاً. أما الذين يقفون على رأس السلطة فيجب عليهم التحرز على أنفسهم وعلى المجتمع كلّه لكي لا ينزلق نحو التهافت على الدنيا والتعلق بزخارفها، ولا يسقط في هاوية حب الذات.

وهذا لا يعني طبعاً الانصراف عن بناء المجتمع، بل يجب بناء المجتمع والاستكثار من الثروة، ولكن لا لأنفسهم، فهذا مستقبح. كل من لديه قدرة على زيادة ثروة المجتمع والقيام بإنجازات كبرى، يكسب ثواباً عظيماً. لقد استطاع البعض خلال هذه السنوات بناء البلد ورفع راية الاعمار عالياً وانجاز أعمال كبرى، وهذه مفخرة

لهم، ولا يدخل عملهم هذا في إطار حب الدنيا. وإنما يصدق حب الدنيا فيما لو كان المرء يطلب النفع لذاته ويعمل لنفسه، أو يفكر في جمع الثروة لنفسه من بيت مال المسلمين أو من غيره. وهذا هو التصرف القبيح.

يجب إذن الحذر من الوقوع في مثل هذه المنزلقات، وإذا انعدم الحذر ينحدر المجتمع تدريجياً نحو التخلي عن القيم ويبلغ مرحلة لا تبقى له فيها سوى القشرة الخارجية، وقد يأتيه على حين غرّة ويفاجئهُ ابتلاء شديد ـ كالابتلاء الذي تعرض له ذلك المجتمع حين اندلاع ثورة أبي عبدالله الحسين عليه السلام ـ فلا يخرج منه ظافراً.

الإنحراف في عهد الحسين عليه السلام

عُرضت على عمر بن سعد ولاية الري. وكانت الري في ذلك الوقت ولاية شاسعة وغنيّة. ولم يكن منصب الإمارة (على عهد بني أُمية) كمنصب المحافظ في الوقت الحاضر؛ فالمحافظون اليوم موظفون حكوميون يتقاضون مرتبات ويبذلون جهوداً شاقّة. ولم يكن الأمر حينذاك على هذا النحو. الشخص الذي يُنصب والياً كان مطلق اليد في التصرف بجميع الثروات الموجودة في تلك المدينة يتصرف فيها كيف يشاء بعد أن يرسل مقداراً منها إلى عاصمة الخلافة. ولهذا كان لمنصب الوالي أهمية عظمى.

ثم شرطوا تولّيه الري بمحاربة الحسين عليه السلام.

من الطبيعي أنّ الإنسان النبيل وصاحب القيم لا يتردد لحظة في رفض مثل هذا العرض، ما قيمة الري وغير الري؛ لو وضعت الدنيا بين يديه فلا يعبس بوجه الحُسين عليه السلام لا يكفهر بوجه الحسين؛ فما بالك بالنهوض لمحاربة عزيز الزهراء عليها السلام وقتله هو وأطفاله.

هكذا يقف الإنسان الذي يحمل قيماً. ولكن حينما يكون المجتمع خاوياً ومجرداً

من القيم، وحينما تضعف هذه المبادئ الأساسية بين أفراد المجتمع، ترتعد الفرائص عند ذاك، وأكثر ما يستطيع المرء عمله في مثل هذا الموقف هو أنه يستمهلهم ليلة واحدة للتفكير في الأمر. وحتى لو أنه فكر سنة كاملة لوصل إلى نفس النتيجة ولاتخذ نفس القرار؛ إذ لا قيمة لمثل هذا النمط من التفكير، إلا أنّ الرجل فكر في الأمر ليلة وأعلن في اليوم التالي عن موافقته على ذلك العرض. لكن اللّه تعالى لم يمكنه من بلوغ تلك الغاية.

وكانت نتيجة ذلك أن وقعت فاجعة كربلاء[١].

---

(١) من كلمة ألقاها في ١١ محرم ١٤١٩ هـ ق ـ طهران.

خلود الإمام الحسين عليه السلام الذي أنار التاريخ

معنى الخلود

إنّ كلاً من هذه الشخصيات التي أنارت التاريخ بشكل أو بآخر ـ الحسين بن علي عليه السلام والإمام السجاد عليه السلام وأبو الفضل العباس عليه السلام كان البعض يظن في حقها وفي عهدها، ظناً مادياً باطلاً، بأن هذه الشخصيات قد اندثرت بالكامل.

إستشهد الإمام الحسين عليه السلام في الغربة مع جميع من كان معه من الشباب والشخصيات البارزة من عائلته ـ الأخوة والأولاد والأقارب والصحابة الغيارى ـ ودفنوا في منتهى الغربة، ولم يُشيَّعوا، ولم يقم أحد عليهم العزاء.

ظن البعض باطلاً أن بقاء هذه الثلة قد يثير عندهم غريزة الانتقام، كما كان ذلك البعض يتصور أنّ المسألة ستنتهي بالقضاء على الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه.

يبدو ظاهرياً أن الإمام السجاد عليه السلام عاش بعد الإمام الحسين عليه السلام مدة أربع وثلاثين سنة في حالة انزواء دون أن يشكّل تكتلاً أو جماعة أو عسكراً أو تمرداً. أما أبو الفضل فقد استشهد في يوم عاشوراء.

لقد كانت تصورات القوى المادية ـ التي تحكم الناس بمنطق مادي ـ أن الأمر قد انتهى بمجرد القضاء على هذه الشخصيات؛ لكن واقع الأمر كان مختلفاً عمّا كانوا

يتصورون، فلم يُقضَ عليهم، بل خلدوا، وأخذ جلالهم وجاذبيتهم وتأثيرهم يزداد يوماً بعد آخر، فقد استولوا على قلوب الناس وفتحوها، فزادوا من دائرة وجودهم.

واليوم يتبرك بأسمائهم مئات الملايين ـ من الشيعة وغير الشيعة ـ وينهلون من كلامهم، ويبجّلون ذكراهم؛ إنه النصر في التاريخ، نصر حقيقي وخالد.

سبب خلود واقعة عاشوراء

إنّ السؤال الذي ينصرف إليه الذهن هو: ما واقع الأمر؟ وما هو سبب البقاء والخلود؟

برأيي أنها من الحقائق الأساسية، وفي الوقت نفسه من أوضح الحقائق وأشدها رواجاً في حياة البشرية، إلا أن شأنها شأن جميع الحقائق الواضحة والبديهية، فلا يلتفت إليها ذهن الغافل.

إن حقائق العالم جميعها حقائق مهمة؛ كالشمس والقمر والليل والنهار ومجيء الفصول المختلفة، والحياة والموت؛ إن للإنسان في كلٍّ من هذه الحوادث درساً جديراً بالتدبّر، إلّا أنّ الغافلين لا يلتفتون إليها، بينما يعتني بها المتدبرون وينهلون منها زادهم.

نوعان من عوامل القدرة

إن الحقيقة التي أشرنا إليها هي من تلك الحقائق الواضحة التي كانت على مرّ العصور؛ وهي أنّ هنالك نوعين من عوامل القدرة: نوع من العوامل المادية، والنوع الآخر هو القدرة الناشئة عن عوامل معنوية.

إن عوامل القدرة المادية هي المال والقوة والتي مارسها الجبابرة على طول التاريخ، ولم يكتب البقاء لهذه القدرة إلّا أياماً معدودة. انظروا إلى جبابرة العالم حيث

عمّروا طويلاً خاضوا فيه المعارك وسعوا ومارسوا السياسة لأجل اقتطاف ثمار ما دامت لهم إلّا سنوات قليلة؛ أي لا شيء في الواقع.

عوامل القدرة المعنوية سبب الخلود

إلّا أنّ هناك عوامل للقدرة المعنوية، وهي الإيمان والطهر والتقوى والصدق والحقانية، والقيم الدينية مقترنة مع الجهاد والسعي؛ فهذه القدرة قدرة خالدة، وهذه القدرة لا تعني الأخذ والتكنيز والربح والتمتع، بل هي قدرة التاريخ الخالدة، وقدرة التحكم بمصير البشرية؛ كما هو الحال بالنسبة للأنبياء عليهم السلام، فهم أحياء حتى اليوم. كما أن زعماء العدل والحق لازالوا أحياءً في تاريخ البشرية.

وما يعني ذلك؟ إنّ ذلك يعني أنّ النهج الذي سعوا وجاهدوا وناضلوا في سبيل توطينه في نفوس البشرية، أصبح خالداً وصار مفهوماً لازالت البشرية تنهل منه الدروس.

إن الخيرات والصالحات والمحاسن التي نجدها عند البشرية اليوم ناشئة من تلك الدروس وهي استمرار لمساعي الأنبياء عليهم السلام والمصلحين والخيّرين، فهذه تبقى وتخلد.

إنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يملك عوامل القدرة المعنوية، ورغم أنه استشهد في النهاية، إلّا أن جهاده ما كان لأجل التمتع بلذائذ الدنيا لأيام معدودة، لكي نقول إنه خسر المعركة بشهادته؛ بل إن جهاده كان لأجل إبقاء منهج التوحيد وحكومة الله ومنهج الدين والنجاة وصلاح الإنسان، وتخليد هذا المنهج في حياة البشرية؛ وكان ذلك في وقت يسعى فيه البعض لأن يمحو هذا المنهج كلياً، وأنتم ترون نماذج من أولئك اليوم!

في وقت ما كانت هذه القضايا تعد تصورات ذهنية إذا ما طرحت، إلّا أنّ هذه الحقائق الذهنية تحققت اليوم وأصبح لها واقع، حيث ترون أن جبابرة عالم اليوم ينفقون الأموال ويصرون في ممارساتهم لأجل الحؤول دون تحكم الدين، ولأجل محو الدين من الدنيا..

حصل في جزء من العالم أن انتفض شعب، وحكم القيم الدينية خلافاً لرغبات الجبابرة. وهذا درس للعالم والشعوب الأخرى.. إن مساعيهم اليوم هي لا لأجل إسقاط النظام فحسب، بل لأجل محو أصل المسألة من ذهن البشر ومن مجموعة الدروس الخالدة، للحؤول دون تعليم هذا الدرس للآخرين لا اليوم ولا في المستقبل. إن مساعيهم الإعلامية لأجل هذا. وإلّا فإنا إذا فرضنا أن نظاماً صاحب رؤية وحقيقة وفكر وإيمان كان قائماً هيكلياً ومفارقاً لأفكاره وروحه؛ فالشخصيات فيه موجودة إلا أنها بريئة من أفكاره وروحه، إن هكذا نظام نظام فاشل، ومحقق لمآرب أعدائه.

إن زوال الدين هو المهم عندهم، وأهمية ذلك أكثر من أهمية القضاء على الشخصيات، وأكثر من القضاء على التكتلات السياسية والعسكرية التي لا يرتضونها. المهم هو القضاء على الفكر والأهداف والدوافع.

تحكيم الدين هو العامل للقدرة المعنوي

إن أعظم سر للفشل هو أن يصرح رافعو الراية وزعماء الدعوة بخطئهم! إنكم من ذوي الفكر والتحليل، وترون الدنيا اليوم تبحث عن هذا؛ إن هذا هو الهم وهو الهدف الرئيس للجهاز الاستكباري أزاء المسلمين والجمهورية الإسلامية.

إن الأنبياء عليهم السلام والأولياء والصالحين والشهداء وعظماء التاريخ نجحوا في هذا الجزء من القضية، وهو الجزء الأهم، فالإنسان يموت في نهاية أمره، وكذا الجبابرة والمالكون والمنتفعون، وهذا ليس مهماً، المهم هو بقاء وخلود ذلك الخط والمنهج، والطريق الذي يشار إليه بالبنان، وهذا ما نراه حالياً، فإن الطريق خلد، ولا يزال يتسع ويشغل حيزاً أكبر.

في يوم من أيام أول قرنين مضيا على تجديد الحياة الصناعية في أوروبا حيث توجهوا إلى العلم، تصوروا أنّ الدين رحل من الدنيا. وإن ما ترون اليوم من أفكار يجريها بعض القادمين تواً إلى ساحة الفكر والسياسة على ألسنتهم هي في الحقيقة كلمات فلاسفة وساسة أوروبا في القرن التاسع عشر، كانوا يتصورون أنّ الدين قد انتهى، وتجربتهم في هذا المجال تكشف عن أنّ الدين ملوث بالخرافات وممتزج بالظلمات، وما استطاع المقاومة أمام العلم، وولى. إنهم تصوروا أنّ الدين في أي بقعة من العالم هو نفسه الذي كان في أوروبا، أي من نفس النوع المسيحي، والتدين هو نفسه في أي مكان وجد، وكذا التعصبات وما تخللها من فساد كبير.

إنهم تصوروا أنّ الدين قد انتهى، وقد انحلت مشكلة الدين في الدنيا، فبدأوا

بتقويم وترتيب ـ حسب تصورهم ـ ما ترسب في أعماق البشر وزوايا وجودهم من الدين والتدين، وأخذوا بهدم ذلك المقدار من الدين.

إنكم تلاحظون اليوم أنّ الدوافع الدينية والتوجه إلى الدين وإلى المعنوية، وبخاصة في ذلك المجال المشترك والخالص من الدين ـ أي الجانب المعنوي وما تهوى إليه القلوب من المعنوية قد ملأ الدنيا وأخذ بالازدياد يوماً بعد آخر، لكن ما يؤسف له أنّ هذا الشعور العرفاني شعور سطحي في الأماكن التي لا تحظى ببنى إعتقادية وفكريّة على غرار البُنى التي يتمتع بها الإسلام.

إنّ البنى إذا بلغت المستوى الموجود في الإسلام فإنّ الشعور والأحاسيس الناشئة منها ستصبح قيمة للغاية.

وعلى هذا فقد حصل عكس ما توقّعوه؛ وهذا هو العامل المعنوي للقدرة؛ وهو عينه ما حصل في الثورة، وهو ذاته ما حصل لحرّاس الثورة[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في ٤ شعبان ١٤٢٠ هـ ـ طهران.

خصائص النهضة الحسينيّة

رمز خلود نهضة الحسين عليه السلام

لقد ثار الكثيرون في العالم وقتلوا وكان لهم قادة، وكان بينهم الكثير من أبناء الأنبياء والأئمة عليهم السلام، لكن سيد الشهداء عليه السلام فرد واحد، وواقعة كربلاء فريدة في نوعها، ومكانة شهداء كربلاء منحصرة بهم، لماذا؟

يجب البحث عن الإجابة في طبيعة هذه الواقعة لتكون لنا درساً.

الإخلاص في خروج الحسين عليه السلام

إنّ إحدى خصائص هذه الواقعة هي أنَّ خروج الإمام الحسين عليه السلام كان خالصاً للّه تعالى، ولإصلاح المجتمع الإسلامي، وهذه خصيصة هامّة. فعندما يقول الإمام عليه السلام: «**إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً**» فمعناه أنّ ثورتي لم تكن للرياء والغرور وليست فيها ذرّة من الظلم والفساد، بل «**إنّما خرجت لطلب الاصلاح في أُمّة جدّي**» أي أنّ هدفي هو الإصلاح فقط ولا غير.

إنّ القرآن الكريم حينما يخاطب المسلمين في صدر الإسلام يقول: **﴿ وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَ رِئَاءَ النَّاسِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ اللَّهُ**

بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[١] ، وهنا الإمام عليه السلام يقول: «**إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً**»[٢].

تأمّلوا جيداً، فهنا نهجان وخطّان. فالقرآن يقول لا تكونوا مثل الذين خرجوا «بطراً» أي غروراً وتكبّراً، ولا أثر للإخلاص في تحرّكهم، وانّما المطروح في هذا المنهج الفاسد هو «أنا» و«الذات»، و«رئاء الناس»، أي انّه تزيَّنَ ولبس الحلي وامتطى جواداً غالياً وخرج من مكّة وهو يرتجز، إلى أين؟ إلى الحرب، التي يهلك فيها أمثال هؤلاء أيضاً، فهذا خطّ .

وهناك خطّ ونهج آخر ومثاله ثورة الإمام الحسين عليه السلام، والتي لا وجود للـ«أنا» وللـ«ذات» والمصالح الشخصية والقومية والحزبية فيها أبداً، إذاً هذه أول خصيصة من خصائص ثورة الحسين بن علي عليه السلام.

فكلّما ازداد الإخلاص في أعمالنا كلّما ازدادت قيمتها، وكلّما ابتعدنا عن الإخلاص كلّما اقتربنا من الغرور والرياء والعمل للمصالح الشخصية والقومية، وكلّما ازدادت الشوائب في الشيء كلّما أسرع في الفساد، فلو كان نقيّاً وخالصاً لما فسد أبداً.

ما كان لله ينمو وما كان للشيطان يضمحل

وإنْ أردنا إعطاء مثال بالأمور المحسوسة، نقول: إذا كان الذهب خالصاً ونقياً فلا يقبل الفساد والصدأ أبداً، وإنْ كان مخلوطاً بالنحاس والحديد وبقية المواد الرخيصة الثمن، إحتمل الفساد أكثر، فهذا في المادّيات.

أمّا في المعنويات فإنّ هذه المعادلة أكثر دقّة، إنّما نحن لا نفهمها بسبب نظرتنا المادية، لكن يدركها أهل الفن والبصيرة، وإن الله تعالى هو الناقد في هذه الواقعة،

---

(١) سورة الأنفال:٤٧ .

(٢) شرح إحقاق الحق: ٦٠٢/١١.

«فانّ الناقد بصير»، فوجود شائبة بمقدار رأس إبرة في العمل يقلّل من قيمة العمل بالمقدار نفسه، وحركة الإمام الحسين عليه السلام من الأعمال التي ليست فيها شائبة ولو بمقدار رأس إبرة، لذا هو باقٍ الى الآن وسيبقى خالداً الى الأبد.

فمن توقّع خلود آسم وذكر أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأنصاره في التاريخ؟ أُولئك الذين قُتِلوا غرباء في تلك الصحراء وحيث دفنوا فيها رغم كلّ الإعلام المعادي في ذلك الوقت، وكيف أنّهم أحرقوا المدينة بعد استشهاد هذا العظيم بسنة في واقعة الحرّة، أي أنّهم نتفوا الورود بعد أن خرّبوا الروضة، فمن توقّع أن يفوح عطرها؟ وبأيّة قاعدة مادّية يُتصور بقاء وردة في هذه الروضة؟ لكن تلاحظون أنّه كلما مرّ الزمان عليها كلّما أصبحت تلك الروضة أكثر عطراً.

فهناك أناس لا يعتقدون بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله الذي هو جدّ الحسين عليه السلام والحسين سائر على نهجه، ولا يعتقدون بأبيه علي عليه السلام ولا يؤمنون بحرب الحسين عليه السلام، لكنهم يقبلون الحسين عليه السلام ويعظّمونه، فهذا هو الخلوص، وهذه هي النكتة الأولى.

الإخلاص في ثورة الإمام الخميني

وفي ثورتنا العظيمة كان الإخلاص سبباً لبقائها، ذلك الجوهر الخالص الذي كان الإمام مظهره. ارجعوا الى تلك الذكريات وتلك التضحيات في سوح الحرب، ذلك الحر المهلك في الصحاري والبراري، ذلك الشتاء القارس في الجبال، ذلك الرعب والخوف والخطر المستمر في سوح القتال، تلك المحاصرة، قلة القوات التي كنّا نتحمّس كثيراً لإعداد عدد قليل منها، عدم امتلاك الأسلحة حيث كنا نركض وراء مسدس أو قذيفة. تذكّروا كلّ هذا واستشعروا تلك الأيام، لتدركوا لماذا كانت كلّ هذه المؤامرات ضدّ الثورة؟ ولماذا تستمر إلى الآن؟ لكن بقيت هذه الشجرة راسخة.

إنّ هذا الجوهر (الاخلاص) هو الذي حفظها، إن إخلاص الإمام (ره) والشعب

خاصة إخلاص أُولئك المقاتلين في سوح القتال ـ وأنتم من أفضلهم وأمثلهم ـ هو الذي حفظ الثورة ودعم استمرارها، إذاً هذه نكتة يجب الاهتمام بها دائماً، وأنا أحوج من غيري الى هذا الاهتمام.

غربة الحسين عليه السلام وأثرها في المعركة

إنّ النكتة الأخرى في ثورة الحسين عليه السلام ـ وهي مهمة أيضاً ـ وهذه النكتة وإنْ كانت ترجع الى قوة الإخلاص، لكنها في نفسها مهمة نظراً لوضعنا اليوم، وهذه النكتة هي غربة الحسين عليه السلام، فلا يوجد في أيّة واقعة من الوقائع الدامية في صدر الإسلام غربة ووحدة كما في واقعة كربلاء، فمن رغب فليتأمل في تاريخ الإسلام. إنّني أمعنت جيداً فلم أجد واقعة كواقعة كربلاء.

ففي حوادث صدر الإسلام وغزوات النبي صلى الله عليه وآله وحروب أمير المؤمنين عليه السلام كانت حكومة ودولة وجنود يشاركون في الحرب، ومن ورائهم أدعية الأمهات، آمال الأخوات، تقدير الحضور وتشجيع القيادة العظيمة للنبي صلى الله عليه وآله أو لأميرالمؤمنين عليه السلام، كانوا يضحّون بأنفسهم أمام النبي صلى الله عليه وآله، وهذا ليس صعباً. فكم من شبابنا قدّموا أرواحهم لدى سماعهم نداءاً من الإمام، وكم منّا من يأمل في إشارة من الولي الغائب المفدى عجل الله تعالى فرجه لنضحّي بأنفسنا.

فعندما يرى الإنسان القائد بعينه ويشاهد تقدير وثناء من خلفه ويعلم أنه يقاتل ليهزم العدو ويأمل بالنصر، فإنّه يقاتل براحة أكبر، وهكذا حرب ليست صعبة، طبعاً هناك حوادث في التاريخ فيها الغربة نسبياً كحوادث أبناء الأئمة والحسنيّون في عصر الأئمة عليهم السلام، لكن هؤلاء كانوا يعملون في ظلّ إمام كالإمام الصادق عليه السلام، والإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وكالإمام الثامن عليه السلام، وقائدهم وسيّدهم حاضر يسندهم ويتفقّد عيالهم، فكان الإمام الصادق عليه السلام يأمرهم بقتال الحكام الفسدة

ويقول «**وعليّ نفقة عياله**»[١] وكان المجتمع الشيعي ظهراً لهم، وبالنهاية كان لهم أمل خلف ساحات الحرب، لكن في واقعة كربلاء، فإنّ أُسّ القضية ولبّ لُباب الإسلام المقبول من الجميع أي الإمام الحسين عليه السلام في ميدان الحرب، ويعلم هو وأصحابه أنه سيستشهد ولا أمل له في أي أحد في هذا العالم الواسع وهو غريب ووحيد.

ومن رجالات الإسلام ذلك اليوم من لا يغتمّ لقتل الحسين عليه السلام بل يعتبر وجوده مضراً بحاله، ومنهم من لا يبالي بالقضية وإن حزن لقتله عليه السلام (كعبدالله بن جعفر وعبدالله بن عباس وأمثالهم).[٢].

فلم يكن للإمام عليه السلام أدنى أمل بمن هم خارج ميدان القتال المليء بالمحن، فما كان موجوداً فهو في ميدان القتال فقط.

والأمل مقتصر على هذا الجمع، والجمع مسلّم للشهادة، وبعد الاستشهاد لا يقام لهم مجلس فاتحة حسب الموازين الظاهرية، فيزيد متسلّط على كلّ شيء، وتُساق نسائهم أُسارى ولا يُرْحَم أطفالهم «**لا يوم كيومك يا أبا عبدالله**» فلولا الإيمان والإخلاص والنور الإلهي في قلب الحسين ابن علي عليه السلام والذي بعث الحرارة في قلوب الصفوة المؤمنة حوله لما تحقّقت تلك الواقعة، فانظروا الى عظمة هذه الواقعة.

(١) أنظر الوسائل: ٥٤/١٥، ح١٩٩٧٥.

(٢) من كلمة ألقاها في ٣ شعبان ١٤١٤ هـ

لا يُقارَن أحد بشهداء كربلاء

فالخصيصة الثانية لهذه الواقعة هي غربتها. لذا قلت مراراً انّه يمكن مقارنة شهدائنا بشهداء بدر وحنين وأُحد وشهداء صفين والجمل، بل شهدائنا أرفع منزلة من كثير من هؤلاء الشهداء، لكن بشهداء كربلاء، فلا يقارن أحد بشهداء كربلاء، لا اليوم ولا في الماضي، لا في صدر الإسلام ولا أبداً الى أن يشاء اللّه .

إنّ هؤلاء هم صفوة الشهداء، فلا نظير لعلي الأكبر ولحبيب بن مُظاهر.

فهذه واقعة كربلاء ـ أعزّتي ـ وهذه هي القاعدة الراسخة والمتينة التي حفظت الإسلام على مدى ألف وثلاثمائة وعدّة سنوات رغم كلّ العداء له. فهل تتصورون أنّ الإسلام يبقى لولا تلك الشهادة وذلك اليوم وتلك الواقعة العظمى؟ بل تيقّنوا بمحو الإسلام في أُتون الأحداث، نعم قد يبقى العنوان كدين تاريخي مع عدد قليل من الأتباع في زاوية من زوايا العالم، وقد يبقى إسم وذكر للإسلام لكن تمحى حقيقته[1].

حفظ طريق الشهداء

إنّ ما يتسم بالأهمية – في كلّ زمان – هو حفظ طريق الشهداء، بما يعنيه من حراسة دماء الشهداء، وهذا أول واجباتنا، ونحن مسؤولون قبال الشهداء، وليس هناك من هو مكلف، وآخر غير مكلف، إلا أنّ المتصدين والمسؤولين ـ كبرت مسؤوليتهم أو صغُرت ـ تثقل أعباؤهم بمثل هذا التكليف أكثر من سواهم.

---

(١) من كلمة ألقاها في ٣ شعبان ١٤١٤ هـ

الشهيد معنى كبير وحقيقة تثير الدهشة، ولكن بما أننا اعتدنا على مشاهدة الشهداء، وكثيراً ما شهدنا معالم التضحية والفداء والعظمة والطريق الذي انتهى بهم إلى الشهادة، بقيت هذه الحقيقة الوضّاءة خافية عنّا؛ كحقيقة الشمس التي تبقى لشدّة ظهورها خافية على من يراها على الدوام.

شهداء الحسين عليه السلام منار الدروب

في ما مضى حينما كان الحديث يدور حول مثال من شهدائنا في العصر الحاضر، أو من شهداء صدر الإسلام ويشار إلى سلوكه وسيرته، كانت ثمة تغيّر واضح ومدهش يحصل في القلوب وفي النفوس، وحتى في الأعمال والنوايا.

فكل واحد من هذه الكواكب المنيرة بإمكانه أن يُضيء عالماً بأسره، ومعنى هذا أنّ حقيقة الشهادة حقيقة عظمى. ولو بقيت هذه الحقيقة حيّة على يد مَن تقع على عاتقهم اليوم مسؤولية أزاء الشهداء، وتحفظ لها قدسيّتها ومكانتها، سيبقى تاريخنا المقبل يستقي العبر من تضحياتهم الكبرى، مثلما بقي التأريخ إلى يومنا هذا يستقي المثل السامية من دماء سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه الصلاة والسلام التي أريقت ظلماً؛ لأن ورثة تلك الدماء استثمروها في غاية الحكمة والتدبّر وبأروع الأساليب وأبدعها للحفاظ على ثمارها.

حفظ دماء شهداء الحسين عليه السلام

ولعل حفظ دماء الشهداء لا يقل في مشقته أحياناً عن الشهادة ذاتها. والمشاق التي تحمّلها الإمام السجاد عليه السلام على مدى ثلاثين سنة، والصعوبات التي كابدتها زينب الكبرى (عليها السلام) سنوات طويلة، تدخل في هذا السياق؛ فقد كابدوا الكثير حتى استطاعوا حفظ هذه الدماء، ومن بعدهما لقي جميع الأئمة (عليهم السلام) مثل هذا

العناء حتى عصر الغيبة.

ونحن اليوم مكلفون بمثل هذا الواجب، مع اختلاف ظروف اليوم عما كانت عليه آنذاك؛ فحكومة الحق ـ أي حكومة الشهداء ـ قائمة اليوم والحمد للّه، فنحن إذن في ظلها مكلفون بمسؤوليات جسيمة.

للشهداء حركتان وموقفان

يستشف المرء من عموم القضية أنّ للشهداء حركتان وموقفان في منتهى الروعة والعظمة، وكل واحد منهما يحمل نداءً عميقاً؛ أحدهما، موقف من الإرادة الإلهية المقدسة، وأزاء دين اللّه وعباده الصالحين.

والموقف الآخر أمام أعداء اللّه. ولو أنكم وضعتم موقف الشهيد ومعنوياته ودوافعه، موضع التمحيص والدراسة لأتضح لكم هذان الموقفان.

الحسين عليه السلام قدوة للإيثار

أمّا ما يتعلق باللّه وعباده وأوامره وكل ما له صلة بذاته المقدسة، يتلخص بالإيثار والتضحية؛ فالشهيد قد آثر وضحّى للّه. الإيثار معناه إنكار الذات وعدم إدخالها في الحسبان. وهذا أول موقف للشهيد. فلو أنه أقحم ذاته في الحسابات وظنَّ بها ولم يخاطر لما بلغ هذه المنزلة.

الشبان الذين قصدوا سوح الوغى وضحوا بأنفسهم على رمضاء خوزستان التي تصل حرارتها ٦٥ درجة، أو على جبال كردستان وبردها القارص والثلوج أو غيرها من أماكن الجهاد في العالم، كانت لهم مساكن وأُسر، وكان لكل منهم أبوان عطوفان، وزوجة عزيزة، والبعض منهم كان لهم أطفال يمثلون بالنسبة اليهم فلذات أكبادهم،

وكانوا يعيشون حياة دعة واستقرار، إلا أنهم تخلوا عن كل هذا وقصدوا سوح القتال.

ما هي الرسالة التي كان يحملها هؤلاء الشهداء ويفترض بنا استلهامها منهم؟

رسالتهم هي أن من يبتغي مرضاة اللّه، ويطمح لأن يكون وجوده نافعاً في سبيل اللّه على طريق تحقيق الغايات الإلهية السامية في عالم الوجود، فعليه أن ينكر ذاته في مقابل الأهداف ذات الطابع الإلهي. وليس هذا من نوع التكليف الذي لا يطاق. حيثما تمسكت فئة مؤمنة بهذه السمة انتصرت كلمة اللّه، وحيثما ارتعدت فرائص المؤمنين، كانت الغلبة ـ بلا جدال ـ لكلمة الباطل.

هذه الثورة انتصرت بفعل عوامل الإيثار والتضحية التي تمسك بها عباد اللّه المؤمنون، ووقع ما لم يكن يخطر بحسبان أي محلل، وذلك هو إقامة الحكم الإسلامي وفي هذه النقطة من العالم بالذات، من كان يتوقع هذا؟ ومن كان يصدّق بحدوثه؟ ولكن بفعل مواقف الإيثار والتضحية على يد المؤمنين تحقق هذا الأمر الذي ما كان متوقعاً تحققه؛ إذ فئة مصطفاة من المؤمنين ـ ولا نقول كل المؤمنين ـ أنكرت ذاتها، والجميع مطالبون بالسعي لأن يكونوا ضمن هذه الفئة، لنيل هذه المنقبة.

أثر التخلي عن الإيثار

كل موضع انعدم فيه عنصر الإيثار، كما هو الحال في كل بقعة خلت منه، وكما هو الحال على امتداد التأريخ، وكذلك في عهد الإمام الحسين عليه السلام حين تنصلت الأكثرية العظمى من المؤمنين والخواص عن واجبها، ونكلت وتراجعت، انتصرت حينها كلمة الباطل، وتسلط يزيد على الرقاب واستمر الحكم الأموي تسعين سنة، وجاء عهد بني العباس ودامت حكومتهم بين خمسة وستة قرون. وكان السبب الأساسي

لكل هذا هو انعدام الإيثار. وكانت النتيجة أنّ المجتمعات الإسلامية كابدت الكثير من العناء، وذاق المؤمنون أمرَّ أنواع الظلم.

إنّ الساحة واضحة غاية الوضوح. وعصرنا هذا يا أعزائي شبيه بمعركة أُحد؛ فإن أحْسَنًا ستكون الهزيمة من نصيب العدو، ولكن إذا وقعت أبصارنا على الغنائم ولاحظنا بضعة أشخاص يتكالبون على جمع الغنائم، وغلبتنا مشاعر الطمع وتركنا مواضعنا وانهمكنا في الاستحواذ على الغنائم، تنعكس المعادلة حينذاك. أنتم تعلمون كيف انعكست القضية في معركة أُحد، ولقد تكررت معركة أُحد على مدى تاريخ الإسلام.

القائد الرباني الذي يرى بصفاء قلبه صفحة الحقيقة انتدب لذلك الموضع فئة من المسلمين وأوصاهم بعدم مغادرة أماكنهم، وأن يحرسوا هذه الجبهة. ولكن ما إن وقعت أبصارهم على الغنائم وشاهدوا أفراداً يحوزون الغنائم، زلزلت القلوب طمعاً.

ولو استنطق كل منهم لقالوا: نحن أيضاً بشر، وقلوبنا تهوي مستلزمات العيش الرغيد. هذا صحيح، ولكن لاحظتم النتائج التي أدى إليها هذا الخنوع أمام الأهواء البشرية التافهة؛ فقد كسر ضرس الرسول الأعظمﷺ، وأُصيب بجراح، وغُلبت جبهة الحق، وانتصر العدو واستشهد الكثير من أكابر المسلمين[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٩ ذي الحجة ١٤١٧هـ

أثر شهادة الحسين عليه السلام

إنّ مسألة الشهادة والتضحية لا يعتريها القِدم، بل هي أداة الحركة في المجتمع، إلّا أنّ البعض يغفل عن هذه الحقيقة، وإن ما ترونه من النظرة السلبية تجاه الشهادة والإيثار لدى بعض، ناشئ عن غفلتهم، فإنهم لا يدركون ما لصيانة حرمة الشهداء والمضحين من التأثير على واقع المجتمع والأمة والبلاد. فكلنا يعلم أن دم الإمام الحسين عليه السلام سفك في كربلاء، فنال شرف الشهادة العظيم حتى غدا سيد الشهداء، وكان بالإمكان الاكتفاء بهذا الوسام، إلّا أنه لم يكتف بذلك حيث أُلقيت المسؤولية الكبرى منذ اللحظة الأولى على عاتق الإمام السجاد عليه السلام وزينب الكبرى سلام لله عليها فحملوا ظلامة الإمام وندائه إلى كافة أنحاء العالم الإسلامي بمختلف الأشكال، وذلك بغية إحياء الدين الحقيقي والهدف الذي استشهد الإمام الحسين عليه السلام من أجله، فأخذ الإمام السجاد عليه السلام طيلة ثلاثين عاماً من عمره الذي عاشه بعد استشهاد أبيه، لا يفتأ يذكر الإمام الحسين ودمه واستشهاده في كل مناسبة، ولم يكن ذلك بهدف الانتقام من بني أمية، فحتى بعد أن طويت صفحة بني أمية وزال أمرهم، واستتب الأمر لبني العباس، كان الإمام الرضا عليه السلام يحث الريّان بن شبيب بعقد مأتم لذكر مصائب سيد الشهداء، فلم يكن ذلك إلّا بهدف بقاء نهج الإمام الحسين عَلماً لحركة الأمة الإسلامية نحو أهداف الإسلام، فلابد أن يبقى هذا العلم قائماً، كما أنه لا يزال قائماً ولا يزال هادياً إلى يومنا هذا[١].

(١) من كلمة ألقاها في ١٧/ جمادى الأول / ١٤٢٥ـ همدان.

نداء الشهداء

نداء الشهداء يدعو إلى عدم الانصياع لهواجس الغنائم. هذا هو نداؤهم لي ولكم ولجميع من يكرّم هذه الدماء الطاهرة المسفوكة ظلماً. لا تنظروا إلى من يعصي ويتجه إلى جمع الغنائم ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[1]، عليكم بأنفسكم ولا يشغلنكم مَن اختار طريق الغواية. هذا ما يأمر به الإسلام وما تدعوا إليه دماء الشهداء.

يوم استشهد هؤلاء الأعزاء في الجبهة، كان بعض المخلّفين منهمكين في الكسب، وبعضهم الآخر غارق بجمع الأموال، وآخرون منكبين على انتهاز الفرص، وبعضهم الآخر كان منغمساً في الخيانة. أما الشهداء فقد ساروا صوب الجبهات بدون الالتفات إلى هؤلاء. وكانت النتيجة هي أنهم استطاعوا حفظ النظام الإسلامي، وغدا كل واحد منهم اليوم كوكباً منيراً ونجماً ساطعاً.

وعلى هذا يكون النداء الأول هو نكران الذات أمام اللّه تعالى، وأمام عباده، وأمام الإرادة الإلهية. ويجب علينا استيعاب هذا النداء.

يا أعزائي، لا يمكن التغافل عن هذه الحقائق والمرور عليها مرّ الكرام؛ إنّها تستدعي من الإنسان العزم والإرادة.

الحذر من أعداء اللّه تعالى

النداء الثاني في مقابل أعداء اللّه، ومعناه الصمود والثبات المطلق بوجه العدو

(١) سورة المائدة:١٠٥ .

وعدم خشيته، وعدم التهيّب منه، أو الانفعال أمامه، ومن المهم جداً أن لا ينفعل المرء مقابل عدوّه.

واليوم تتركّز جميع مساعي العالم المادي المستكبر ـ أي الدول الاستكبارية الممسكة بزمام شؤون الاقتصاد والتسليح في العالم، والتي تهيمن في كثير من الحالات أيضاً على ثقافة الكثير من البلدان ـ على تحطيم أية مقاومة حيثما كانت، عن طريق إثارة إنفعالها؛ الانفعال أمام العدو من أفدح الأخطاء القاتلة.

العدو يجب أن يؤخذ في الحسبان من حيث عدائه، أي الاستعداد له وعدم الاستهانة به، ولكن لا ينبغي خشيته ولا الوقوع تحت طائلة تأثيره، ولا اتخاذ مواقف انفعالية أزاءه.

العدو يحرص على اثارة انفعالات المجتمعات الأُخرى. وهو اليوم أكثر ما يعوّل على هذا الجانب في الابعاد الثقافية والسياسية؛ تارة يثيرون الصخب حول قضية المرأة، ويحدثون ضجّة حول حقوق الإنسان تارة أُخرى، أو يتحدثون عن الديمقراطية، أو يؤججون في وقت آخر زوبعة حول حركات التحرر، وغرضهم من كل هذا هو إثارة إنفعال الطرف المقابل. ومن أكبر الأخطاء أن نتحدث في القضايا التي يثيرون حولها الضجيج الإعلامي، بشكل يوحي وكأننا نريد استرضاءهم، هذا هو الانفعال.

من الخطأ أن نتحدث في مضمار حقوق الإنسان بأسلوب الاسترضاء لهم؛ لأنهم هم الذين لا يعيرون أية قيمة لحقوق الإنسان بمعناها الحقيقي، إلّا أنهم جعلوا منها هراوة يلوّحون بها في بعض بقاع العالم التي يبغون مهاجمتها.

أصبحت أمريكا على رأس دعاة حقوق الإنسان في العالم! قبل اندلاع الحرب المفروضة كانت أمريكا تدرج الحكومة العراقية في قائمة الدول الداعمة للإرهاب.

وفي عامي ١٣٦١ و ١٣٦٢هـ(١٩٨٢ - ١٩٨٣م) حين استطاع مقاتلونا البواسل سحق العدو وإخراجه من أراضينا اضطر العدو البعثي إلى استخدام الأسلحة الكيمياوية وأسلحة الدمار الشامل ضدّنا، مرتكباً بذلك جريمة حربية. في تلك الظروف كانت الحكومة الأمريكية تعي ضرورة توفير الدعم للجبهة العراقية. ليكون بوسع الحكومة البعثية أداء دورها التآمري ضد نظام الجمهورية الإسلامية.

في تلك السنوات استخدمت الحكومة البعثية الأسلحة الكيمياوية، فرفعوا حينها إسم العراق من قائمة الدول التي ترعى الإرهاب! هذا هو أُسلوبهم في الدفاع عن حقوق الإنسان.

أكبر مساند لأي نقض لحقوق الإنسان يشاهد في العالم هي الدول المستكبرة من أمثال أمريكا التي أصبحت اليوم داعية لحقوق الإنسان، متخذة إياها كذريعة لتهديد الدول التي تريد مجابهتها! وإذا انبرى جماعة من هذا الجانب وتحدثوا عن حقوق الإنسان لأجل إرضائهم فهو خطأ فادح، وموقف انفعالي أمام العدو[1].

---

(١) من كلمة أُلقاها في ٢٩ ذي الحجة ١٤١٧هـ

حكومة إيران من بركات ثورة الحسين عليه السلام

أنظروا الى الإسلام في هذا العصر كيف أنّه حيّ وبنّاء. وكيف تتفاعل الشعوب بأنواره الساطعة بعد (١٤٠٠) سنة ونيف، وكلّ هذا من بركات واقعة كربلاء ومن استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، وقد شاء اللّه أن تكون الجمهورية الإسلامية أوّل تجربة لحاكمية القرآن بعد عهد الإمام الحسين عليه السلام، فكلّ عمل وجهد بعد تلك الواقعة كان مقدّمة ليومكم هذا.

إنّ العلماء والمفكّرين والفلاسفة والمتكلّمين، وكلّ الجهود والمساعي، وحروب المسلمين مع الصليبيين، كلّها حفظت الإسلام ومهّدت الأجواء والظروف لانبثاق حكومة على أساس القيم الإلهية والقرآنية، إنّ الحظ والقدر كان من نصيب الشعب الإيراني ليحمّله الباري تعالى ولأوّل مرّة هذه الرسالة ـ ولا نقصد من الحظ والقدر الصدفة ـ فالباري تعالى لا يعطي هذا القدر الرفيع لأحد اعتباطاً.

إنّ الشعب الإيراني قد سعى كثيراً؛ حتى أنعم اللّه عليه بهذه الحكومة.

إنّ التضحيات والمساعي والجهود الحثيثة لم تذهب هدراً. فلا يجلس المتقوّلون والسذّج المساكين في زاوية من زوايا العالم ويتصوّرون أنها حكومة إسلامية وقتية وسوف تزول غداً. كلاّ، إنّ هذا الأصل وهذه القاعدة لن تنتهي أبداً، أنا وأنتم ننتهي، الناس لا يُخلّدون وأفضل الناس من يموت صالحاً، والبعض لا تكون عاقبته خيراً. فالناس معرّضون للآفات والخسران، لكن الأصل والأساس باقٍ وخالد.

إنّ هذه الحركة الإسلامية وتجدد الحياة الإسلامية لها جذور في قرون متمادية،

جذور في عشرة قرون من السعي والجهاد، إنها تعتمد على الإسلام، ولذا تشاهدون ميل الناس نحو الإسلام في العالم أكثر خلال (٥ ـ ١٠) سنوات الماضية، برغم شدة الحملات الدعائية المضادة الصهيونية والاستكبارية؛ لتشويه صورة النظام الإسلامي أكثر من أيّ وقت مضى. فانظروا الى الدول الاسلامية والى الأقليات المسلمة في الدول غير الإسلامية، وانظروا الى مضايقات الاستكبار التي يمارسها ضدّهم، إنها ليست اعتباطية وعفوية، فلو كان المسلمون كـ«الميت بين يديّ الغسّال» لما كانت أيّة مضايقات.

فما أريد قوله هو أن عنصر الغربة في هذه الثورة جعلها شبيهة بثورة الإمام الحسين ابن علي عليه السلام، فلا تستوحشوا هذه الغربة، فقد بلغ الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه ـ الذين نلطم على صدورنا ونبكي لأجلهم ونحبّهم أكثر من أبنائنا ـ قمة الغربة، وكانت نتيجة بقاء وحيوية الإسلام الى اليوم.

إذاً واقعة كربلاء حيّة وباقية ليس في مجرد قطعة أرض صغيرة فقط وانّما في منطقة مترامية الأطراف في محيط الحياة البشرية (كل يوم عاشوراء كل أرض كربلاء).

إنّ كربلاء موجودة في كلّ شيء؛ في الأدب، في الثقافة، في السنن والآثار، في الاعتقادات، في القلوب.

وأُولئك الذين لم يسجدو للّه ، ركعوا وخضعوا لعظمة الإمام الحسين عليه السلام.

التاريخ يعيد نفسه

فاليوم أنتم غرباء في العالم، والشعب الإيراني غريب ومظلوم، وليست الغربة والمظلومية بمعنى الضعف، فنحن اليوم أقوياء جدّاً، وأقول بكل جرأة: إنّه لا يوجد اليوم شعب مسلم بقوة واقتدار الشعب الإيراني. فإيران حكومةً وشعباً هما في ذروة

القوة والاقتدار، والقوى العظمى تنظر باهتمام بالغ إلى حكومتنا، فشعبنا وحكومتنا هما أقوياء وسيّدا أُمورهما، ولكن في الوقت ذاته غرباء ومظلومين، نحن اليوم غرباء في العالم، فلا أحد يساندنا، وهذا ليس بمعنى أن جميع القوات تقف ضدّنا وتحاربنا، كلاّ، فلا يفرح الأعداء بتصوّر أنّ جميع القوى مخالفة لنا، طبعاً ـ وإن كانت هكذا ـ، فلا نبالي نحن بذلك لأنّنا امتحنّا ذلك أيضاً، بل الأمر اليوم ليس كذلك، فالكثير من الدول في العالم تشعر أنّ صلاحها وفلاحها في الدنيا يكمن في تحاشي مجابهة الشعب الإيراني، لكن لا يساندنا ولا يدعمنا أحد.

فأعتى القوى المستكبرة في العالم تعادي شعبنا وتتعامى عن حقّه، وتوجّه إليه سهام حقدها واتّهامها وتتناسى وتنكر حسناته وفضائله وتقوم بتضخيم نقاط ضعفه، فغربة ومظلومية الشعب الإيراني يجب أن تقوّيكم أكثر، وإنّني أقول إنها نعمة إلهية.

إنّنا لو كنّا مثل ذلك البلد الثوري ـ اصطلاحاً ـ في العهد السابق واليوم لا خبر عنه ـ الذي كان تحت قوة مستكبرة ـ كالاتحاد السوفياتي السابق ـ لفسد الشعب وفسدت الحكومة، فإن ترون سلامة وصلاح الشعب والحكومة فلأنّنا اعتمدنا على أنفسنا، وهذا ليس بمعنى عدم وجود فساد بين الشعب أو المسؤولين، بل يوجد، لكن التركيبة الأصلية والنقاط الرئيسية والاعضاء الحساسة سالمة وهذه نعمة كبري، ومن بركات بقائنا مستقلين ولم نتوكل على غير اللّه . فقد ورد في الدعاء «**يا ملجأ من لا ملجأ له، يا عون من لا عون له، يا حصن من لا حصن له**»[1] فكم يكون عذباً وجميلاً أن لا يجد الإنسان ناصراً ومعيناً ليقول «يا عون من لا عون له».

واليوم فإنّ هذا الشعب لا يعلّق ولا بصيصاً من أمل على القوى والحكومات والأجهزة المخابراتية والعسكرية والسياسية والمنظمات الدولية، فلم يُرَ منهم سوى

---

(١) وهو دعاء الفرج، أنظر البحار:٩٢/٢٨٢.

السوء واللدغ، بل يمكنه التكلّم مع الباري تعالى ومولاه وعزيزه وحبيبه بصدق وصفاء ويقول «**يا رجاء من لا رجاء له**»، وهذا هو الذي يشحن شعبنا بالقوة والاقتدار.

وقد كان الإمام الخميني هكذا، ذلك الرجل الصلب الذي اتّحد الغرب والشرق ضدّه لكنه لم يهتم لذلك، فقد كان يذرف الدموع أمام اللّه المتعال في منتصف الليل بحيث كان بعض المقرّبين منه ينقل لي آنذاك انّه عندما كان يبكي الإمام في منتصف الليل، لم يكن المنديل كافياً ليمسح دموعه، بل كان يستفيد من المنشفة، فقوته من تلك القوة.

فنمّو في نفوسكم هذه القوة ليصون الشعب نفسه من الضرر ويحصن الثورة ويزيد من بأسها وصلابتها.

طبعاً العدو لن يسكت وسيحاول حياكة المؤامرات، واليوم لا يتفوّه بشيء، بل يأتي بالأساليب والإبتسام للعناصر الذليلة والضعيفة، لينسى هؤلاء صمود ومقاومة هذا النظام للقوى الاستكبارية.

إذاً هنا صفّان؛ صفّ الإسلام والقرآن والقيم الإلهية والمعنوية وقمّتها الجمهورية الإسلامية والمسؤولون في هذا النظام الذين تحمّلوا هذا العبء الثقيل بفخر واعتزاز ودون أي خوف أو اكتراث.

والصف الآخر؛ هو لجميع الشياطين والرذائل والخبائث في العالم. فمن يملك بياناً، أو قوّة مبتكرة، أو طاقة، فليعلم أين يصرفها، فإن عمد أحد في جبهة الحق أو من خارجها إلى محاربة هذه الجبهة (الحق) ـ التي تحارب اليوم ضدّ الباطل والرذائل ـ لا لشيء سوى لعدم التوجّه الى تلك النكتة أو صدور خطأ أو اشتباه أو حتى ارتكاب ذنب، فهل هذا محقّ في عمله؟ أليس هذا تضييع للقدرة الإلهية، وكفران بالنعمة؟ ألا يُلام من يُضعّف جبهة الحق والمسؤولين ورئيس الجمهورية، والقوة القضائية

والمجلس، تحت طائلة أنّ المحكمة الفلانية أو القاضي الفلاني أصدر حكماً خطأً، أو أنّ المسؤول الفلاني ارتكب خلافاً؟ أليس هذا كفران بالنعمة بأن يصرف أُولئك كل طاقاتهم وقواهم لمحاربة جبهة الحق بدل من صرفها في مواجهة الباطل؟ ألا يستحقّ هؤلاء اللوم الإلهي؟ فيجب أن يكون الشعب يقظاً ولا يشتبه بين الحق والباطل[١].

(١) من كلمة أُلقاها في ٣ شعبان ١٤١٤ هـ

صور من واقعة الطف

أقرأ عليكم مقتطفات من كتاب المقتل ـ المعروف باللهوف ـ لابن طاووس .. نمر على بعض تلك المشاهد العظيمة لذكر مصيبة الحسين عليه السلام. وكتاب المقتل هذا، كتاب معتبر جداً، ومؤلفه السيد علي بن طاووس عالم فقيه وعارف كبير، وصدوق موثّق، وموضع احترام لدى الجميع، واستاذ فقهاء كبار، وكان أديباً وشاعراً وذا شخصية بازرة، كتب أول مقتل مُعتبر وموجز.

وقبل كتاب اللهوف كتب الكثير في مقتل الحسين عليه السلام، وحتى استاذه ـ ابن نما ـ له كتاب في المقتل، والشيخ الطوسي أيضاً له كتاب في المقتل، وغيرهما. إلا أنه حينما كتب «اللهوف» غطّى على جميع الكتب الأُخرى في المقتل، لأنه كتاب قيّم اختيرت عباراته بدقّة وايجاز.

مقتل القاسم بن الحسين عليه السلام

من جملة المشاهد التي يصورها في كتابه هذا هو بروز القاسم بن الحسن إلى الميدان، وكان فتىً لم يبلغ الحلم. ليلة عاشوراء أعلم الحسين أصحابه بأن المعركة ستقع وأنهم سيقتلون جميعاً، فأحلهم وأذن لهم بالإنصراف، فأبوا إلاّ أن يكونوا إلى جنبه. وفي تلك الليلة سأل هذا الفتى عمّه الإمام الحسين عليه السلام، هل سيقتل هو أيضاً في ساحة المعركة؟ فأراد الإمام الحسين عليه السلام اختباره ـ على حد تعبيرنا ـ فقال له:

كيف ترى الموت؟ قال: أحلى من العسل.

لاحظوا، هذا مؤشر على طبيعة القيم التي كان يحملها أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله ومن تربى في حجور أهل البيت. فقد ترعرع هذا الفتى منذ نعومة أظفاره في حجر الإمام الحسين عليه السلام.

فكان عمره حين شهادة أبيه ثلاث أو أربع سنوات. فتكفل الإمام الحسين بتربيته. وفي يوم عاشوراء وقف هذا الفتى إلى جانب عمّه.

وجاء في هذا المقتل ذكر هذه الواقعة على النحو التالي: «قال الراوي:... **وخرج غلام كأن وجهه شقّة القمر وجعل يقاتل**»[1].

لقد دوّن الرواة كل أحداث ووقائع عاشوراء بتفاصيلها؛ فذكروا اسم الضارب والمضروب ومَن ضرب أولاً، واسم أول من رمى، ومن سلب، ومن سرق. فالشخص الذي سرق قطيفة أبي عبدالله عليه السلام ذكروا آسمه، وكان يُطلق عليه في ما بعد لقب: «سارق القطيفة». ومن الواضح أن أهل البيت عليهم السلام ومحبيهم لم يتركوا هذه الحادثة تضيع في مجاهل التاريخ.

«فضربه ابن فضيل الأزدي على رأسه ففلقه، فوقع الغلام لوجهه وصاح: يا عمّاه. فجلى الحسين عليه السلام كما يجلي السقر، وشدَّ شدّة ليث أغضب، فضرب ابن فضيل بالسيف فاتقاها بساعده فأطنّها من لدن المرفق، فصاح صيحة سمعه أهل العسكر، فحمل أهل الكوفة لينقذوه، فوطأته الخيل حتى هلك».

دارت معركة عند مصرع القاسم.. هزمهم الحسين عليه السلام بعد أن قاتلهم.

قال الراوي: «... **وانجلت الغبرة، فرأيت الحسين عليه السلام قائماً على رأس الغلام**

---

(١) المجالس الفاخرة: ٢٤٠.

وهو يفحص برجله، والحسين يقول: بعداً لقوم قتلوك»[١].

ياله من مشهد مؤثر يعكس رقّة الحسين عليه السلام وحبّه لهذا الفتى، من جهة، وصلابته إذ أذن له في القتال والتضحية من جهة أُخرى.

كما ويدلّ أيضاً على ما لهذا الفتى من عظمة روحية، وما يتصف به الأعداء من قسوة تجعلهم يتصرفون مع هذا الفتى بمثل هذا السلوك.

مقتل علي الأكبر عليه السلام

ويصوّر كتاب اللهوف مشهداً آخر من مشاهد تلك الواقعة وهو بروز علي الأكبر للقتال، وكان مشهداً مثيراً حقّاً من جميع أبعاده وجوانبه. فهو مثير من جهة الإمام الحسين عليه السلام، ومثير من جهة هذا الشاب ـ علي الأكبر ـ ومثير من جهة النساء وخاصة عمّته زينب الكبرى عليها السلام.

وذكروا أن عليّاً الأكبر كان بين الثامنة عشر إلى الخامسة والعشرين سنة من عمره، أي أنه كان في الثامنة عشر من عمره على أقل التقادير أو ما بينها وبين الخامسة والعشرين أو في الخامسة والعشرين على أعلى التقادير.

قال الراوي: «.. **خرج علي بن الحسين، وكان أصبح الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً، فاستأذن أباه في القتال، فأذن له»**[٢].

لما جاءه القاسم بن الحسن واستأذنه، لم يأذن له في بداية الأمر، وبعد أن ألحّ الغلام أذن له. أما بالنسبة لعلي بن الحسين عليه السلام، فبما أنه ابنه، فما إنّ استأذن حتى أذن له. «**ثم نظر إليه نظرة آيسٍ منه وأرخى عليه السلام عينيه وبكى**».

---

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفاني:٥٨.

(٢) المجالس الفاخرة:٢٣٩.

هذه هي إحدى الخصائص العاطفية التي يتميز بها المسلمون، وهي البكاء عند المواقف والأحداث المثيرة للعواطف. فأنتم تلاحظون أنه عليه السلام بكى في مواقف متعددة، وليس بكاؤه عن جزع ولكنه لشدّة العاطفة. والإسلام ينمّي هذه العاطفة لدى الفرد المسلم.

ثم قال: «**اللّهم آشهد فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك**».

أريد أن أبيّن لكم هنا مسألة وهي أن فترة الطفولة التي عاشها الحسين إلى جنب جدّه، كان النبي يحبه كثيراً، وكان هو بدوره أيضاً شديد الحب لرسول اللّه صلى الله عليه وآله.

وكان تقريباً في السادسة أو السابعة من عمره عند وفاة الرسول وبقيت صورته عالقة في ذهنه، وحب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله متجذّر في أعماق قلبه.. ثم رزقه اللّه في ما بعد ولداً، هو علي الأكبر .. مضت الأيام وشبّ هذا الفتى وإذا به يشبه في خلقته رسول اللّه تمام الشبه، فترسّخ حبّه في قلب الحسين كحبّه للنبي، فكان هذا الفتى يشبه النبي في شكله وشمائله وفي صوته وكلامه وفي أخلاقه، ويحمل نفس ذلك الكرم وشرف المحتد.

ثم قال عليه السلام: «**وكُنا إذا اشتقنا إلى نبيّك نظرنا إليه**» [1]. ثم صاح الحسين عليه السلام: «**يا ابن سعد قطع اللّه رحمك كما قطعت رحمي**».

فتقدم علي الأكبر نحو القوم فقاتل قتالاً شديداً وقتل جمعاً كثيراً، ثم رجع إلى أبيه وقال: «**يا أبة العطش قد قتلني وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة ماء من سبيل**»؟

فقال له الإمام الحسين عليه السلام: «**قاتل قليلاً فما أسرع ما تلقى جدّك محمّداً** صلى الله عليه وآله

(١) اللهوف لابن طاووس:٦٧،وأبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام:٥١.

فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها».

فرجع إلى موقف النزال وقاتل أعظم القتال، وبعد أن ضُرب نادى: «**يا أبتاه عليك السلام، هذا جدي يقرؤك السلام ويقول لك عجل القدوم علينا».**

هذه مشاهد مروّعة من تلك الواقعة الخالدة.

وجرت في مثل هذا اليوم ـ الحادي عشر من محرم ـ الذي يعتبر يوم زينب الكبرى (سلام الله عليها) مصائب مفجعة؛ فهي قد أخذت على عاتقها منذ لحظة استشهاد الحسين ثقل الأمانة. وقطعت ذلك الشوط بكل شجاعة واقتدار وكما هو خليق ببنت أميرالمؤمنين عليه السلام؛ وهم الذين استطاعوا تخليد الإسلام وصيانة معالم الدين. ولم تكن واقعة الطفوف هذه استنقاذاً لحياة شعب أو حياة أمّة فحسب، وانّما كانت استنقاذاً لتأريخ بأكمله.

فالإمام الحسين عليه السلام، وأخته زينب عليها السلام، وأصحابه وأهل بيته عليهم السلام أنقذوا التأريخ بموقفهم البطولي ذاك.

السلام عليك يا أبا عبدالله الحسين وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك.. عليك مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ولا جعله الله آخر العهد منّي لزيارتك .. السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في ١١ محرم ١٤١٩ هـ ق ـ طهران.

شهادة ووفاء العباس عليه السلام

وأما وفاء أبي الفضل العباس فقد تجسد لدى بلوغه شريعة الفرات دون أن يشرب قطرة من مائه؛ فالمشهور على كل الألسنة هو أن الإمام الحسين عليه السلام بعث بأبي الفضل لجلب الماء، إلّا أنّ الذي شاهدته من الروايات المعتبرة الواردة في كتب مثل "الارشاد" للمفيد، و"اللهوف" لابن طاووس فلقد جاء في هذه الكتب المعتبرة أنّ العطش كان قد اشتدّ بالصبية والصبايا وبلغ مبلغه من حرم آل البيت، فذهب الإمام الحسين عليه السلام وأبو الفضل معاً في طلب الماء، وتوجها إلى شريعة الفرات لعلّهما يحصلان على بعض الماء.

فهذان الاثنان من الأخوة الشجعان والأقوياء كانا معاً دائماً في ساحة القتال، أي الإمام الحسين عليه السلام بعمره الذي يشرف على الستين عاماً ولكنه لا يشق له غبار في البسالة والقوة، وأخوه الشاب أبو الفضل العباس الذي جاوز الثلاثين بقليل من عمره بما يتميز به من خصال يعرفها الجميع. فهذان الأخوان لم يفارق أحدهما الآخر في ساحة الحرب، وكان كل منهما يحمي ظهر الآخر عند اشتداد القتال وتخلل صفوف الأعداء أملاً في الوصول إلى الفرات وجلب الماء.

وخلال هذه الجولة من المعركة شعر الإمام الحسين عليه السلام فجأة بأن العدو قد فصل بينه وبين أخيه العباس لدى اشتداد القتال؛ وفي هذه المعمعة كان أبو الفضل قد اقترب من الماء ووصل إلى شريعة النهر.

وكما جاء في الروايات، فإنه ملأ قربةً بالماء للعودة بها إلى الخيام؛ وفي مثل هذه الحالة يعطي كل واحد الحق لنفسه بأن يروي ظمأه، ولكن أبا الفضل العباس أظهر

وفاءه في هذا الموقف الصعب. فعندما غرف غرفة من الماء ذكر عطش الإمام الحسين عليه السلام، وتذكر صيحات: العطش .. العطش .. التي أطلقها الصبية والصبايا، وربما تذكر بكاء علي الأصغر الظمآن، فلم يشرب وألقى الماء وغادر الشريعة.

وحينئذ وقعت تلك الأحداث عندما سمع الإمام الحسين عليه السلام فجأة صوت أخيه قادماً من وسط جند الأعداء وهو يصيح: "**يا أخاه أدرك أخاك**"[1].

بصيرة العباس

فأين تكمن بصيرة أبي الفضل العباس؟ لقد كان أولئك جميعاً من أولي البصائر، إلّا أنه كشف عن بصيرة أكبر؛ ففي يوم تاسوعاء، عندما سنحت له الفرصة للخلاص من هذا البلاء حيث اقترحوا عليه الاستسلام في مقابل إعطائه الأمان، فإنّه كان شهماً لدرجة أفحمت الأعداء، وقال لهم: وهل أتخلى عن الحسين عليه السلام؟! الويل لكم! أفّ لكم ولأمانكم هذا![2]، وفي رواية أنه قال له: بترت يدك ولعن ما جئتنا به مِن أمانك يا عدو الله، أتأمرنا أن نترك أخانا وسيدنا الحسين بن فاطمة وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء.

وثمة نموذج آخر لبصيرته، وذلك عندما أمر ثلاثة من إخوته الذين كانوا معهم بالتقدم قبله إلى ميدان الحرب والجهاد حتى بلوغ الشهادة. فإنكم على علم بأنهم كانوا أربعة إخوة من أم واحدة، وهم: أبو الفضل العباس ـ الأخ الأكبر ـ وجعفر وعبد الله وعثمان. فأن يضحي المرء بإخوته الثلاثة أمام عينيه من أجل الحسين بن علي دون التفكير في أمه المحزونة أو الاكتفاء بواحد منهم حفاظاً على مشاعر أمه

---

(١) أنظر العوالم: ٢٨٥.

(٢) أنظر العوالم:٢٤٢، ولواعج الأشجان:١١٦.

والاهتمام بمصير إخوته الصغار ومن سيعولهم في المدينة المنورة، فهذه هي البصيرة.

شأن ومنزلة أبي الفضل العباس

قد دأب الخطباء وأهل الرثاء على الحديث حول شهادة أبي الفضل العباس. إنّ الذي يبدو من كافة الشواهد والأدلة هو أن أبا الفضل العباس كان آخر من استشهد قبل الإمام الحسين عليه السلام من المجاهدين، باستثناء الطفل البالغ ستة أشهر من عمره أو الصبي البالغ أحد عشر عاماً.

وكانت تلك الشهادة فداءً لعمل عظيم أقدم عليه، ألا وهو جلب الماء للعطاشى في خيام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وبالنظر في تلك الزيارات والتمعن في تلك الكلمات الواردة عن الأئمة (عليهم السلام) بشأن أبي الفضل العباس عليه السلام، فإننا نكتشف أنه تم تأكيد خصلتين: الأولى البصيرة، والثانية الوفاء[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في الجمعة ٩ محرم ١٤٢١ هـ ـ طهران.

عاشوراء والتبليغ

الحسين قدوة المبلّغين

ومن الذي يضمن استمرار مسيرة القافلة الجادّة في سيرها؟ إنهم المبلغون الذين يقف في مقدمتهم الأنبياءعليهم السلام والأولياء والصالحون الذين كانوا وكأنهم شموع تثير في الفراش روح الحركة.

كلامُنا يشحذ العشّاق من وَلَهٍ كما الفراشات حول النور تزدحم

إنّ المبّلغ يعمل ويتحرك بلسانه وبقلبه وبروحه وبهمّته وببصيرته.

ويجب على المبّلغين الاستمرار بحركتهم الإلهية على هذا المنوال، وعلى هذا الاسلوب، وبهذا الاندفاع ولنفس هذه الغايات؛ إذ أن ثورتنا انتصرت وفقاً لهذا السياق نفسه، إلّا أنّ أكثركم ـ أنتم الشباب ـ لم يدرك تلك الأيام، حيث انبثّ آنذاك المبلغون وطلبة العلوم الدينية المخلصون الذين لم تكن تحدوهم حينذاك أيّة مطامع، وأناروا بلاد الإسلام، وكل أرجاء هذا البلد من قرى ومدن ومساجد وحارات وأزقّة ودور؛ انطلقوا آنذاك في كلّ حدب وصوب وأضاؤوا حيثما ذهبوا قبساً من تلك الشمس المضيئة التي كان منطلق كل إشعاعاتها إمامنا الخميني العظيم الذي كان بدوره قبساً من شمس الحسينعليه السلام الوهاجة.

فإذا ما استنارت القلوب وتيقظت الأنفس أنطلقت الاجسام والألسن بالحركة،

وتحررت الإرادات. وهكذا الحال أيضاً اليوم وغداً، غاية ما في الأمر أن إبداع المبلغ يتجسد في كل عصر بتلبية متطلبات مخاطبيه؛ ومعنى هذا أنه يجب أن يكون على معرفة بمتطلبات العصر.

أرى من جملة كلمات أبي عبدالله الحسين عليه الصلاة والسلام ـ وكلماته كلها ذات مغزى ومفهوم عميق، وأوصيكم بالاستشهاد أكثر ما يمكن بكلماته في سياق بيان الأقوال البليغة والمؤثرة للناس ـ المناسبة لموردنا هذا هو ما نقل عنه أنه قال: **«اللهم انك تعلم أنّ الذي كان مِنّا لم يكن منافسة في سلطان ولا التماس شيء من الحطام، ولكن لنُري المعالم من دينك»**[١].

إنّ للمعالم أهميتها، إذ أنّ الشيطان كثيراً ما يستخدم أساليب التحريف والدلالة على السبيل الاعوج لإضلال الجماعة المتديّنة، فإذا استطاع هذا الشيطان أن يأمر الناس بالتخلّي عن دينهم، فعل وسلبهم الإيمان عبر أساليب الإغواء والاعلام المسموم، وإذا لم يتيّسر له ذلك نصب لهم معالم ودلالات مضللة؛ مثلما يسير الإنسان في الطريق ويستدل بالعلامات والإشارات الموجودة على جانبيه للإهتداء إلى السبيل السالك القويم، ولكن تأتي يد خائنة وتحرف تلك الإشارات والمعالم إلى غير سواء السبيل... [٢].

أهمية التبليغ

وبما أننا نبلّغ بإسم الإمام الحسين بن علي عليه السلام، وقد أُتيحت لنا فرصة تخليد هذه الشخصية العظيمة، التي من خلالها يمكن تبليغ الدين على جميع

---

(١) نهج البلاغة: ١٣/٢.

(٢) من كلمة ألقاها في ٢٥ ذي الحجة ١٤١٩ هـ ـ طهران.

الأصعدة، فينبغي أن يكون لكل عنصر من هذه العناصر الثلاثة دور في تبليغنا، فكما يعتبر الإقتصار على الجانب العاطفي والغفلة عن الجانب المنطقي والعقلي الكامن في واقعة كربلاء، تقليل من قيمة الواقعة، كذلك التغافل عن الجانب الحماسي المشفوع بالعزة هو تقليل من قيمة الواقعة، وضياع مجموعة من الكنوز الثمينة، فيجب على الجميع ـ قارئ العزاء، والخطيب المنبري، والمدّاح ـ أن يلاحظ ذلك.

ما معنى التبليغ؟ التبليغ يعني إيصال فكرة، وجوب الإيصال، الى أين؟ الى آذانالمستمعين؟ كلا، الى قلوبهم، بعض المبلغين لا يتمكنوا من إيصال مطالبهم حتى الى الأسماع، فضلاً عن القلوب، بل إنَّ السمع لا يتحمل ما يقولون ولا يستقبله، فالسمع عندما يستقبل شيئاً، يُحَوّله الى الدماغ، ولا بد أن لا تنتهي المسألة عند هذا الحد، بل لابد أن تنفذ الكلمات الى القلب وترسخ فيه، بحيث تتناغم شخصية المستمع مع شخصية المبلّغ، هذا هو دور عملية التبليغ.

إننا لا نؤدي الوظيفة التبليغية من أجل الحديث فقط، بل من أجل إيصال المادة التبليغية الى قلب المستمع وترسيخها فيه[1].

الرفق في التبليغ

عثرت في ما يخص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على حديث ينبغي أن يدخل في جملة ما يذكر للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وذلك الحديث هو عن النبي صلى الله عليه وآله: "**لا يأمر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر إلاّ من كان فيه ثلاث خصال: رفيق بما يأمر به ورفيق بما ينهي عنه، عدل في ما يأمره عدل في ما**

(١) من كلمة ألقاها في الزمان: ١٣٨٤/١١/٥هـ ش ـ ٢٤ /ذي الحجة/ ١٤٢٦ هـق ـ ٢٠٠٦/١/٢٥م.

ينهي عنه، عالم بما يأمر به عالم بما ينهي عنه"[١].

فحيثما يكون الموقف موقف رفق ـ حيث إن أغلب المواقف هي من هذا القبيل ـ يجب على الإنسان التعامل برفق لأنه يستطيع بأسلوب الرأفة والرفق ترسيخ تلك الحقائق في القلوب والعقول، ومهمة التبليغ تأتي في هذا الإطار ولأجل إحياء الاحكام الإلهية الإسلامية.

من الطبيعي أنّ الجميع مكلفون بإصلاح أنفسهم، ولكن عليكم أن تدركوا قيمة منبر التبليغ، وقيمة هذه المكانة العظمى للتبليغ في المساجد والحسينيات وتحت راية الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ أنّ التبليغ يتصف بأنه نافذ ومؤثر ومبارك.[٢]

الوعي السياسي في التبليغ

من الطبيعي أنّ لشهر محرم وما يجري فيه أهمية بحيث تعقد لأجله الاجتماعات وتدور مداولات بشأن القضايا المتعلقة به. سيكون من المناسب جداً ومن المفيد إن شاء اللّه أن يجري ـ في المستقبل ـ وقبل أيام من الذهاب إلى التبليغ في شهر محرم تنسيق وتعاون فكري واسع في الجهات المختلفة، من قبيل اختيار المواضيع وأسلوب التبليغ والواجبات الهامة التي يستدعيها شهر محرم. وسنتحدث نحن هنا ببضع كلمات في هذا المجال على قدر وسعنا.

تتسم قضية محرم ـ التي تعتبر في تأريخ الإسلام قضية مثالية وفريدة في جميع أبعادها ـ بجانب بارز، ألا وهو جانب التبليغ، حيث تكون الفرصة سانحة بفضل الدماء الطاهرة للحسين بن علي عليه الصلاة والسلام وأصحابه وأهل بيته، لتوعية

---

(١) البحار: ١٠/٨٧ ح٦٤، ومستدرك الوسائل: ١٢/١٨٩ ح١٣٨٤٦.

(٢) من كلمة ألقاها في ٢٥ ذي الحجة ١٤١٩ هـ ـ طهران.

الناس على حقائق الدين الذي أريقت لأجله تلك الدماء الطاهرة. وهذه أيضاً من البركات الخالدة لواقعة كربلاء، يجب استيعاب قدرها وأهميتها.

منذ عدّة قرون وسُنّة التبليغ في شهر محرم جارية في إيران وربّما في بقاع العالم الأُخرى التي يقطنها أتباع أهل البيت عليهم السلام. التبليغ في العهد الذي لا يحكم فيه الإسلام يتفاوت إلى حدّ بعيد عن التبليغ في عهد حاكمية الإسلام؛ ففي عهد حاكمية الإسلام يمكن أن يقع تبليغ أي جانب من جوانب الدين في موقعه المناسب، وهو بيان جزء من المجموع الذي تستلزمه إدارة حياة الناس، بينما الحال يختلف في الظروف التي لا يحكم فيها الإسلام؛ حيث تكون الأجزاء منفصلة عن بعضها وغير متكاملة ولا يربط في ما بينها رابط.

الأحكام الفقهية في عهد حاكمية الإسلام

فرضاً لو أراد أحد التحدّث عن الأحكام الفقهية في عهد حاكمية الإسلام، فبإمكانه تصنيفها من حيث البحث والدراسة إلى طائفتين: احداهما طائفة الأحكام الفقهية الخاصة بالفرد؛ ناهيك عن الموضع الذي يعيش فيه من هذا العالم.

وأُخرى قد يبحث المرء نفس هذا الحكم الفقهي بما يمثله من فرع صغير أو كبير في كيفية إدارة المجتمع.

هذان الموضوعان يختلفان عن بعضهما، بل ويختلف الحكم المستنبط في المورد في الصورتين حتى في موضوع كالطهارة والنجاسة وحتى في المسائل الخاصة.

فهي تارة تعرض باعتبارها جزءاً من مجموعة النظم التي تدير الفرد والمجتمع في حاكمية الإسلام.

وقد تعرض تارة أُخرى بعيداً عن النظام الشامل المجموعي للإسلام، وبصفتها حكماً لشخص واحد فقط. وليت الفضلاء المتنوّرين يبّينون تفاصيل هذه التفاوتات لباحثي الحوزات العلمية.

وهذا ينطبق على موضوع الأخلاق أيضاً. فالحديث عن التفاني والصبر مثلاً قد يتخذ تارة طابعاً ذاتياً محضاً؛ ويشار إليه بصفته خُلُقاً إسلامياً وحكماً أخلاقياً وروحياً فردياً صرفاً؛ أي أنّ الصبر عند المصائب فضيلة.

وقد يدور الحديث تارة أُخرى عن الصبر على مستوى مجتمع يواجه مختلف الضغوط والمصاعب والعراقيل، وحينها ينبغي على الأفراد التمسك بالصبر عند هذه الموانع والشدائد. وهنا يتخذ الحديث عن الصبر طابعاً آخر، إنّ حقيقة الصبر هي واحدة، إلا أنّ كيفية طرح الموضوع هي المهمة.

أساس الفارق بين نمطي التبليغ هو أنّه في عهد حاكمية الإسلام يمثل الدين مجموعة نظم الحياة، ومن بينها السياسة وإدارة الحكومة والعلاقات الخارجية ومواقف المسلمين ازاء التيارات السائدة في العالم، والقضايا الاقتصادية، وعلاقات الأفراد في ما بينهم، والتمسك بالأخلاق في مختلف جوانب الحياة.

الدين هو مجموعة نظم تشمل الشؤون الفردية الخاصة، وكذا القضايا الواجب تأديتها بشكل جماعي، ولكن بالإمكان تأديتها فردياً أيضاً، إضافة إلى ما يتعلق بمصير العالم أو مستقبل ذلك البلد. وعندما نريد أن نبلّغ فالتبليغ يعني كل هذا.

نوعان من التبليغ

لاحظوا إلى أي مدىً يتفاوت هذا التبليغ مع التبليغ الذي كنا نمارسه قبل إقامة الحكومة الإلهية والحكومة الحقّة؛ في تلك الايام كان يكفينا معرفة الموضوع الذي

نريد التحدث حوله، لنكون مبلغين ناجحين، أما اليوم فإذا لم نكن على معرفة بالعالم أو بمجتمعنا على أقل تقدير لا يمكننا أن نصبح مبلغين ناجحين وإن كنا على معرفة تامة بالموضوع.

يجب أن نفهم في أي مجرىً يصب هذا الحديث الذي نتكلم به، ولصالح أي تيار في العالم ينتهي، وإلى تضعيف أي فريق يقود، شأنه في هذا شأن خندق القتال؛ فقد يكون المقاتل طوراً بمواجهة عدو ويحرص على الدفاع عن نفسه، وقد يكون طوراً آخر ضمن خندق يمتد بضع كيلومترات، ويريد الدفاع أيضاً، إلّا أنّ الدفاع هذا من نمط آخر؛ فقد تقتضي المصلحة أن يتقدم وقد توجب عليه الانسحاب، وقد يتصور المقاتل أنه يهاجم العدو، فيتفاجأ أنه يطلق النار على رفاقه!

منذ اليوم الأول لإقامة هذا النظام كان بعض الأشخاص ولازالوا قابعين في زاوية ويكيلون له الانتقادات، وهؤلاء خطؤهم الأساسي هو أنّ مثلهم مثل من غلبهُ النوم في خندق القتال بينما تقدم رفاقه إلى الأمام صوب مواضع العدو واستولوا عليها، ولمّا أفاق هذا الشخص من نومه وجّه نيرانه إلى المواضع التي سيطر عليها رفاقه، متوهماً أنّ العدو مازال مرابطاً هناك، بينما الذي يرابط هناك هم رفاقه إلّا أنّ هذا الشخص كان مستغرقاً في نومه ولا يدري! والغفلة في القضايا السياسية قد تفرز أحياناً مثل هذه النتائج. وهذا ما يمنح التبليغ هذه الأهمية.

يتناهى إلى الأسماع أحياناً أنّ البعض يدلي بتصريحات هنا وهناك، ويتكلم بأُمور لا يدري على مَن تقع أضرارها، وهذا ناتج عن عدم تفهّم الوضع السياسي العالمي وعدم التمييز بين العدو والصديق، وعدم تشخيص جبهة الأصدقاء من جبهة الأعداء. لا يكفي أن نتعلّم بضع مسائل ونتحدث بها. بعض المسائل قد تستلزم أُسلوباً خاصاً في إلقائها، فإذا ما أُهمل ذلك الأُسلوب يحتمل أن تتمخض عنها أضرار. يجب التسلح بالوعي والفطنة.

وهذه من الخصائص التي تتطلبها إقامة دولة الحق؛ في الأجواء التي تقوم فيها دولة الحق تتضاعف مسؤولية أهل الحق كافّة، وحينما تقوم الحكومة والنظم الاجتماعية على أساس الدين تتضاعف المسؤولية الملقاة على عاتق المبلغين، وأساس كل هذا ـ كما أشرنا ـ ينطلق من مبدأ عدم انفصال الدين عن السياسة.

سعي الأعداء الى عزل الدين

وهذا ـ حسب اعتقادي ـ من أكبر الفصول المتعلقة بالنظام السياسي للإسلام، والتي ابتدعها إمامنا الكبير؛ فقد سعى حكام الجور والسلاطين الظلمة على مدى قرون متمادية في عزل الدين ـ الدين الذي حيثما كان فهو يحكم بالعدل والحق ولا يتهاون مع أي شخص ـ عن التدخل في شؤونهم، وتكالبوا طوال هذه القرون لإثبات أنّ الدين لا شأن له بالسياسة، وأن لا طائل من وراء حشر الدين مع السياسة، ومن يريد التبليغ فليذهب ويبلّغ لدينه.

وكانوا فضلاً عن ذلك ينمّقون كلامهم بأُطر خدّاعة؛ من قبيل أنّ الدين أطهر من أن يلوّث بالسياسة. أجل إنّ السياسة المعزولة عن الدين لَوْث ، أمّا السياسة المنبثقة عن الدين فلها من القدسية ما يجعلها نمطاً من أنماط العبادة.

ومن بعد انتصار الثورة حتى يومنا هذا كانت أشد الهجمات شراسة ضد الأُسس الفكرية السياسية للنظام الجمهوري الإسلامي هي تلك التي استهدفت مبدأ «عدم انفصال الدين عن السياسة». هذا المبدأ تعرّض ولا زال يتعرض لهجمات من الجميع.

وما انفك البعض ـ في بعض أرجاء العالم ، وفي أجواء بعيدة عن إيران ـ يدوّن الكتب والمقالات بمختلف اللغات، ويبث البرامج المتلفزة ليثبت أنّ الدين في معزل

عن السياسة. سبحان اللّه! ما أعظم دور هذا المبدأ «عدم انفصال الدين عن السياسة» في تهديم صروح القوى الظالمة؛ بحيث إنهم لا ينفكّون يوجّهون إليه الطعنات يوميّاً.

وهناك البعض في داخل المجتمع الإسلامي طبعاً يردد تلك الاقوال كالببغاء من غير أن يعي ماهيّتها، كما أنّ البعض قلوبهم مع الأجانب أساساً، ويتنكّرون للدين برمّته.

في الفترة التي كنت أتصدى فيها لمنصب رئاسة الجمهورية عزمت في أحد المرات على السفر إلى أحد البلدان الأجنبية للمشاركة في مؤتمر دولي. فاعددت الكلمة التي سألقيها في ذلك المؤتمر وعرضتها ـ كالعادة ـ على الإمام الخميني ليبدي رأيه فيها. فعلّق على حاشيتها، أنّ من الضروري أن تتضمن هذه الكلمة الحديث عن موضوع «عدم انفصال الدين عن السياسة»، تعجبت للوهلة الأولى من هذا الرأي؛ إذ ما هي صلة هذا الموضوع برؤساء الدول ـ مائة دولة غير إسلامية مثلاً ـ؟ ومع هذا فقد جلست وكتبت بضع صفحات استجابة لأمر الإمام.

وحينما دخلت في صلب الموضوع وأجلت الفكر فيه أدركت أنه عين الصواب؛ وإنّ عرض هذا الموضوع من فوق منابر العالم الكبرى يعزى إلى أنّ هذا الموضوع يتعرض للطعن من فوق منابر العالم. ثم ذهبنا إلى هناك وتناولنا في كلمتنا هذا الموضوع، وكان له صدىً طيباً في النفوس، وتجلّت أهمية ذلك الرأي. واتضح من خلال هذا الموضوع مدى عمق رؤية الإمام الراحل.

إذا كنتم ممّن يرى عدم انفصال الدين عن السياسة، فأهل الدين مطالبون ـ إذن ـ بمعرفة السياسة وفهمها وأن يمارسوا نشاطهم حيثما وجدوا والميدان مفتوح أمام العمل السياسي.

وإذا كان الظرف يستدعي بيان الأحكام الشرعية المحضة، فإنّه ينبغي بيانها مع الاطلاع على الوضع السياسي.

السياسة لا توجب كتمان حكم شرعي، يجب أن لا تكون السياسة سبباً في كتمان الأحكام الإلهية، بل على العكس، أي أنّ السياسة توجب على المرء عرض المعارف والأحكام الإلهية بشكل مؤثر في النفوس، مع أخذ جميع الجوانب بنظر الاعتبار. هذا هو معنى الوعي السياسي في أمر التبليغ[١].

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٥ ذي الحجة ١٤١٧هـ.

التبليغ لأجل الهداية وإنارة العقول

عليكم بالعمل في سبيل هداية الناس وإنارة عقولهم، وتشجيعهم على تعلّم الدين. علّموهم الدين الصحيح النقي، وارشدوهم إلى الفضائل والاخلاق الإسلامية، واغرسوا في نفوسهم الفضائل الأخلاقية باللسان وبالعمل، وعظوا الناس وخوّفوهم غضب الله وعذابه، وأنذروهم من نار جهنم، لأن للتحذير والإنذار تأثيراً مهمّاً في نفس الإنسان، وفي الوقت ذاته بشروا المؤمنين والصالحين برحمة الله وأمّلوهم بفضله.

وبيّنوا لهم القضايا الاساسية في البلد وفي العالم الإسلامي. وهذا هو المشعل الذي إذا أضاءه أيّ واحد منكم حيثما كان، يؤدي إلى إنارة القلوب ونشر الوعي، وإيجاد أسباب التحرك، وغرس الإيمان في القلوب.

وهذا هو أفضل وأنجح أسلوب للردّ على هذا الغزو الثقافي الغادر الموجّه ضدنا من قبل الأعداء، وإنني أشعر بقلق عميق أزاء هذا الأمر[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٥ ذي الحجة ١٤١٩ هـ ـ طهران.

المادة التبليغية

ما هي المادة التبليغية؟ هي المبادئ والقيم الإسلامية، التي ضحّى من أجلها الإمام الحسين عليه السلام بنفسه وحُرمه وأهل بيته، والتي خطّها خاتم الأنبياء محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) وجميع أنبياء الله عليهم السلام وأوليائه الصالحين، وكان مظهرها أبو عبدالله عليه السلام.

نحن نريد أن نقوم بتبليغ المنطق والقيم والأخلاق الإسلامية وجميع المسائل، من أجل بناء الهوية الإنسانية على أساس الدين، وبناء شخصية المستمع بناءً إسلامياً، ومن جملة ذلك بناء الجمهورية الإسلامية.

إنني أعتبر أنَّ تشكيل الحكومة الإسلامية من أهم الأعمال، وهذا لا يعني أن نتغافل عن صيانه الهوية الإنسانية للأفراد ـ الأشخاص الذين نتعامل معهم فرداً فرداً ـ فإنَّ هذا من أهم الأمور.

إنَّ النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بدأ ببناء الإنسان ـ بناء اللبنة الأساسية ـ وعندها استطاع أن يحمّله مسؤولية بناء الإسلام.

فلم يغفل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في جميع الأحوال ـ في قلب المعركة، وفي مرحلة البناء، وفي حالة العبادة، وعند التحدّث الى الناس وعلى مدى تلك الأعوام العشرة ـ التي كانت بمثابة مئة سنة لِما اشتملت عليه من مهام ـ عن بناء هوية مستمعيه، بل كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقوم ببناء هوية الإنسان حتى عند جعجعة الحروب الشديدة كحرب الأحزاب، وبدر، وأحد.

لاحظوا آيات القرآن الكريم، ستجدون أنَّ أهم أهداف التبليغ هو بناء الإنسان.

علينا أن لا نصطدم بمسألتين:

الأولى: عدم التغافل عن طرح القضايا السياسية من دائرة كلامنا وأقوالنا وسعينا وجهادنا التبليغي، وهذا ما صَرَف عليه الأعداء الأموال خلال عشرات السنين، إلا أنَّ مجيء الثورة الإسلامية أدّت الى تبديد هذه الآمال ونفيها من الوجود، وأدخلت الأقوال والأفكار السياسية في مجال النشاطات الدينية.

الثانية: عدم التصوّر بأن كل ما يقال من على المنبر التبليغي، ومخاطبة المؤمنين، هو الجلوس والتحدث في قضايا أمريكا وإسرائيل والتحليل للمسائل السياسية، كلا، فإذا لم يكن هناك مسائل ذات أهمية قصوى، فهناك مسائل أخرى مهمة، وهو قلب مستمعكم، ينبغي لكم إصلاح وبناء وإرواء قلبه وروحه وفكره، وهذا ما يحتاج الى جذور معنوية، نحن أيضاً لابد أن نمتلك جوانب معنوية لكي نستطيع التأثير في المستمعين، وبدونها لا يمكن تحقق ذلك.

المنطق في التبليغ

لا بد أن يشتمل هذا الخزين المعنوي على عنصري الفكر والمنطق، وعلينا أن نتسلح بهما، لكي لا نتفوه بالكلام الضعيف، فقد صدق من قال: أنَّ أكثر الهجمات تأثيراً هي التي يقابلها مقاومة مبتورة وضعيفة، وهو كلام دقيق، فعندما يكون الدفاع عن الدين ضعيفاً ورخواً، يكون الأثر السلبي لهذا الدفاع أشد على الدين مما لو هُجم عليه، فعلينا أن نستعين بالله على ذلك.

يجب أن لا يشتمل كلامنا ومنبرنا وتبليغنا ـ العملية التبليغة التي نقوم بها ـ على كلام هش، لا متانة له ولا ثبات.

فليس من العيب أن نطرح بعض المطالب التي نجدها أحياناً في كتاب وليس لها سند، كأن تكون حكمة أو من المسائل الأخلاقية التي لا تحتاج الى سند، إلا أنَّ العيب في أن نطرح مسألة بعيدة عن ذهن المستمع، ويصعب عليه فهمها؛ لأنّها سوف تبعده عن أصل المطلب، وتؤدي الى التقليل من هيبة الدين والمُبلّغ في عقله وقلبه، ويُعتقد أنّ هذا الأمر يفتقر الى المنطق، في حال كون أساس عملنا هو المنطق.

بناءً على ذلك، فإنَّ المنطق هو عنصر أساسي في التبليغ.

بعد هذا، تصل المرحلة الى أسلوب عملنا.

أسلوب التبليغ

فإننا عندما نذهب الى المدينة أو القرية الفلانية علينا أن نلاحظ سلوكنا، قيامنا وقعودنا، معاشرتنا، نظرنا وعبادتنا، تعلقنا بالملذات الدنيوية وأكلنا ونومنا، فهذه تعتبر أهم وسائل التبليغ، وهي إما أن تكون مع التبليغ أو ضده، فإذا كانت صحيحة تكون تبليغاً، وإذا كانت خاطئة تكون ضده.

فكيف نتمكن من جعل قلوب الناس في الوسط الإجتماعي والحياتي يطمئنون لكلامنا، والعمل على تقوية ثقتهم بنا، ونحن نتكلم في ذم الإنغماس في الشهوات الدنيوية، وذم التعلق بالمال والإنهماك في طلب الملذات الدنيوية، في حين كوننا نعمل على خلاف ما نقول ـ لا سمح الله ـ!؟

وكيف يمكن لهذا الكلام أن يؤثر في المستمعين إذا كان كذلك؟ فهو إما أن لا يؤثر أصلاً، أو يؤثر تأثيراً عابراً، أو يؤثر وفي الوقت الذي تنكشف فيه حقيقة أعمالنا، سوف يكون تأثيره معكوساً تماماً، وبناء على ذلك فإنَّ العمل بما نقوله مهم جداً.

التفنن في طريقة إلقاء الكلام

إنَّ لديَّ قناعة تامة بالمنبر، فمع إنتشار شبكة المعلوماتية (الإنترنيت)، والفضائيات، والتلفاز، ووسائل الاتصال الأخرى بكثرة، إلا أنه ليس هناك وسيلة من هذه الوسائل تضاهي المنبر، فالمنبر يعني التكلّم وجهاً لوجه، وقلباً لقلب، وهذا له تأثير مباشر وممتاز، ليس له وجود في أي وسيلة من الوسائل الأخرى، فعلينا الحفاظ

على المنبر، فهو أمر قيّم، غاية الأمر يجب أن نتعامل معه بطريقة فنية من أجل أن يؤدي غرضه.

الإنذار في التبليغ

في أدعية الصحيفة السجادية يقول الإمام السجاد عليه السلام في أحد الأدعية التي يناجي بها ربّه: «**تفعل ذلك يا إلهى بِمَنْ خَوفه أكثر من رجائه لا أن يكون خوفه قنوطاً**»(١)، إنَّ خوفي أكثر من رجائي، لا أنني قنوطاً.

هذا المعنى يمثل بياناً رسمياً وقانوناً، ولذلك يجب عليكم أن تنفثوا روح الرجاء والخوف في القلوب، على أن يكون الخوف أكثر من الرجاء.

فمن الخطأ، عندما تتعرضوا الى آيات الرحمة الإلهية ـ حيث أنَّ بعض هذه الآيات مختصة بمجموعة معينة من المؤمنين ولا تشمل الجميع ـ تلقوها بصورة تؤدي الى غفلة البعض فيتصوروا ـ بسبب حالة معنوية واهمة ـ أنها تشملهم، وأنهم قد وصلوا الى أعلى الدرجات المعنوية، فيغفلون عن أداء واجبات الدين الضرورية عند التطبيق.

إنَّ البشارة في القرآن الكريم خاصة بالمؤمنين، أمّا الإنذار فهو للجميع، فالمؤمن والكافر هما محلٌ للإنذار.

كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يبكي، فقال له أحدهم: يا رسول الله، إنَّ الله تعالى يقول: ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾(٢) فما هو سبب بكاءك ؟

---

(١) الصحيفة السجادية: ١٨٩.

(٢) سورة الفتح: الآية ٢.

قال: **(ألا أكون عبداً شكوراً)**[١].

أي أنّه لو لم أشكر هذه المغفرة، سوف تنهار القواعد الأساسية لهذه المغفرة، فلا بد أن يكون الإنذار هو المسيطر على قلوبنا وقلوب مستمعينا في جميع الأحوال.

طريقنا، طريق شاق وصعب، فعلى الإنسان أن يهيئ نفسه لطيّ هذا الطريق والوصول الى نهاية المطاف.

إنَّ العمل التبليغي، عمل عظيم، وهو عمل حساس ومؤثر، ونحن نرى اليوم بركات الجهود التبليغية التي بُذلت في السابق، وإن شاء الله سينتفع المجتمع من وبركات هذه الأعمال التبليغية في المستقبل.

إنَّ تأثير التبليغ ليس تأثيراً لحاظياً وآنياً، بل بعيد الأمد، فعلى المُبّلغ أن لا ييأس عندما يرى بعض الظواهر التي توحي بأنها ليست من الدين، وإنَّ بعض الأوهام القاضية بابتعاد الشباب عن الدين هو ضرب من الحرب النفسيّة، فإنَّ واقع القضية هي على خلاف هذه الأوهام؛ لأن شبابنا متعلقون بالدين وقلوبهم متعطشة للنهل من حقائق الدين، وكل شاب سليم الفطرة والسليقة كذلك، فليس الأمر محصور في بلدنا.

إنَّ الأرضية هنا مهيأة ـ ولله الحمد ـ فشبابنا عطاشى ومشتاقون للنهل من الدين، ولابد من إرواء رغباتهم الروحية، وإشباعها من الحقائق الدينية.

إنَّ ثمار هذا التبليغ سوف تأتي أكلها، وسوفَ يجني المجتمع ثمار هذه الأعمال التبليغية في المستقبل[٢].

---

(١) الإحتجاج: ١/٣٢٦.

(٢) من كلمة ألقاها فيالزمان: ١٣٨٤/١١/٥هـ ش ـ ٢٤ /ذي الحجة/ ١٤٢٦ هـق ـ ٢٥/١/٢٠٠٦م.

الروح الحسينية عند الشباب

إن قضية الشباب لابد أن تتحول في بلادنا إلى قضية وطنية، وأن على الجميع أن يشعروا بالمسؤولية أزاءها، سواء الحكومة أو علماء الدين أو قوات التعبئة أو المؤسسات الرياضية أو الإذاعة والتلفزيون أو الأجهزة التي تستطيع الاضطلاع بدور ما فيما يخص الشباب؛ فكل هؤلاء على وجه الخصوص يجدر بهم أن يحسوا بالمسؤولية تجاه قضايا الشباب في هذا البلد. وإنني أريد أن أوصل هذه الرسالة إلى مسامع كافة المسؤولين، وهي أن يعتبروا قضايا الشباب ومتطلباتهم ومستقبلهم والتخطيط من أجلهم مسألة جدية ومن الدرجة الأولى، ولا يمكن تجاهلها. وربما يقال الكثير باستمرار حول الشباب ـ الذين هم أمل الأمة ومستقبل البلاد ـ وكله يتسم بالصحة، لكنه يتسم أيضاً بالتكرار، ولذا فإنني لا أريد إضاعة الوقت فيما قيل، بل أريد الدخول مباشرة في أصل الموضوع.

إنّ الشباب ظاهرة متألقة وفصل فريد لا نظير له في حياة كل إنسان؛ وكلما حظيت قضايا الشباب بالعناية الضرورية كما ينبغي لها في بلد ما، حقق هذا البلد نجاحاً كبيراً على طريق الرقي والتقدم.

ويزداد هذا الموضوع أهمية عندما يكون الأمر متعلقاً ببلد كبلدنا حيث تشكل فئة الشباب الغالبية العظمى من مجموع السكان.

مسؤولياتنا أزاء الشباب

ينبغي علينا القول بأن الشباب ـ هذه المرحلة المتألّقة والمزدهرة ـ مرحلة تنطوي

على نتائج باقية وآثار طويلة الأمد في كل حياة الإنسان رغم قصر هذه المرحلة وانقطاعها.

إنّ مرحلة الشباب تبدأ عند البلوغ؛ وأحب هنا أن أنظر إلى الموضوع من منظار الشباب حتى يتذكر الآباء والأمهات والمسؤولون تلك المرحلة التي شبّوا في أجوائها يوماً ما.

إن للشباب ميولاً وأهدافاً في فترة شبابه يهفو إلى تحقيقها ولاسيما في مستهل تلك المرحلة:

فأولاً، ولأنه يمر بمرحلة تكوين شخصيته الجديدة، فإنه يبحث عن الاعتراف بهذه الشخصية الجديدة، وهو ما لا يحدث غالباً، وكأن الوالدين لا يعترفان بشخصية الشباب الجديدة هذه.

وثانياً، فإن لكل شاب مشاعر وأحلاماً، ويتميز بالنمو الجسمي والروحي، وقد وضع قدمه في دنيا جديدة يبقى المحيطون به من أفراد الأسرة والمجتمع بعيدين عنها في العادة، أو أنهم يتجاهلونها، ولهذا يشعر الشباب بالوحدة والاغتراب في حياته.

وإن بودّي أن يهتم الكبار بهذه الأمور ويستمعوا إليها ويتذكّروا مرحلة شبابهم.

وثالثاً، فإن الشاب ـ سواء إبّان البلوغ أو بعده ـ يصطدم في مرحلة شبابه بأمور كثيرة لا يعرف شيئاً عنها وتستجد في حياته قضايا جديدة ومثيرة للتساؤل، كما ترد على ذهنه شبهات وعلامات استفهام يتوق لمعرفة الجواب عنها، وقد يأتي هذا الجواب في أحيان كثيرة بما لا يرضيه ولا يقنعه، ولهذا يحس بالفراغ والغموض.

ورابعاً، فإن الشاب يشعر بطاقات هائلة كامنة في وجوده، سواء من الناحية الجسدية أو الفكرية والذهنية، وإن هذه الطاقات في الحقيقة باستطاعتها خلق المعجزات وتحريك الجبال، ولكن الشباب يشعر بأن هذه الطاقات الهائلة تذهب

هدراً بلا فائدة.

وعندئذ يقع نهب الإحساس بالإهمال وعدم الجدوى.

وخامساً، فإن الشباب في مرحلة شبابه يواجه لأول مرة دنيا كبيرة لم يجربها ولم يعرفها بعد ولا يدري ماذا يفعل أمام ما يطرأ عليه من أحداث الحياة، فيحس بالحاجة إلى إرشاد وعون فكري لا يتوفر عليه الوالدان غالباً بسبب انشغالهما بشؤونهما في الحياة.

كما أنّ المراكز المسؤولة عن مثل هذا الأمر غالباً ما تكون غائبة عندما يكون حضورها ضرورياً وعند الحاجة، فلا يحصل الشاب على هذه الإعانة ويشعر بالتالي بانعدام السند والمعين. وغالباً ما تكون كل هذه المشاعر مسيطرة على شبابنا؛ فمن ناحية نجد الشعور بالوحدة، ومن ناحية أخرى الشعور بافتقاد السند، ومن ناحية ثالثة الشعور بالطاقات الهائلة التي تذهب هباءً.

إن وجود مثل هذه المشاعر يلقي بالمسؤولية على عاتق الجميع، ولاسيما الحكومة وعلماء الدين والإذاعة والتلفزيون وقوات التعبئة والمؤسسة الرياضية والمؤسسات والمراكز الثقافية؛ فهؤلاء يتحملون مسؤولية كبرى أزاء جيل الشباب ولاسيما في بلد كبلادنا التي يمثل فيها الشباب الغالبية العظمى من حيث العدد، والتي يتمتع فيها بالإيمان من الناحية الروحية ويمتاز بالإستعداد من حيث التوفر على الإنجازات الكبرى،

وأمّا من حيث الخلاقية فيشكلون فئة كبرى على قدر عظيم من الطاقة والخلاقية.

وإن هذا الإستعداد وهذا العدد الهائل وهذه الإمكانات بوسعها منح بلد كإيران دفعة قوية على طريق التكامل والرفعة والرقي.

إنّ البعض يتخذون أحكاماً خاطئة وانحرافية بشكل كبير على جيل الشباب في

إيران من الناحية العقائدية والدينية. ولكنني أعتقد، وطبقاً للدراسات التي تمّت بهذا الصدد، بأن الشباب الإيراني شباب مؤمن وشريف وعفيف ولديه كفاءات دينية هائلة، وأنه يميل إلى النواحي المعنوية أكثر من المادية. فإن ما نتوقعه من الشباب يختلف تماماً عما نتوقعه من الكبار الناضجين؛ فالشباب الإيراني ـ ذكوراً وإناثاً ـ لديه طاقات روحية ومعنوية وذهنية ودينية هائلة، وهو ما يجعل عبئاً كبيراً من المسؤولية يقع على عاتق المسؤولين.

وفي الحقيقة فإنه ينبغي عليّ الاعتراف بأن هناك اهتماماً بالغاً ـ ولحسن الحظ ـ توليه المراكز المختصة لقضايا الشباب اليوم من قبيل المركز الوطني ومنظمة الشباب فضلاً عن المراكز التي انتظم الشباب في إطارها منذ بداية الثورة في مجالات الإعمار والبناء كقوات التعبئة، وكذلك مراكز التربية والتعليم الحكومية، وإن كنت مازلت أتوقع الكثير من هذه المراكز.

إنني آمل أن تتحول قضية الشباب والاهتمام بشؤونهم والتخطيط من أجل إرشادهم غلى ما ينبغي وتمهيد الطريق أمامهم نحو الرقي والتكامل، إلى قضية وطنية وحقيقة وأن يشعر الجميع بالمسؤولية حيالها.

رأي الإسلام حول الشباب

إنّ رأي الإسلام حول الشباب ينطبق تماماً مع ما نراه اليوم بالنسبة للشباب وما نرجوه منهم ولهم. ولقد أوصى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بالشباب، وكان يحبهم ويستخدم طاقاتهم في الإنجازات الكبرى. وكان أبرزهم أمير المؤمنين، فلا تنظروا إلى أمير المؤمنين عليه السلام كشخصية في الأربعينات أو الخمسينات أو الستينات من عمره فحسب، بل إنه شخصية متألقة أيضاً في شبابه ويمثل نموذجاً خالداً يجدر بالشباب جميعاً أن يجعلوه أسوة لهم؛ ففي مرحلة شبابه في مكة كان عنصراً مضحّياً وذكيّاً

ونشيطاً وشجاعاً ومقداماً وكان يزيل العقبات العسيرة من أمام الرسول الأعظم ﷺ في كل المجالات ويعرض نفسه للمخاطر ويقوم بأشقّ الأعمال، وقد فدى رسول الله ﷺ بنفسه ليلة هجرته إلى المدينة المنورة، وكان قائداً لجيشه بعد الهجرة وزعيماً للمجموعات النشطة وعالماً وواعياً وشهماً ومتسامحاً، وكان جنديّاً شجاعاً وقائداً مقداماً في عرصات القتال، كما كان كفوءاً في مجال الحكومة وشابّاً متقدماً بمعنى الكلمة على صعيد القضايا الاجتماعية. ولم يكن الرسول الأكرم ﷺ يستفيد فقط من شخص مثل عليّ، بل إنه كان يستفيد من فئة الشباب والطاقات الشابة بقدر الاستطاعة في فترة حكومته البالغة عشرة أعوام وبضعة أشهر.

لقد ألقى الرسول الأكرم ﷺ بإحدى المسؤوليات الكبرى على عاتق شاب في الثامنة عشرة من عمره في لحظة من أشد لحظات حياته حساسية؛ فالرسول ﷺ كان يتولّى أمر القيادة في الحروب، ولكنه أثناء الأسبوع الأخير من حياته وعندما شعر بقرب رحيله عن هذه الدنيا وليس بوسعه قيادة الجيش الذي وجّهه إلى الأمبراطورية الرومانية ـ لما في هذا الأمر العظيم من مشقّة، وكان من اللازم إسناده إلى طاقة قوية لا تثني عزيمتها العقبات ـ فإنه أسند هذه المسؤولية إلى شاب في الثامنة عشرة من عمره.

وكان بإمكان الرسول الأعظم ﷺ إسناد هذه المسؤولية إلى رجل في الخمسين أو الستين من عمره من أصحاب التجارب في الحروب والجبهات ولكنه اختار لذلك شابّاً في الثامنة عشرة من عمره هو "أسامة بن زيد".

كما كان الدافع إلى ذلك أيضاً هو الإيمان وأن والد أسامة كان من الشهداء. فالرسول ﷺ بعث أسامة على رأس البعث الذي كان على رأسه والده "زيد بن حارثة" منذ عامين والذي استشهد أيضاً في تلك المنطقة.

وكان هذا البعث الذي ترأسه أسامة بأمر من الرسول ﷺ بعثاً عظيماً وجيشاً

جرّاراً يضم كبار الصحابة من الشيوخ والقادة ذوي التجارب، في حين كان أسامة شابّاً في الثامنة عشرة.

وقد قال له الرسول الأعظم ﷺ سأبعثك إلى تلك الأرض التي استشهد فيها أبوك ـ أي "مؤتة" التي كانت جزءاً من الأمبراطورية الرومانية حينذاك، وتقع الآن في أرض الشام ـ لتعسكر هناك، ثم أصدر إليه أوامر القتال. وكذا كانت طاقة الشباب على هذا القدر من الأهمية لدى الرسول الأعظم ﷺ.

إن لدينا اليوم في بلادنا الكثيرين من أمثال أسامة بن زيد، وعندنا جموع كبيرة من الفتيان والشبان ذوي الكفاءة في الميادين المختلفة من درس وسياسة ونشاطات اجتماعية ومكافحة الفقر وإنجاز مشاريع الإعمار والبناء وفي كل ما يكلّفون به من تنفيذ المشاريع المختلفة، فهم دائماً على أهبة الاستعداد بما يتمتعون به من نشاط، وهذا وضع بالغ الأهمية بالنسبة لهذا البلد.

إن هذا الجيل يشبه ذلك الجيل الذي أنجز لهذا البلد عملاً عظيماً بكل قوة ونجاح متمثّلاً في تجربة الحرب المفروضة. وإنه لمن المناسب أن تعلموا ـ أيّها الإخوة والأخوات الأعزاء ـ بأنه عندما تأسس الحرس الثوري فقد كان معظم أفراده من الشباب والطلائع، وإن كل من يعدّون اليوم من قادة الحرس ولديهم أرفع الأوسمة كانوا حينذاك إما طلبة في الجامعات أو من المتخرجين حديثاً أو حتى من الذين لم يدخلوا الجامعات بعد.. إن قائد الحرس الثوري الذي أدار دفّة القتال خلال أعوام طويلة كان في حوالي السادسة والعشرين من عمره عندما نصّبه الإمام (رض) قائداً في ذلك الوقت! لقد استفادت الثورة من هذه التجربة مرة أخرى واستطاعت إثبات دور الشباب العظيم والبناء.

وهذا ما كنت أتمنى أن يهتم به الكبار والمسؤولون، أي النظر إلى الشباب من وجهة نظر الشباب والاطلاع على آمال الشباب وتطلعاته ومشاعره وإدراك واجبهم

الحقيقي أزاء هذه التطلعات والآمال.

إن على كافة الأجهزة المسؤولة؛ الحكومية منها وغير الحكومية، والإذاعة والتلفزيون، والوزارات المعنية بالشباب كالتربية والتعليم والجامعات، والمؤسسات الرياضية والخاصة بالشباب، والتعبئة، وعلماء الدين، ومؤسسات تبليغ الدين ونشره، أن تشعر جميعاً بأنها مسؤولة أزاء هذه الأجيال وحيال كل هذه الاستعدادات والطاقات الهائلة[١].

(١) من كلمة ألقاها في ١٥ محرم ١٤٢١هـ ـ مصلى الإمام الخميني (قده) بطهران.

الفكر الإسلامي شامل لكل عوامل التكامل الإنساني

إنّ من خصائص الدين الإسلامي المقدّس ـ على الأخص الفكر الشيعي الذي يمتاز بعدة أُمور ـ احتواؤه على جميع العوامل الضرورية لتكامل الفرد والمجتمع الإنساني؛ وهذا شيء مهم جدّاً. فقد تُعرض على البشر ثقافة أو حضارة أو عقيدة، والتي قد تحتوي على نقاط إيجابية تؤدي إلى تفجير الطاقات الكامنة عند البشر وتحريك قابلياتهم فيعملون ويبدعون ويبنون ويستثمرون ويعمّرون العالم، إلّا أنّ في هذه العقيدة خلل يؤدي بالناس الذين حصلوا على منافع هذه العقيدة إلى التعرض لمختلف الأضرار والصعاب، وأحياناً تكون الأضرار أكبر من المنافع.

المثال البارز على ذلك التفكير الغربي الراهن والثقافة الرأسمالية والحرية الفردية والعلمانية الشائعة في الغرب. وعليكم يا من تبلّغون الدين والقرآن أن تدقّقوا في هذه الأمور كثيراً.

وحينما نذكر الثقافة الغربية لا نقول إنّها فاسدة ومنحطة من ألفها إلى يائها، وقد قرأتم كلامي حول الغرب والغزو الثقافي[1] و... وذلك لا يعني أنّ ثقافة الغرب بأجمعها فاسدة وقبيحة، وإلّا لرفضتها الشعوب الغربية نفسها ولما تحملتها منذ البداية، بل هناك بعض المواطن الإيجابية في هذه الثقافة، قد خدعت الناس وبهرتهم وجذبتهم إليها.

والمثال البارز لهذه المجتمعات يُرى بوضوح في المجتمع الأمريكي. فهناك

(١) في كتاب حاكميّة الإسلام.

توجد ثقافة الغرب الرأسمالية وما يدعوه الغربيون أنفسهم بالليبرالية، كما توجد في هذه الثقافة وهذه الحضارة وما يسمونه بالأيديولوجية أُمور إيجابية، فهي تدعو الناس إلى السعي والعمل ومراعاة الدقة في الوقت والطاقات الإنسانية.

ولكن ما هي نتيجة هذه الثقافة بما فيها من الإيجابيات؟ النتيجة هي ظهور مجتمع غنيّ بالثروة والتطور والعلم والتكنولوجيا وهي الأُمور التي بهرت أعين الشعوب الغربية ومفكّريها وارتضاها الجميع منذ قرنين أو ثلاثة ـ سواءً في أمريكا أو أُوروبا ـ وأعجبهم هذا الأُسلوب المعيشي وهذه العقيدة والثقافة وهذه الأفكار، ولكن لم تتوفر في هذه الثقافة عوامل الحفاظ على التكامل الحقيقي للإنسان فقد أغفلها هؤلاء ولم يلتفتوا إليها.

فمثلاً لو صنعتم خزّاناً للمياه لتوفّروا للناس المياه الصالحة للشرب وأحكمتم جدران هذا الخزّان وسددتم جميع نوافذه وتركتم منفذاً واحداً لدخول الماء فيه وأحكمتم هذا كله ولم يبق لديكم قلق من هذه الناحية، إلّا أنكم لم تلتفتوا إلى أنّ هذا الماء سيتسمم بسبب مجاورته لمعدن أو مادة معينة. أجل، سيتجمّع الماء وسيكون بارداً زلالاً، وسيشعر الإنسان باللذة حينما يشربه إلّا أنّه ملوث بالجراثيم والديدان. فالذي أعدَّ هذا الخزّان لم يلتفت إلى هذا الجانب وإنّما التفت إلى جوانب أُخرى فقط.

كذلك أغلب العقائد البشرية من هذا القبيل، حتى العقيدة الرأسمالية، فلقد شاهدوا الجوانب التي تحثّ الإنسان على العمل وبذل الجهد والتطور والتكامل المادي والثروة والعلم وما إلى ذلك من الأُمور ـ وهي صحيحة ـ إلّا أنّهم لم يلاحظوا الجوانب الأُخرى. فالمجتمع الذي ترتفع فيه ناطحات السحاب وتزداد فيه الثروات و... ومع ذلك ينتشر فيه الفقر والبؤس بين أُناس كثيرين وفيه من يموت جوعاً وفيه الاضطهاد، والأسوء من هذا كله الفساد الشامل الذي دخل حتى إلى منازل الذين

بهرتهم هذه الثقافة، فنغّص عليهم حياتهم.

إذن فقد تحوّل هذا إلى شيء ناقص وقبيح. إنّ أهليّة العقيدة هي في توفّرها على جميع العوامل، وإلّا فعالمية العقيدة جيدة ويمكنها غزو العالم إلّا أنّها لا تتمكن من الحفاظ عليه، وبإمكانها أن تحافظ على الثروات الطبيعية ولكنها لا تستطيع أن تحافظ على الطاقات الإنسانية، وبإمكانها أن تحرز تقدماً مادياً إلّا أنّها لا تحرز تقدماً معنوياً، وبإمكانها إقرار المساواة بين الناس ـ كالعقيدة الشيوعية ـ ولكنها لا تتمكن من القضاء على العنصرية والتمييز الطبقي بين الطبقات الراقية. لقد عمد الشيوعيون إلى تخصيص المؤن وقضوا على الثروات الخاصة ليتساوى الناس ! فالذي كان ثرياً انتكس وتساوى الجميع، أي غدا الناس فقراء بأجمعهم، وفي موضع آخر قضوا على الأغنياء لينتفع الفقراء، وعلى كل حال هم يدّعون اليوم أنهم ساووا بين الطبقات الفقيرة.

إنّ ميزة الإسلام إنّما هي في اشتماله على جميع عوامل التكامل الإنساني المادي أو المعنوي، ففي الإسلام هناك: ﴿**خلق لكم ما في الأرض جميعاً**﴾[١] و ﴿**قل من حرّمَ زينة اللّه التي أخرج لعباده**﴾[٢].

والإستفادة من الثروات الماديّة والعمل والسعي، وتقبيل الرسول صلى الله عليه وآله يدَ العامل، وعمل أميرالمؤمنين عليه السلام، وهذا كله يُشير إلى شيء، وكذلك فيه هذه الحقيقة وهي أنّ الذي لا يعمل لا يستجاب دعاؤه، فقد حبس البعض أنفسهم في البيوت تمسكاً بقوله تعالى: ﴿**ومن يتوكل على اللّه فهو حسبه**﴾[٣] فقال النبي صلى الله عليه وآله: إنّ اللّه

(١) سورة البقرة:٢٩ .

(٢) سورةالأعراف:٣٢ .

(٣) سورة الطلاق:٣ .

سوف لا يستجيب أيَّ دعاء لكم، لماذا؟ ليتّجه المجتمع نحو التنمية والبناء.

كما أنّ الإسلام يدعو أيضاً إلى التكامل المعنوي ويحثّ على زيارة بيت اللّه: **﴿قل ما يعبؤا بكم ربّي لولا دعاؤكم﴾**(١)، **﴿وقال ربّكم أدعوني استجب لكم﴾**(٢).

فلا قيمة لحياة الإنسان الروحية والمعنوية إلّا بالاتصال باللّه، فبمجرد أن تغفلوا عن اللّهِ فسيفقد هذا القلب حيويته وستموت هذه الروح، وإذا تذكر عاد القلب إلى حيويته، وإذا طال أمدها ستتحول إلى جماد. هذا ما يقوله لنا الإسلام وآيات القرآن: **﴿ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر اللّه﴾**(٣)، **﴿ألا بذكر اللّه تطمئن القلوب﴾**(٤).

هذا موجود في الإسلام الذي يدعو في الوقت نفسه إلى اكتشاف الثروات الطبيعية وإعمار الدنيا والإمساك بالمعدات المادية وتسليح الذهن بالعلم والتعرف على الدنيا والطبيعة والمادة والثروات واكتشافها واستثمارها ـ لأنّها تعود إليهم ـ وفي الوقت نفسه يأمر الإسلام بإنجاز هذه الأمور قربة إلى اللّه، وعدم إغفال ذكر اللّه، وامتثال هذه الأمور بشكل عبادي، أي أنّ الإسلام يجمع بين السعي والإعمار المادي وبين الإعمار المعنوي.

لذا فإنّ الذي كان في الإسلام يسعى وراء الإعمار المادي هو أيضاً (أزهد خلق اللّه).

فأميرالمؤمنين عليه الصلاة والسلام الذي يحفر القناة بيده حتى يخرج الماء منها كما يخرج الدم من منحر البعير، يخرج بثوبه الذي علاه الوحل ويجلس على حافة

---

(١) سورة الفرقان:٧٧ .

(٢) سورة غافر:٦٠ .

(٣) سورة الحديد:١٦ .

(٤) سورة الرعد:٢٨ .

البئر ويأخذ صحيفةً ليكتب عليها: (أوقفت هذه البئر وتصدقت بها على الفقراء)، أي أنّه يعمّر الأرض وينفقها لوجه اللّه، فهو أكثر الناس إنفاقاً وإصلاحاً، كما أنّه من الناحية المعنوية الأعلى والأسمى. وقد جمع الإسلام بين هذين الأمرين[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٦ / ١٢ / ١٤١٦ هـ.

الأمر بالمعروف وبقاء الإسلام

تدبّروا عوامل بقاء الإسلام، فأحد عوامل البقاء قضية عاشوراء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ففي كل مجتمع ينشأ فساد إذ لا يخلو مجتمع بشري منه، فكيف يمكن القضاء على هذا الفساد؟ البعض ما إن تقع عينه على الفساد حتى يقول: إذن أين المسؤولون حتى يقضوا على الفساد! طبعاً ما يُرى من الفساد بالعين أقل غالباً بكثير من المفاسد التي لا يمكن مشاهدتها ممّا يحصل في الأزقة والطرق العامة والأسواق ولا يعرفها إلا المطلعون، لكن هذا البعض ما إن يرى هذا المقدار البسيط حتى يبحث عن المسؤولين ! كلا، على المجتمع أن يطوي ويزيل الفساد الذي في داخله كما تصنع تيّارات الماء الهدّارة.

تدبّروا أنهار العالم العظيمة تجدون أن تيّاراتها الهدّارة تطوي كل ما يُلقى فيها من الأدران والأقذار وتبدّلها إلى مواد حيوية فيطهر الماء.

فعلى المجتمع أن يكون كذلك وأن يصل إلى المستوى الذي يقضي فيه حتى على قطرة الفساد الواحدة[١].

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٦ / ١٢ / ١٤١٦ هـ.

طريق التكامل بالأمر بالمعروف

كيف يتم ذلك؟ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير، فقد ورد في القرآن: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة**﴾[1]، والحكمة هي الفكرة المحكمة التي تمتع بها الأنبياءعليهم السلام وأختص بها العباد المخلصون والصالحون، والتي لا يمكن لشتىّ السبل العقلية أن تفنّدها، ولا يمكن لأي استدلال أو تجربة أن تبطلها.

أُنظروا إلى مواطن الحكمة في القرآن: ﴿**ذلك ممّا أوحى إليك ربك من الحكمة**﴾[2]، فهي أُمور لا يمكن للإنسان ردّها مهما بلغ سعيه وإلى الأبد، فليس بإمكان أي مغرض أو منكر أو معاند أن يردّها، فالحكمة من أحكم الأفكار التي تترجم وتشرح.

والحكماء يعرّفون الحكمة بأنّها: «صيرورة الإنسان عالماً عقلياً مضاهياً للعالم العيني»، أي أنّ هذه الأفكار من الظهور والإحكام بحيث لاتقبل التشكيك وقد تشرّبت في روحه فغدا عالماً يمكن مشاهدة الكون والوجود والعالم بأجمعه في وجوده وكلامه وإشاراته وسلوكه.

هذه هي الحكمة، وعندها ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾[3] أي أنّ هذه الأُمور هي مقومات الخلود التي أدّت إلى بقاء الفكر الإسلامي إلى الآن.

على علماء الدين أن يدركوا أنّ النظام والمجتمع الإسلامي إذا تمكّن من صقل نفسه بالشكل الذي أراده الإسلام وأوجد في داخله هذه العوامل فسوف لا يمكن

---

(١) سورة النحل:٢٥ .

(٢) سورة الإسراء:٣٩ .

(٣) سورة النحل:٢٥ .

لأي قوة في العالم ـ سواء المادية أو العسكرية ـ أن تواجهه.

هدّدونا لثمان سنوات ونفّذوا تهديدهم أيضاً، فأيُّ حماقة تمكّن عملاء الاستكبار من ارتكابها بحق هذه البلاد حتى يغدو بإمكانهم ارتكابها بعد هذا اليوم؟ إنّ الاستكبار حالياً قد استنفر خيله ورَجِله ليتمكن من خلال الفكر والثقافة والسبل العلمية أن يزعزع أُسس التفكير الإسلامي وسوف يفشل في هذا المجال أيضاً، إذ كيف يمكنه بلوغ ذلك؟!.

طبعاً إنّما لا يمكنه ذلك فيما إذا عملتم بما يريده الإسلام: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾**

وعندها سوف لا يتمكّن حتى من خلال وسائل وآلات الفساد المنتشرة في العالم كالأفلام والأشرطة والكلام البذيء والقصائد والقصص الرخيصة من بلوغ أهدافه، إنّ العدو يرسل هذه الأشياء إلى بلادنا ويوزّعها بين الفتيان والشباب والناس العاديين أو يبثها بواسطة الأقمار الصناعية ـ وهي حقاً مستنقع للفساد ـ إلّا أنّ هذه الأقمار التي يستهدفون بها الشعوب والبلدان سوف لا يمكنها إحداث أدنى تأثير في المجتمع إذا تحقق ما قلته إذ أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأمور الأُخرى سوف لا تترك للعدو فرصة للإنتصار.

لذا فإنّ المجتمع الإسلامي مجتمع خالد، وهذا هو معنى قوله تعالى: **﴿إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون﴾**(١) و**﴿ولينصرنَّ اللّه من ينصره﴾**(٢)، وهذه ليست مجاملات من قبل اللّه معنا، كما إنّ هذا هو معنى قوله: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم**

---

(١) سورة الحجر:٩.

(٢) سورة الحج:٤٠.

سبلنا﴾[١].

فلتعربد القوى العظمى في العالم ضد الإسلام ونظام الجمهورية الإسلامية وتتّهمنا، فإنّ هذا البناء بناء محكم وستتكسر قرون كل من تسول له نفسه مناطحته، وهذا هو شأن جميع عوامل البقاء والحياة في النظام الإسلامي.

إنّ ما تشاهدونه أحياناً من امتعاض البعض من الأعمال الدينية والشعائر الإسلامية فيقول: لقد أبرمتمونا بكثرة ما تتحدثون عن القيم الإسلامية فإنّه في الواقع إنّما يكرر كلمات الأعداء، أي أنّ الأعداء لا يريدون تطبيق الإسلام بشكل كامل؛ لأنّ الإسلام إذا طُبّق بشكل كامل فسوف لا يمكنهم إلحاق الضرر به، فلابدّ من إضعافه والحيلولة دون تنفيذ بعض جوانبه كالقصاص أو القوانين الجزائية حتى يمكنهم الإضرار به.

ومن هنا تتضح مسؤولية علماء الدين والمبلغين، الذين - بحمد الله ـ يدركون واجباتهم بشكل جيد ولا نريد إرشادهم إليها فإنّهم أعرف بها، لكن إنّما نذكّر. وليعلم الشباب والحديثي العهد بهذا الطريق أنّ هذا الطريق طريق مبارك لا يقبل الهزيمة، وقد توفّرت فيه جميع مستلزمات البقاء بحكمة الله.

فهنا موطن (جهاد) لصدّ العدو، وهنا أيضاً موطن للتعايش بسلام في داخل البلاد (رحماء بينهم)، وهنا أيضاً إقامة لعلاقات الصداقة مع الدول وشعوب العالم **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم .. أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم﴾**[٢]، وهنا أيضاً جهاد ضد إسرائيل وأمريكا **﴿إنّما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين﴾**[٣].

فهنا الدنيا والآخرة، فإنّك تجد الحفاظ على القيم بدقة، وتجد السعي وراء الإعمار

---

(١) سورة العنكبوت:٦٩.

(٢) سورة الممتحنة:٨.

(٣) سورة الممتحنة:٩.

وبناء العالم المطلوب واكتشاف ثروات هذه الطبيعة بالأيدي الكفوءة، وترى مشاعر الناس وأحاسيسهم، وترى الدعم الإلهي، وتشاهد العمل والتوكل، وعندها يتضح معنى هذه الآية: ﴿**ومن يتق اللّه يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾[1]، فإن توفرت هذه الأمور معاً فعندها سوف لا يمكن لأيّ شخص أن يلحق الضرر بالمجتمع.

لقد مضت سبع عشرة سنة على انتصار الثورة الإسلامية، وفي هذه المدة أي شيء كان بإمكان الأعداء فعله ولم يفعلوه، فأعداؤنا فعلوا كل ما يقدرون عليه. نعم لم يفعلوا بعض الأمور لعدم تمكّنهم منها لوجود العقبات من قبيل الرأي العام العالمي والخوف و ....؛ لذا فإنّهم قد ارتكبوا كل ما أمكنهم أن يرتكبوه بحق هذا الشعب، ولكن في الوقت نفسه تشاهدون أننا ـ بحمد اللّه ـ متقدمون في مجال الإعمار والسياسة الدولية.

إنّ هذا ما أنجزه الدين والاستقلال، إنّ الشعب الإيراني قد أنجز هذه الأعمال في الوقت الذي عادته أمريكا وحلفاؤها !

يدّعي البعض أنّ الذي يخاصم أمريكا لا يمكنه إنجاز شيء ! إذا كان الأمر كذلك فما هذا الذي أنجزناه؟ فقد أنجزنا كثيراًمن الأُمور العلميّة وغيرها في الوقت الذي تعطّشت فيه أمريكا إلى دمائنا، وفي الوقت الذي شَهَر فيه عملاء أمريكا ـ في أُوروبا وآسيا وأفريقيا ـ السلاح ضدنا، بعضهم من الأمام وبعضهم من الخلف، ولكن مع ذلك أنجزنا كل هذه الأعمال.

إذن فليعوا وليعتبروا ولا يتصوّروا أنّ إعمار هذه البلاد وتقدّمها موقوف على طَرْقِنا لأبواب أعداء اللّه أمريكا وغيرها، فلو إنّنا طرقنا أبوابهم لما حصلنا على هذا المقدار

---

(١) سورة الطلاق:٣ .

من التقدم كما لاحظتم ذلك في عهد نظام الشاه، فقد أضاعت هذه البلاد حتى ما كانت تمتلكه، فقد أضاعت الزراعة، كما أنها لم تكن تمتلك الصناعة ولم تحصل عليها وإنّما الذي أدخلوه كان صناعة تجميعية وهي الأُخرى كانت مزيّفة، فقد افتقرت إلى كل شيء.

نعم في عهدهم أدخلوا شتى أنواع المفاسد والفواحش وأصناف المسكرات والحانات والنزهات غير المشروعة وأمثالها، وأقاموا العلاقات مع أعداء الشعب والبلاد الذين أرادوا السيطرة على بلادنا ولم يريدوا إقامة علاقات الصداقة معنا، وإنّما أرادوا مصادرة هذه البلاد لصالحهم، وإنّ إقامة العلاقات معهم لم تعد بالنفع على هذا الشعب ولم يجنِ منها سوى الأضرار.

إنّنا بحمد اللّه تمكنّا في هذا السنوات تحت ظل العزلة والابتعاد عن هؤلاء من الحصول على كل ما تشاهدونه من التقدم والإعمار والتطوّر، وإنّ ما حصل في هذه البلاد قد أنجزه المؤمنون ـ فغير المؤمنين والذين لا ينتمون إلى حزب اللّه يتكلّمون ولا يقدّمون شيئاً يذكر إلى الوطن ـ فأكثر هذه الأعمال أنجزها المؤمنون وأفراد حزب اللّه والمهندسون المؤمنون بالثورة والناشطون والمدراء المخلصون للثورة وأبناء الثورة أنفسهم، أمّا الآخرون فلم يقدّموا لنا أي معونة أو خدمة.

فعلى علماء الدين المحترمين والمبلغين الأعزاء أن يوضّحوا للناس ـ في شهر محرّم العظيم ـ هذه الأبعاد المختلفة ويعلّمونهم بأنّ الدنيا والآخرة تُنال تحت ظل الدين، وأنّ الارتباط بالإمام الحسين عليه السلام واستيعاب معنى الشهادة يدعم حياة الإنسان المادية والمعنوية.

وإذا فهم الشعب معنى الشهادة وتعرّف كيف يمكن التضحية بالأرواح في سبيل الأهداف عندها سيتمكّن من العيش باستقلال ولا ينتابه قلق؛ لأنّ الموت سوف لا

يشكّل عقبة أمامه، وإلّا فإنّ العدو سيخوّفه بالموت ويغدو مصيره كمصير بعض الدول والشعوب التي تتخاذل أمام الأعداء[١].

(١) من كلمة ألقاها في ٢٦ / ١٢ / ١٤١٦ هـ.

تبليغ زينب والسجاد رسالة الحسين عليه السلام

فنفس القيمة التي تمتلكها تضحية الحسين عليه السلام عند الله تبارك وتعالى ونفس الدور الذي لعبته في تأجيج نهضته تملكها ـ أو تقاربها ـ خطب الإمام السجاد عليه السلام وزينب عليها السلام أيضاً .. فتأثيرها يقرب من أن يعادل تأثير تضحية الحسين عليه السلام بدمه.

لقد أفهمنا سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته وأصحابه أنّ على النساء والرجال ألاّ يخافوا في مواجهة حكومة الجور.

فقد وقفت زينب (سلام الله عليها) في مقابل يزيد ـ وفي مجلسه ـ وصرخت بوجهه وأهانته وأشبعته تحقيراً لم يتعرض له جميع بني أمية طُراً في حياتهم. كما أنها (عليها السلام) والسجاد عليه السلام تحدثا وخطبا في الناس أثناء الطريق وفي الكوفة والشام، فقد ارتقى الإمام السجاد (سلام الله عليه) المنبر وأوضح حقيقة القضية وأكد أن الأمر ليس قياماً لأتباع الباطل بوجه أتباع الحق، وأشار إلى أن الأعداء قد شوهوا سمعتهم وحاولوا أن يتّهموا الحسين عليه السلام بالخروج على الحكومة القائمة وعلى خليفة رسول الله! لقد أعلن الإمام السجاد عليه السلام الحقيقة بصراحة على رؤوس الأشهاد، وهكذا فعلت زينب عليها السلام أيضاً.

وهكذا هو الأمر اليوم في بلدنا، فسيد الشهداء عليه السلام قد حدد تكليفنا، فلا تخشوا من قلة العدد ولا من الاستشهاد في ميدان الحرب، فكلما عظم هدف الإنسان وسمت غايته كان عليه أن يتحمل المشاق أكثر بنفس النسبة، فنحن لم ندرك بعدُ جيداً حجم الانتصار الذي حققناه، وسيدرك العالم فيما بعد عظمة النصر الذي حققه الشعب

الإيراني [١].

السلام عليك يا أبا عبدالله الحسين وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك.. عليك مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ولا جعله الله آخر العهد منّي لزيارتك .. السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين[٢].

---

(١) كتاب نهضة عاشوراء، ص ٢٣ .

(٢) من كلمة ألقاها في ١١ محرم ١٤١٩ هـ ق ـ طهران.

فهرس المحتويات

المقدمة

شخصية الإمام الحسين عليه السلام

فلسفة عاشوراء

عناصر نهضة الإمام الحسين عليه السلام

أهداف النهضة الحسينية

هل تحققت آثار ثورة عاشوراء؟

آثار ثورة عاشوراء التاريخيّة

أسباب واقعة الطف

أثر المفاهيم الخاطئة على المجتمعات

بداية الإنحراف

خلود الإمام الحسين عليه السلام الذي أنار التاريخ

خصائص النهضة الحسينية

صور من واقعة الطف

عاشوراء والتبليغ